

الهيئة الليبية للبحث العلمي
الجمعية الليبية لدروب المعرفة



مجلة آفاق المعرفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تُعنى بنشر البحوث العلمية

العدد الخامس - سبتمبر 2023م





مجلة آفاق المعرفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تُعنى بنشر البحوث العلمية

<u>الهيئة الاستشارية للمجلة</u>	<u>هيئة التحرير</u>
أ.د. موسى محمد زنين	أ.د. عبدالكريم ميلود حامد
أ.د. حميدة علي البوسيفي	أ.د. أسامة جمعة العجمي
أ.د. سالم امحمد سالم التونسي	د. محمد حسين بشير
أ.د. سميرة محمد ميلاد العياطي	د. الطاهر أحمد الكري
أ.د. عبدالسلام عمار الناجح	د. إبراهيم محمد الصغير
أ.د. إبراهيم علي اجبيل	د. المهدي محمد المهدي
أ.د. الناجح أحمد الطيب	

مراسلات المجلة تكون على النحو التالي:

مجلة آفاق المعرفة/ الأصابعة/ الجبل الغربي

للاستفسار يرجى التواصل والاتصال عبر الأرقام والعناوين التالية:

هاتف: 0918412998 0926459217

واتساب: 0926251156

فايبر : 0926251156

البريد الإلكتروني: afaqalmaarifaa@gmail.com

صفحة الفيس بوك: مجلة آفاق المعرفة

موقع المجلة: www.afaqjournal.ly

رقم الإيداع القانوني: 2020/ 549 دار الكتب الوطنية. بنغازي

الآراء التي تنشر في المجلة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهة نظر

هيئة تحرير المجلة.

حقوق النشر محفوظة

الجمعية الليبية لدروب المعرفة / 2023م

قواعد وشروط وضوابط ومواصفات النشر بمجلة آفاق المعرفة

ترحب مجلة آفاق المعرفة بنشر البحوث العلمية إذا توافرت بها الشروط والضوابط الآتية:

أ. قواعد النشر وشروطه:—

- تنشر المجلة البحوث الأصلية والمبتكرة الرصينة المكتوبة بأسلوب علمي منهجي.

- تنشر المجلة البحوث المقدمة إليها باللغات (العربية والإنجليزية والفرنسية) على أن يرفق البحث بملخص في أقل من صفحة وكلمات مفتاحية ما بين 3 - 5 كلمات.

- ألا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر إلى جهة أخرى أثناء تقديمه للمجلة، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية القانونية حيال ذلك.

- تخضع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للتحكيم من قبل محكم أعلى درجة من الباحث ومتخصصين في الموضوع المراد نشره.

- البحوث المقدمة للنشر بالمجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة وأعضاء هيئة تحريرها.

- يتحمل الباحث المسؤولية الكاملة لبحثه من الناحية القانونية والسارات العلمية.

ب. ضوابط النشر ومواصفاته:—

- يقدم الباحث نسخة ورقية من البحث مطبوعة على ورق A4، ونسخة إلكترونية على قرص ليزري (CD) ترسل إلى هيئة التحرير أو عبر البريد الإلكتروني للمجلة.

- يكتب البحث على برنامج (Microsoft Word) بحيث يكون العناوين بحجم 16 وبقيّة الفقرات بحجم 14 بصيغة (simplified) للغة العربية، وخط نوع (Times

(New Roman) بحجم 11 للغة الإنجليزية، وتترك مسافة (1.15) للتباعد بين الأسطر.

- يشار إلى جميع المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث في متن البحث بطريقة (هارفارد) وهي بإبراز لقب المؤلف وسنة النشر ورقم صفحة الاقتباس بين قوسين مثلاً: (عيسوي، 2009: ص53) بخط حجم 12. وفي نهاية البحث بقائمة المصادر والمراجع تكتب على النحو التالي: عيسوي، عبدالرحمن محمد. (2009): "الصحة النفسية وضغوط العصر"، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة.

- يجب أن تحتوي واجهة البحث على اسم الباحث أو الباحثين ثلاثياً، وعنوان البحث، والتخصص العام والدقيق، والدرجة العلمية، وجهة العمل، والهاتف، والبريد الإلكتروني. ويعاد كتابة عنوان البحث في الصفحة الخاصة بالملخص.

- ترقم صفحات البحث أسفل الصفحة في الوسط.

- ألا يقل عدد صفحات البحث عن (12) صفحة، وألا يزيد عن (25) صفحة.

- رسوم البحث المقدم للنشر (250 دينار) تدفع (50 دينار) عند تسليم البحث لهيئة التحرير - لا ترد - وباقي القيمة (200 دينار) تدفع عند قبول البحث نهائياً للنشر.

هيئة تحرير المجلة

افتتاحية العدد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة آفاق المعرفة العلمية المحكمة (نصف سنوية) تصدر عن الجمعية الليبية لدروب المعرفة التابعة للهيئة الليبية للبحث العلمي وهي صادرة بقرار رقم (07) لسنة 2022م من إدارة المطبوعات والمصنفات الفنية بوزارة الثقافة والتنمية المعرفية.

إن صدور العدد الخامس من مجلة آفاق المعرفة يدل على النجاح الكبير لهذه المجلة، وإن هذا النجاح هو ثمرة جهود هيئة التحرير والهيئة العلمية الاستشارية، كما إن نجاحها يرجع إلى الباحثين الذين قدموا بجوتهم للمجلة وكذلك الأساتذة المحكمين لبحوث هذا العدد وملاحظاتهم القيمة.

ويضم هذا العدد حزمة من البحوث والدراسات تناولت موضوعات مختلفة في العلوم الإنسانية والتطبيقية تم قبولها للنشر بعد تحكيمها من أساتذة في نفس تخصص الباحث وبدرجة علمية أعلى من درجة الباحث.

وأخيراً: نسجل كل الشكر والعرفان والاحترام والتقدير للباحثين والمحكمين والمسؤولين على إدارة هذه المجلة على كل ما بذلوه من جهد لصدور هذا العدد إلى حيز الوجود.

هيئة التحرير

محتويات العدد

ز	الإفتتاحية
---	------------

أولاً / البحوث باللغة العربية:

الصفحة	عنوان البحث	ت
1	آثار النفقات العامة على النمو الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2002م - 2020م د. آمال احمد ابو عبودة	01
32	سوسيولوجيا المعرفة وأسسها النظرية كارل مانهايم نموذجاً د. وداد ابوبكر الجديد	02
46	الدلالات اللفظية في تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي 606هـ أ. عبدالحكيم إبراهيم السحيري	03
60	مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ أ. جمعة مختار علي الفتح	04
88	الزحف الصليبي على بيت المقدس (الحملة الصليبية الاولى انموذجاً) أ. سناء ضو على كريم	05
107	أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين دراسة تطبيقية على صندوق الضمان الاجتماعي الأصابع أ. خالد على ووه	06
126	الحق في حرمة المسكن في الشريعة الإسلامية أ. عائشة سعيد على الحاج	07
136	تعليل الأحكام الشرعية من منظوري: ابن حزم وابن القيم د. محمد مصباح الأمين عبد الرحمن	08
162	التجديد الديني المفهوم والمنطلق أ. حاتم عياد جمعة الأسود ، أ. فتحي توفيق قصودة	09

الصفحة	عنوان البحث	ت
177	دور المؤسسات التعليمية في مواجهة جماعات التطرف: تحليل سوسيولوجي مقارن	10
	أ.د أسامة عبد الباري ، د. أحمد محيي خلف صقر	
210	العلية عند ابن خلدون	11
	د. علي سالم أبو لقاسم أبو خريص	
231	التنمية السياسية ودورها في تحقيق التنمية الشاملة	12
	د. سارة الطاهر عمر علي	
247	مفهوم النبوية عند الجابري	13
	د. علي رحومة سحيون	

ثانياً/ بحوث باللغة الانجليزية:

الصفحة	عنوان البحث	
1	The Effect of the Duration of Steam Curing Time on the Mechanical Properties of Geopolymer Mortar.	01
	Abdoslam Abdallaa Alnkaa	
15	The Importance of Knowledge Management and Leadership Behavior in Improve The Performance of Employees (Case study in Zintan University)	02
	Abdo alaziz H E Mihrez , Alseddig Alshadli Ruhoma	

آثار النفقات العامة على النمو الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2002م - 2020م

د. آمال احمد ابو عبودة

قسم الاقتصاد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة طرابلس

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل واقع النفقات العامة وأثرها في تحقيق الاستقرار الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020، وذلك لما لها من أهمية بالغة في النشاط الاقتصادي من خلال دراسة أوجه النفقات العامة بالأسعار الجارية والثابتة وبجميع مكوناتها، وتوضيح الآثار الاقتصادية الناتجة عن زيادة أو انخفاض النفقات العامة من خلال التعرف على نسب مساهمات النفقات العامة في الناتج المحلي الاجمالي في الاقتصاد الليبي. وتستند منهجية الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في إطار العرض النظري والمنهج التحليل الكمي للتعرف على مضمون النفقات العامة والناتج المحلي الاجمالي في ليبيا، كما تستخدم الدراسة أسلوب التحليل القياسي لاختبار التأثيرات المختلفة للنفقات العامة على النمو الاقتصادي لمعرفة نقاط القوة والضعف فيها، وخلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج ومن أهمها أن النموذج القياسي المقترح اظهر أفضل النتائج من خلال المعادلة اللوغاريتمية رقم (2)، إذ ثبت أن النفقات العامة مؤثره على الناتج المحلي الاجمالي ممثلاً للنمو الاقتصادي في ليبيا خلال فترة الدراسة، وأن جميع التقديرات الإحصائية ملائمة للنظرية الاقتصادية التي تؤكد أن النفقات العامة تؤدي دوراً مهماً ومحركاً رئيسياً لتحقيق النمو الاقتصادي.

الكلمات الرئيسية: الاقتصاد الليبي، النفقات التسييرية، النفقات الرأسمالية، معدل النمو الاقتصادي

مقدمة:

تلعب النفقات العامة دوراً هاماً ورئيساً في الاقتصاد الليبي كونه من الاقتصاديات الريعية، كما تعد النفقات العامة أداة مهمة من أدوات السياسة المالية المستخدمة في زيادة معدلات النمو الاقتصادي من خلال زيادة الإنتاج أو خفضه، وكذلك من خلال تأثيرها في زيادة الطلب، فالنفقات العامة وخصوصاً النفقات الرأسمالية تؤثر في زيادة مستوى التشغيل، وبالتالي خفض معدلات البطالة، فضلاً عن أن النفقات العامة هي احد اركان الميزانية العامة، وذلك لأن زيادة النفقات العامة دون زيادة الإيرادات العامة تؤدي إلى عجز في الميزانية وبالتالي سينعكس أثرها السلبي على الاقتصاد الوطني. لذا تسعى ليبيا شأنها شأن دول العالم إلى تحقيق جملة من الأهداف الاقتصادية والاجتماعية المتمثلة في رفع معدلات النمو الاقتصادي، وصولاً إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي بالاعتماد على وسيلة النفقات العامة من بين عدة وسائل متاحة، وبذلك تعتبر النفقات العامة متغيراً حاسماً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

المشكلة البحثية:

تعاني ليبيا العديد من المشاكل الاقتصادية ومن أهمها انخفاض معدلات النمو الاقتصادي التي تسبب في تدني مستوى نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي، وكذلك زيادة النفقات التسييرية على حساب النفقات الرأسمالية التي تؤدي إلى زيادة التراكم الرأسمالي والذي يساهم في رفع معدلات النمو الاقتصادي، وبالتالي فإن المشكلة البحثية تكمن في تأثير سياسة النفقات العامة على النمو الاقتصادي، ومدى تأثير المتغيرات الاقتصادية التي تمر بها النفقات على معدل النمو الاقتصادي الليبي خلال الفترة 2002-2020. وعليه يجب أن يتم تحديد الحجم الأمثل للنفقات التسييرية وإتباع أسلوب عقلائي لترشيد النفقات العامة بطريقة ذات كفاءة عالية من خلال ضبط السياسة الانفاقية لتجنب الهدر في الأموال العامة. وبناء على ذلك يمكن طرح التساؤل الرئيسي التالي:

هل النفقات العامة تؤدي دوراً مهماً ومحركاً رئيسياً لتحقيق معدلات النمو الاقتصادي في ليبيا، وتقتصر المشكلة البحثية في وضع التساؤلات الفرعية الاتية:

- هل النفقات الرأسمالية هي المسيطرة على النفقات التسييرية أم العكس؟
- هل نسبة مساهمة النفقات العامة في الناتج المحلي الاجمالي في المستوى المطلوب؟
- هل تبني سياسة توسيع النفقات العامة تؤدي إلى تنشيط الاقتصاد بشكل فعال؟

فرضية الدراسة:

نظراً للآثار الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزتها العلاقة الناشئة بين النفقات العامة وبعض المؤشرات الاقتصادية في الاقتصاد الليبي، فإن فرضية الدراسة تنطلق من:

إن النفقات العامة لم تكن لها تأثيراً فعالاً ومرصياً في تحقيق معدلات النمو الاقتصادي في ليبيا.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة إلى الدور الذي تلعبه الدولة في تحسين النشاط الاقتصادي وكذلك في إبراز آلية تأثير النفقات العامة على النمو الاقتصادي من خلال دراسة العديد من المتغيرات ذات العلاقة، وباعتبار إن النفقات العامة محركاً للنمو الاقتصادي إذ يسهم في زيادة القدرات الإنتاجية للاقتصاد المحلي إذا ما وجه بصورة صحيحة. أما الجانب التطبيقي يعطي النظرة حول آثار النفقات العامة المتبعة على أوجه النشاط الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الاتي:

- تحليل النفقات العامة بشقيها التسييري والرأسمالي ومدى مساهمتهم في النشاط الاقتصادي في ليبيا.
- دراسة أوجه النفقات العامة بجميع مكوناته وأثرها على معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي في ليبيا.
- معرفة نسبة مساهمة النفقات العامة بجميع مكوناتها على الناتج المحلي الإجمالي وكذلك معرفة متوسط النفقات العامة بجميع مكوناتها في ليبيا.

المحور الأول: الإطار النظري للنفقات العامة والنمو الاقتصادي:

1.1 النفقات العامة:

1.1.1 مفهوم النفقات العامة:

وفقاً للفكر التقليدي فإن النفقات العامة هي تلك النفقات التي تقوم بها جهة عامة، (أحد أشخاص القانون العام)، والذي قد يكون على وزارة أو مؤسسة أو هيئة عامة ذات الشخصية المعنوية المستقلة. النفقات العامة وفق الفكر الحديث فإنها تحدد شكل وكم النفقات التي يقوم بإنفاقها أحد أشخاص القانون العام بمختلف مستوياته الإدارية والتنظيمية، سعياً لتحقيق أقصى درجة إشباع حاجة عامة مقابل تحقيق الحصول على

مستوى معين من الإيرادات العامة لتغطية تلك النفقات، (عثمان، 2008: ص 462) وبذلك فإن المفهوم الذي يتفق مع الدور الحديث للنفقات العامة يتكون من الآتي:

1.1.1.1 النفقات العامة على هيئة صورة نقدية:

يترتب على استبعاد جميع الوسائل غير النقدية المستخدمة في النظام النقدي القديم كالوسائل العينية، فقد كانت جميع المعاملات التي يقوم بها الأفراد تقدم على شكل عيني أو معنوي كمنحة جزاء من أملاك الدولة، أو الألقاب والأوسمة. (الوادي، عزام، 2007: ص 118) وبانتهاء هذا الأسلوب العيني (المقايضة في التبادل)، فقد تم إحلال الأسلوب النقدي للدفع في جميع المعاملات الحكومية للحصول على الخدمات والمنتجات التي تحتاجها لتسيير شئونها فيما يخص المرافق العامة وتقديم المنح والمساعدات والإعانات... الخ. (الحمدي، 2000: ص 60)

2.1.1.1 النفقات العامة تصدر من مؤسسة عامة:

وفقاً للمفهوم الحديث للنفقات العامة فإنها يقوم بها أحد أشخاص القانون العام، ولا تعتبر نفقات عامة إذا كانت الهدف منها إشباع منفعة خاصة. تهدف النفقات العامة إلى تحقيق النفع العام للمجتمع وتحقيق المصلحة العامة، ومن هنا يتسع مفهوم النفع العام ليشمل تحقيق بعض الأهداف الاجتماعية والاقتصادية. (عوض الله، 1999: ص 22)

2.1.1 هيكل النفقات العامة:

يرتبط النفقات العامة ارتباطاً وثيقاً بالإيرادات العامة وخاصة العائدات النفطية ومشتقاتها التي تكاد تكون المؤثر الوحيد على إجمالي الإيرادات العامة، وفي كثير من الأحيان تواجه النفقات العامة كثيرة من التحديات المتعلقة بجانب الإيرادات العامة، وانعكاسها على تقديم الخدمات العامة بأنواعها وأشكالها المختلفة. (عجام، 1990، ص 282)

إن تحليل النفقات العامة وإبراز دورها في الحياة الاقتصادية يقتضي توضيح مفهوم النفقات العامة ومكوناته الرئيسية التسييرية والرأسمالية والإضافية، فالنفقات العامة هي جزء من النفقات الكلية والمتمثلة في المدفوعات كافة التي يقوم بها القطاع العام للحصول على السلع والخدمات اللازمة لقيامه بدوره المطلوب في الاقتصاد، وتختص النفقات العامة المباشرة على السلع والخدمات التي تقوم الوحدات الحكومية المختلفة بشرائها، إذ تعد النفقات العامة على هذه الموارد من السلع والخدمات المقياس لقيمتها الاقتصادية.

1.2.1.1 النفقات التسييرية:

لقد اتخذت النفقات التسييرية اشكال عديدة ومختلفة من أهمها النفقات على قطاع الخدمات، حيث تقوم المؤسسات العامة بتقديم الخدمات للأفراد في صورة نفقات جارية على القطاعات الاقتصادية المختلفة مثل التعليم والصحة وبقية الخدمات الاخرى، حيث يشمل المرتبات وما في حكمها ونفقات تشغيلية أخرى من شراء المواد، وتوفير السكن وغيره من المصروفات العامة. أما النفقات على قطاع الأعمال فهو يهتم بمكونات النفقات على المؤسسات العامة، والأجهزة المركزية، الهيئات والوزارات. بالإضافة إلى النفقات المشتركة بين مجموعة من الوزارات والمؤسسات العامة واعتمادها لدي جهة واحدة. (عمرو، 2006: ص 54)

2.2.1.1 النفقات الرأسمالية:

تحقيقاً لمبدأ الاكتفاء الذاتي، والعدالة الاجتماعية يقوم القطاع العام بالمساهمة الفعلية في إنتاج السلع، وتقديم الخدمات، وذلك عن طريق إقامة المشروعات في جميع الأنشطة الاقتصادية، والاجتماعية، ويطلق على هذه النفقات التي تنشأ أثناء تقديم الخدمات للأفراد في الدول النامية بالنفقات الرأسمالية أو الاستثمارية أو التنموية. ومن أهم الأنشطة التي يقوم بها هذا النوع من النفقات استصلاح الأراضي واتخاذ مصادر جديدة للمياه، وإعداد طرق الري وقنوات الصرف وإنشاء المصانع، ومراكز التدريب الصناعي وإنشاء الطرق والجسور والمراكز والتجمعات السكنية وإنشاء المدارس، والمعاهد والمستشفيات، ودور الرعاية والطفولة والأمومة الحضانه وتقوية قوي الدفاع والأمن والعدل... الخ.

3.1.1 ظاهرة زيادة النفقات العامة:

لقد أشار فاجنر بوجود اتجاه طبيعي نحو زيادة النفقات العامة بسبب بعض العوامل الاقتصادية البحتة نتيجة تدخل الدولة في الاقتصاد، ومن ثم زادت درجة التصنيع وتعددت الأنشطة الاقتصادية وارتبطت مع بعضها البعض، إن النفقات العامة ما هي إلا انعكاس طبيعي لوضع تاريخي يستلزم خصائص اقتصادية واجتماعية محددة. (فرهود، 1999: ص 88) وهناك أسباب عديدة ظاهرة لزيادة النفقات العامة، فتزداد النفقات العامة عندما تتدهور قيمة النقود وتنخفض قوتها الشرائية، فسوف تؤدي إلى انخفاض حجم السلع والخدمات التي يمكن الحصول عليها بذات القيمة من الوحدات النقدية. (ناشد، 1988: ص 95) فإذا زاد عدد السكان على سبيل المثال وزادت مساحة الإقليم، فإن النفقات العامة سوف تزداد ولكن ليست زيادة حقيقية ولكنها زيادة ظاهرية،

لأنها لم تؤدي إلى زيادة في كمية السلع والخدمات. (حشيش، 1969: ص 50) يرجع ذلك إلى الزيادة الحقيقية في النفقات العامة لأسباب أخرى مثل التضخم والبطالة والنمو الاقتصادي، وأسباب اجتماعية وامنبة المتمثلة في دور الدولة الحارسة، وكذلك تعميق مسؤولية الدول اتجاه أفرادها وخروج من حالة العزلة في العلاقات الخارجية والتزايد المستمر في النفقات الحربية أو نفقات الدفاع... وغيرها من القطاعات. (نعوش، 1983: ص 78)

2.1 النمو الاقتصادي:

1.2.1 مفهوم النمو الاقتصادي:

يقصد بالنمو الاقتصادي حدوث زيادة مستمرة في الناتج المحلي الإجمالي أو الناتج القومي الإجمالي بما يحقق زيادة في متوسط نصيب الفرد من الدخل الحقيقي، كأداة لقياس النمو الاقتصادي، كما يشترط أن يكون معدل النمو الاقتصادي أكبر من معدل النمو السكاني، ويترتب على النمو الاقتصادي زيادة في الدخل الفردي الحقيقي والزيادة التي تحدث في الدخل الفردي ليست زيادة نقدية فحسب، بل يتعين أن تكون حقيقية وهذا من خلال استبعاد أثر التغير في قيمة النقود، أي استبعاد أثر التضخم. (مسعود، عز، 2017: ص 218)

ويعرف النمو الاقتصادي على أنه عملية التوسع في الإنتاج خلال فترة زمنية معينة بفترة تسبقها في الأجلين القصير والمتوسط، كما يمكن تعريفه على أنه توسيع قدرات، ويعبر النمو الاقتصادي أيضا على أنه زيادة الدولة في إنتاج السلع والخدمات التي تريدها. والنمو الاقتصادي ليس فقط زيادة في الناتج المحلي الإجمالي، بل لا بد وأن يترتب عليه زيادة في الدخل الفردي الحقيقي، بمعنى أن الزيادة في معدل النمو الاقتصادي لا بد وأن تكون أعلى من الزيادة في معدل النمو السكاني، ولذلك فإن الدول التي يزيد عدد سكانها بمعدلات كبيرة تعاني من مشاكل كبيرة وأسباب عديدة من ضمنها التخلف الاقتصادي، ولذلك تسعى الدولة إلى تحسين أوضاعها ووضع حدود لزيادة عدد السكان حتى يتسنى لها زيادة معدل نموها الاقتصادي.

2.2.1 مقاييس النمو الاقتصادي:

ينبغي التأكيد على أن النمو الاقتصادي لا يعني فقط حدوث زيادة في الناتج المحلي الإجمالي بل لا بد وأن يترتب عليه زيادة في الدخل الحقيقي، بمعنى أن معدل النمو لا بد وأن يفوق معدل النمو السكاني وكثيراً ما يزيد الناتج المحلي الإجمالي في دولة ما، غير أن نمو السكان بمعدل أعلى يحول دون زيادة متوسط دخل الفرد

الحقيقي،* وبالرغم من زيادة الناتج المحلي الإجمالي في هذه الدولة إلا أنه لم يحقق نمواً اقتصادياً، ويقاس معدل النمو وفق المعادلة الآتية: (عمرو، 2010: ص 145)
معدل النمو الاقتصادي = معدل نمو الدخل القومي - معدل النمو السكاني
لذلك يتعين على الدولة التي تسعى إلى تحسين أوضاعها والاهتمام بمعالجة قضية تزايد السكان، وإلا فإن مجهوداتها لن ينتج عنها أي تقدم.

إن الزيادة التي تتحقق في دخل الفرد ليست زيادة نقدية فحسب بل يتعين أن تكون زيادة حقيقية، فقد يزيد متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي النقدي، لمعرفة ذلك ينبغي التعرف على اتجاه متوسطات الأسعار (أسعار الجملة أو نفقة المعيشة)، وبالتالي يمكن أدراك أن متوسط نصيب الفرد من الدخل النقدي وإن كان قد حقق زيادة بمعدلات كبيرة إلا أن متوسط دخله الحقيقي لم يزد وربما انخفض وعلى ذلك لا بد من استبعاد أثر معدلات التضخم، وفق المعادلة الآتية: (عمرو، 2010: ص 147)

معدل النمو الاقتصادي الحقيقي = معدل الزيادة في دخل الفرد النقدي - معدل التضخم
نتيجة التحسن في أستخدم الموارد الاقتصادية أو تطور التقنية المستخدمة في الإنتاج، قد تؤدي إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي وخصوصاً زيادة متوسط دخل الفرد في تحديد النمو الاقتصادي لأنه يعبر عن المزيد من السلع والخدمات المتوفرة لكل فرد ومن ثم سوف يتم التحسن في مستوى المعيشة. يأتي تحقيق النمو الاقتصادي من زيادة الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي عبر الزمن، بعد الأخذ في الاعتبار ارتباطاته بمعدل النمو السكاني، أي لا بد أن يكون معدل للنمو الاقتصادي أكبر من معدل النمو السكاني، حتى يكون هناك مستوى معيشي لائق للأفراد. (عبد الحميد، 2005: ص 294)

المحور الثاني: مكونات النفقات العامة والنمو الاقتصادي في ليبيا:

يعد الاقتصاد الليبي أحد الاقتصاديات الريعية التي تعتمد بشكل رئيسي على مورد اقتصادي واحد ألا وهو النفط، وأن التغيرات التي تحصل في أسعار هذه السلعة بما يحقق زيادة في متوسط نصيب الفرد من خلال النفقات العامة التي لها تأثير واضح على العديد من المتغيرات الاقتصادية الكلية، وخاصة التأثير المباشر على النمو الاقتصادي، ويرجع ذلك لأسباب عديده منها زيادة النفقات العامة على المدى الطويل

* نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي يعتبر من أكثر المعايير استخداماً وأكثرها صدقاً عند قياس معدل النمو الاقتصادي، ويتم حسابه من خلال قسمة إجمالي الناتج المحلي على عدد السكان.

التي تنعكس على انخفاض الموارد الاقتصادية، وزيادة المستوى العام للأسعار، والاختلال في ميزان المدفوعات.

1.2 تطور النفقات العامة في ليبيا:

لقد شهد الاقتصاد الليبي تذبذباً ملحوظاً في النفقات العامة خلال العامين السابقين بسبب عدم قدرة السياسة المالية بضبط النفقات العامة وفق توجه نحو ترشيد النفقات العامة والعمل على إعادة التوازن بين الإيرادات العامة والنفقات العامة وميزان المدفوعات، بحيث يتم استيعاب الانخفاض الذي حصل في الإيرادات النفطية وحجم التراجع في أسعار النفط الدولية. (الشامي، 2014: ص 92-121) إن النفقات العامة تساهم في تعزيز النمو الاقتصادي ويعكس هذا المؤشر دور الدولة وفلسفتها السياسية حيث أنه كلما ارتفعت هذه النسبة يدل ذلك على تدخل في مجالات واسعة لها والعكس صحيح. (كاظم، 2023: ص 525)

من خلال تتبع البيانات الجدول رقم (1) والشكل (1) يلاحظ أن النفقات العامة بالأسعار الجارية قد سجلت نحو 8487.0 مليون دينار عام 2002 إلى 37310.0 مليون دينار عام 2020، حيث تراوح معدل النمو السنوي من 139.50% كحد أعلى عام 2005 إلى -32.44% كحد أدنى عام 2014، حيث بلغ معدل النمو المركب للنفقات العامة بالأسعار الجارية نحو

جدول (1) النفقات العامة بالأسعار الجارية

وبالأسعار الثابتة في ليبيا للفترة 2002-2020 (بالمليون دينار)

الفترة	النفقات العامة بالأسعار الجارية	معدل النمو %	الرقم القياسي لأسعار المستهلك 100 = 2003	معدل النمو %	النفقات العامة بالأسعار الثابتة	معدل النمو %
2002	8487.0	-	97.0	-	8749.48	-
2003	6866.2	-19.10	100.0	3.00	6866.20	-21.52
2004	8911.6	29.79	103.9	3.90	8577.09	24.92
2005	21343.0	139.50	103.9	0.00	20541.87	139.50
2006	21378.0	0.16	105.5	1.60	20263.51	-1.36
2007	30883.0	44.46	112.0	6.50	27574.11	36.08
2008	44115.5	42.85	123.7	11.70	35663.30	29.34
2009	35677.2	-19.13	126.7	3.00	28158.80	-21.04
2010	54498.8	52.76	129.8	3.10	41986.75	49.11
2011	23366.5	-57.12	133.2	3.40	17542.42	-58.22

آثار النفقات العامة على النمو الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2002م - 2020م

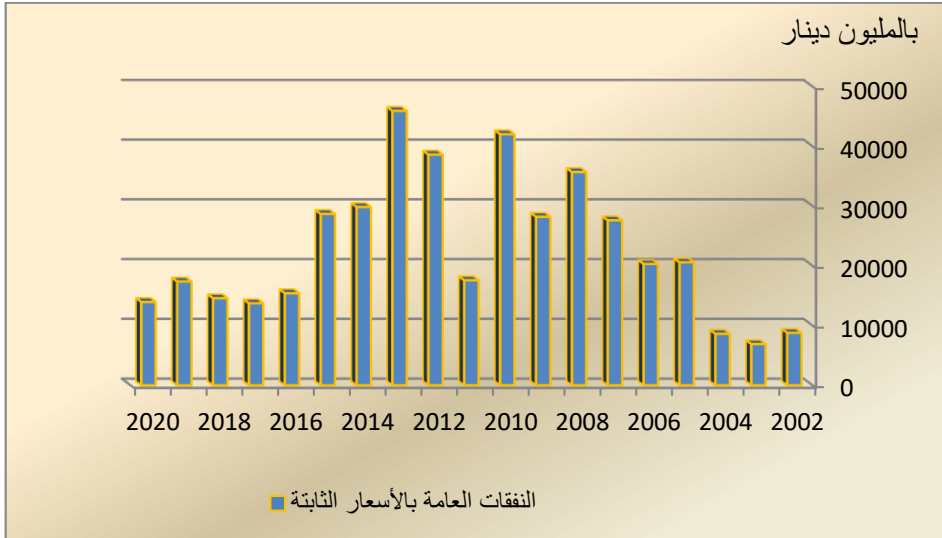
الفترة	النفقات العامة بالأسعار الجارية	معدل النمو %	الرقم القياسي لأسعار المستهلك 100 = 2003	معدل النمو %	النفقات العامة بالأسعار الثابتة	معدل النمو %
2012	53941.6	130.85	139.8	6.60	38584.84	119.95
2013	65283.5	21.03	142.2	2.40	45909.63	18.98
2014	43814.2	-32.89	147.0	4.80	29805.58	-35.08
2015	43178.9	-1.45	150.8	3.80	28633.22	-3.93
2016	29171.3	-32.44	189.8	39.00	15369.49	-46.32
2017	32692.0	12.07	238.7	48.90	13695.85	-10.89
2018	39286.4	20.17	270.2	31.50	14539.75	6.16
2019	45813.0	16.61	264.3	-5.90	17333.71	19.22
2020	37310.0	-18.56	268.2	3.90	13911.26	-19.74
متوسط الفترة	35889.87	17.35	163.71	9.01	24094.83	11.85

المصدر:

- النفقات العامة اعتماداً على البيانات المنشورة من مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، أعداد مختلفة.

- الرقم القياسي لأسعار المستهلك، مصلحة الإحصاء والتعداد، أعداد مختلفة.

- النفقات العامة بالأسعار الثابتة تم احتسابها من قبل الباحثة.



الشكل رقم (1) تطور النفقات العامة بالأسعار الثابتة في ليبيا خلال الفترة 2002-2020م

المصدر: الجدول رقم (1).

17.35% خلال فترة الدراسة 2002-2020، في حين بلغ متوسط النفقات العامة 35889.87 مليون دينار خلال نفس الفترة، ولأجل الوقوف على تطور النفقات العامة الحقيقية في ليبيا، والأسباب الحقيقية التي تكمن وراء هذا التطور، لا بد من استبعاد التغيرات التي طرأت على القوة الشرائية للنقود خلال فترة الدراسة، ويكون ذلك من خلال اعتماد الأرقام القياسية لمستوى العام للأسعار.

وبتطبيق المعادلة الآتية: (العلي، 2011، ص59)

النفقات العامة بالأسعار الجارية

$$\text{النفقات العامة} = \frac{\text{الثابتة}}{\text{بالأسعار}} \times 100$$

الرقم القياسي لأسعار المستهلك

يلاحظ أن النفقات العامة بالأسعار الثابتة زادت من 8749.48 مليون دينار عام 2002 إلى 13911.26 مليون دينار عام 2020، ويتراوح معدل النمو السنوي من 139.50% كحد أعلى عام 2005 إلى -58.22% كحد أدنى عام 2011، إلا أن الملاحظ أن الفترة محل الدراسة استمرت بالتذبذب بسبب أن النفقات العامة بالأسعار الثابتة تعكس تأثير ارتفاع المستوى العام للأسعار نتيجة استبعاد الزيادة الظاهرية الحاصلة في النفقات بسبب انخفاض القوى الشرائية للنقود الناتجة من اثر التضخم بالإضافة الى استبعاد اثر النمو السكاني على الزيادة في النفقات العامة للحصول على الزيادة الحقيقية للنفقات العامة. وبناء على ذلك فقد صاحب هذا التزايد في النفقات العامة زيادة مستمرة في حجمه وتغير هيكله، أي زيادة نصيب مكون من مكونات النفقات العامة (التسييرية والرأسمالية والاضافية)، وعلى الرغم من الاتجاه الصعودي للنفقات العامة إلا أنه لا يوجد هناك اتجاه واضح بالمقابل في تغير النفقات التسييرية والرأسمالية تصاعدياً أو تنازلياً، فالتذبذب هو الصفة الغالبة خلال الفترة 2002-2020.

وننتج عن ذلك ضغط النفقات العامة بحيث تتم المفاضلة بين النفقات التسييرية والرأسمالية وعادة ما تكون التضحية بالنفقات الرأسمالية على حساب النفقات التسييرية التي تختص بالأجور والرواتب، وبالتالي فإن الدولة دائماً تتجه نحو التضحية بالنفقات الرأسمالية، لأنها يمكن التخلي عنها وذلك لأن آثارها على أفراد المجتمع تكون غير مباشرة. كما يتضح من الجدول السابق أن أثر ارتفاع الأسعار على النفقات العامة بالأسعار الجارية لبعض السنوات قد أصبح مختلف على النفقات العامة بالأسعار الثابتة من خلال طرح النفقات الحقيقية من النفقات التسييرية، إذ يعكس الفرق الزيادة الظاهرية الحاصلة في النفقات العامة بسبب زيادة التضخم، والجدير بالذكر أن استبعاد الزيادة

الحاصلة في النفقات نتيجة الانخفاض الحاصل في النقود. أضف إلى ذلك ارتفاع أسعار النفط الخام الدولية بشكل غير مستقر أدى إلى إتباع سياسة مالية توسعية، شملت النفقات التسييرية والرأسمالية، بما في ذلك تحقيق زيادة كبيرة في المرتبات والأجور للعاملين في الدولة مع الاخذ في الاعتبار ما خلفته الأزمة المالية العالمية عام 2008 وما رافقها من انكماش اقتصادي وقلة السيولة النقدية المتمثلة في تراجع الطلب على السلع والخدمات، الامر الذي أدى إلى الانخفاض الكبير في الطلب على النفط الخام، مما انعكس سلباً على إيرادات ليبيا من النفط أسوة بالعديد من الدول المصدرة للنفط الخام.

2.2 نسبة النفقات التسييرية والرأسمالية والإضافية إلى إجمالي النفقات العامة:

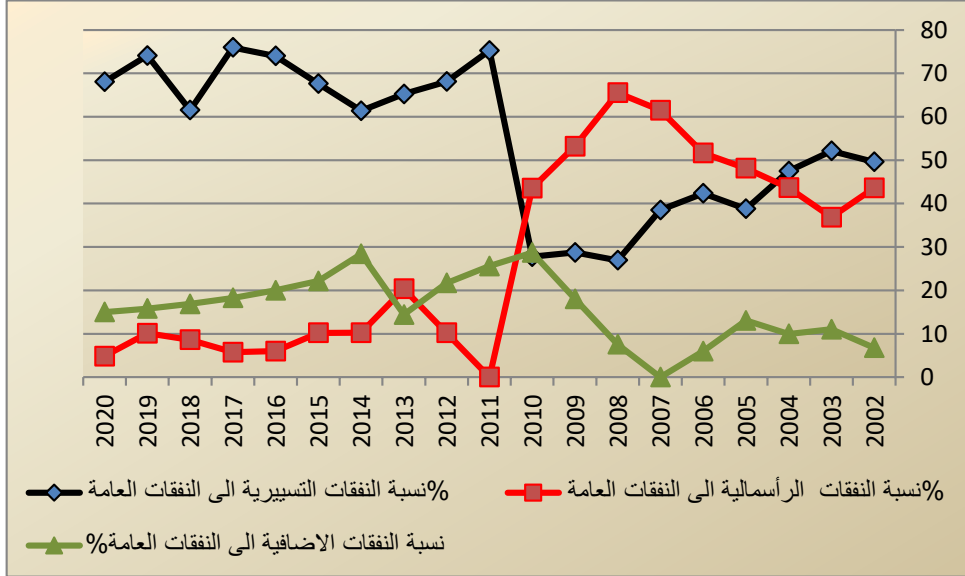
من الجدول رقم (2) والشكل (2) يلاحظ أن نسبة النفقات التسييرية إلى النفقات العامة قد انخفضت من 49.60% عام 2002 إلى 26.92% عام 2008 وهي أدنى مستوى لها خلال فترة الدراسة، ويعود ذلك إلى ظهور آثار الازمة المالية العالمية التي انعكست على أسعار النفط في اسواق النفط الدولية، تم زادت إلى 75.96% عام 2017 وهي أعلى مستوى لها خلال فترة الدراسة تم انخفضت بعد ذلك إلى 68.03% عام 2020، ويعود ذلك إلى ارتفاع سعر النفط، حيث سجل سعر الخام البرميل الواحد إلى 43.42 دولار عام 2017. في حين كانت نسبة النفقات الرأسمالية إلى النفقات العامة قد سجلت نحو 43.62% عام 2002 تم بدا بالتذبذب بالارتفاع والانخفاض حتى وصل إلى 4.83% عام 2020 وهي أدنى مستوى له مقابل أكبر نسبة سجلت خلال فترة الدراسة 65.52% عام 2008 وكانت أقل نسبة 4.83% عام 2020، ويعود هذا الانخفاض الحاد في النسبة إلى عدم اهتمام الدولة بالنفقات الرأسمالية وتوقف المشروعات الاستثمارية والتركيز على النفقات التسييرية لتغطية نفقات الباب الأول من الميزانية العامة المخصص للمرتبات وبقية البنود ذات العلاقة والتي تمس حياة المواطنين مباشرة مثل دعم التموين والمحروقات والكهرباء ... وغيرها. أما نسبة النفقات الاضافية إلى النفقات العامة قد سجلت نحو 6.78% عام 2002 تم زادت إلى 28.71% عام 2010، ويعود ذلك إلى قيام الدولة بزيادة الاهتمام بالنواحي الامنية والعسكرية ووضع الترتيبات اللازمة الامنية، تم بعد ذلك انخفضت النفقات إلى 15.01% عام 2020 بسبب الهدوء السائد بعد احداث عام 2011.

جدول (2) النفقات العامة والنفقات التسييرية والرأسمالية في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

(بالمليون دينار)

نسبة النفقات الإضافية إلى النفقات العامة %	النفقات الإضافية (الامنية والعسكرية)	نسبة النفقات الرأسمالية إلى النفقات العامة %	النفقات الرأسمالية	نسبة النفقات التشغيلية إلى النفقات العامة %	النفقات التشغيلية	النفقات العامة	الفترة
6.78	575.0	43.62	3701.7	49.61	4210.3	8487.0	2002
11.05	758.5	36.85	2530.0	52.11	3577.7	6866.2	2003
9.98	889.6	43.65	3890.0	47.49	4232.0	8911.6	2004
13.06	2788.0	48.13	10273.0	38.80	8282.0	21343.0	2005
6.01	1285.0	51.64	11039.0	42.35	9054.0	21378.0	2006
-	-	61.50	18993.0	38.50	11890.0	30883.0	2007
7.57	3337.4	65.52	28903.3	26.92	11874.8	44115.5	2008
18.05	6440.4	53.21	18983.9	28.74	10252.9	35677.2	2009
28.71	15648.1	43.54	23729.4	27.75	15121.3	54498.8	2010
25.62	5986.4	-	-	75.24	17580.1	23366.5	2011
21.71	11708.6	10.20	5500.0	68.10	36733.0	53941.6	2012
14.41	9408.5	20.34	13276.5	65.25	42598.5	65283.5	2013
28.39	12439.8	10.23	4482.4	61.38	26892.0	43814.2	2014
22.17	9570.9	10.22	4411.9	67.62	29196.1	43178.9	2015
20.02	5841.4	5.99	1747.6	73.98	21582.3	29171.3	2016
18.26	5970.0	5.77	1887.7	75.96	24834.3	32692.0	2017
16.87	6626.8	8.63	3390.4	61.53	24172.3	39286.4	2018
15.79	7235.0	10.12	4637.5	74.08	33940.5	45813.0	2019
15.01	5600.0	4.83	1801.0	68.03	25382	37310.0	2020
16.64	6228.30	29.67	9065.46	57.97	20078.12	35889.87	متوسط الفترة

المصدر: النفقات العامة والتشغيلية والرأسمالية والإضافية اعتماداً على البيانات المنشورة من مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، أعداد مختلفة. أما الأعمدة أرقام 3 و5 و7 احتسبت من قبل الباحثة بالاعتماد على مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، أعداد مختلفة.



الشكل (2) نسبة النفقات التسييرية والرأسمالية والاضافية إلى النفقات العامة في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

المصدر: الجدول رقم (2).

3.2 مساهمة النفقات العامة ومكوناتها إلى الناتج المحلي الإجمالي:

هناك عدة من المؤشرات التي وضعها الاقتصاديون لهذا الغرض من بينها مؤشر نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي التي توضح الدور الاقتصادي للنفقات العامة طالما أن الناتج المحلي الإجمالي يمثل الزيادة في السلع الاستهلاكية والسلع الرأسمالية المنتجة خلال فترة زمنية معينة، وفيما يلي مدى مساهمة النفقات العامة ومكوناتها التسييرية والرأسمالية إلى الناتج المحلي الإجمالي في ليبيا:

1.3.2 نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي ،

من خلال تتبع البيانات الجدول رقم (3) والشكل رقم (3) يلاحظ أن نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي نحو 32.75% عام 2002 تم انخفضت إلى 21.43% عام 2004 تم زادت إلى 58.61% عام 2010 وهي أعلى نسبة حققتها خلا فترة الدراسة تم بعد ذلك انخفضت بشكل تدريجي حتى وصلت إلى 36.85% عام 2020، وقد بلغ متوسط النسبة نحو 43.33% خلال فترة الدراسة، ويعود انخفاض النفقات العامة بفعل السياسة المالية الانكماشية التي اعتمدها الدولة منذ 2004. وبالمقاييس النسبي إلى الناتج المحلي الإجمالي تكون نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي منخفضة، لأن مؤشر زيادة النسب تدل على مدى تدخل الدولة في النشاط

الاقتصادي وعدم الاهتمام بالقطاع الخاص، أما في حالات زيادة النسب هذا يعني عدم تدخل الدولة وفسح المجال أمام القطاع الخاص، ويرجع ذلك إلى فعل السياسة المالية الانكماشية التي تشرف عليه وزارة الخزانة وتنتج النفقات العامة نحو الزيادة

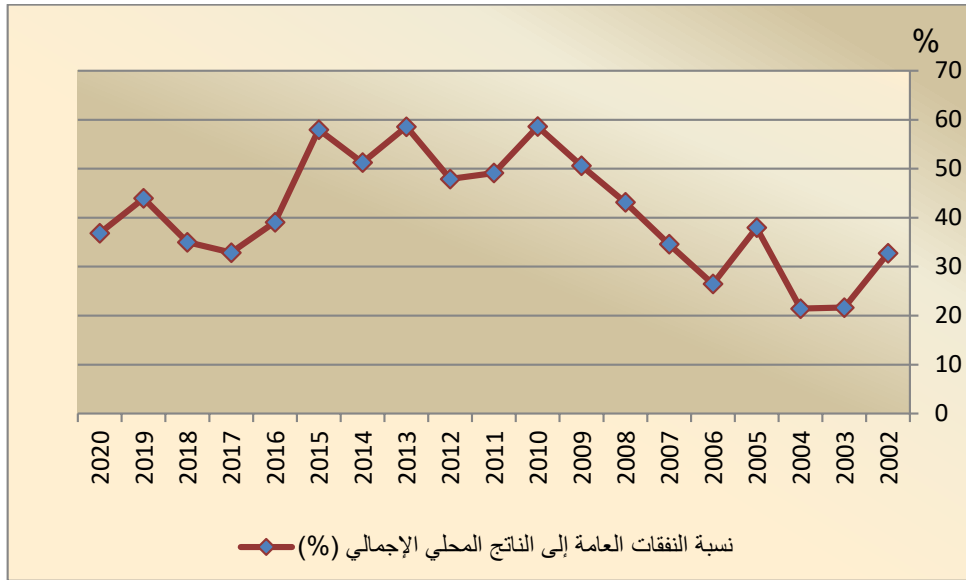
جدول (3) نسبة النفقات العامة والتسييرية والرأسمالية إلى الناتج

المحلي الاجمالي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

(بالمليون دينار)

الفترة	الناتج المحلي الإجمالي	النفقات العامة	نسبة النفقات العامة إلى الناتج الاجمالي %	النفقات التسييرية	نسبة النفقات التسييرية إلى الناتج المحلي الاجمالي %	النفقات الرأسمالية	نسبة النفقات الرأسمالية إلى الناتج الاجمالي %
2002	25914.1	8487.0	32.75	4210.3	16.25	3701.7	14.28
2003	31731.8	6866.2	21.64	3577.7	11.27	2530.0	7.97
2004	41577.0	8911.6	21.43	4232.0	10.18	3890.0	9.36
2005	56213.0	21343.0	37.97	8282.0	14.73	10273.0	18.28
2006	80729.9	21378.0	26.48	9054.0	11.22	11039.0	13.67
2007	89260.3	30883.0	34.60	11890.0	13.32	18993.0	21.28
2008	102242.9	44115.5	43.15	11874.8	11.61	28903.3	28.27
2009	70493.3	35677.2	50.61	10252.9	14.54	18983.9	26.93
2010	92978.2	54498.8	58.61	15121.3	16.26	23729.4	25.52
2011	47549.5	23366.5	49.14	17580.1	36.97	-	-
2012	112591.0	53941.6	47.91	36733.0	32.63	5500.0	4.88
2013	111438.6	65283.5	58.58	42598.5	38.23	13276.5	11.91
2014	85484.5	43814.2	51.25	26892.0	31.46	4482.4	5.24
2015	74477.5	43178.9	57.98	29196.1	39.20	4411.9	5.92
2016	74652.6	29171.3	39.08	21582.3	28.91	1747.6	2.34
2017	99496.2	32692.0	32.86	24834.3	24.96	1887.7	1.90
2018	112250.0	39286.4	35.00	24172.3	21.53	3390.4	3.02
2019	104180.8	45813.0	43.97	33940.5	32.58	4637.5	4.45
2020	101243.0	37310.0	36.85	25382	25.07	1801.0	1.78
متوسط الفترة	84139.12	35889.87	43.33	20078.12	23.94	9065.46	11.50

المصدر: مصرف ليبيا المركزي، النشرات الاقتصادية، أعداد مختلفة.
ملاحظة: تقاس نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الاجمالي بقسمة النفقات العامة على الناتج المحلي الإجمالي.



الشكل (3) نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

المصدر: الجدول رقم (3).

في شكل قفزات متسارعة، فضلاً عن كونها في الغالب ما تكون زيادة ظاهرية، إذ أن دور السياسة المالية محدود وإن النفقات العامة تحدد بصورة رئيسية بناءً على مستوى أسعار النفط الدولية التي تحدد الإيرادات النفطية، ويرجع ذلك إلى أن السياسة المالية لا تستخدم بشكل نشط يحقق الاستقرار الاقتصادي، بل من الواضح أن النفقات العامة يجري تحديدها عند توافر الإيرادات الممولة لها من الإيرادات النفطية. فارتفاع العوائد النفطية ينجم عنه زيادة العملات الأجنبية الداخلة إلى الدولة، وهذه الزيادة ستحقق ارتفاعاً في الودائع الحكومية لدى السلطات النقدية مما يؤدي إلى تنامي قوة مركز الحكومة النقدي، الأمر الذي يتمخض عنه زيادة في النفقات العامة.

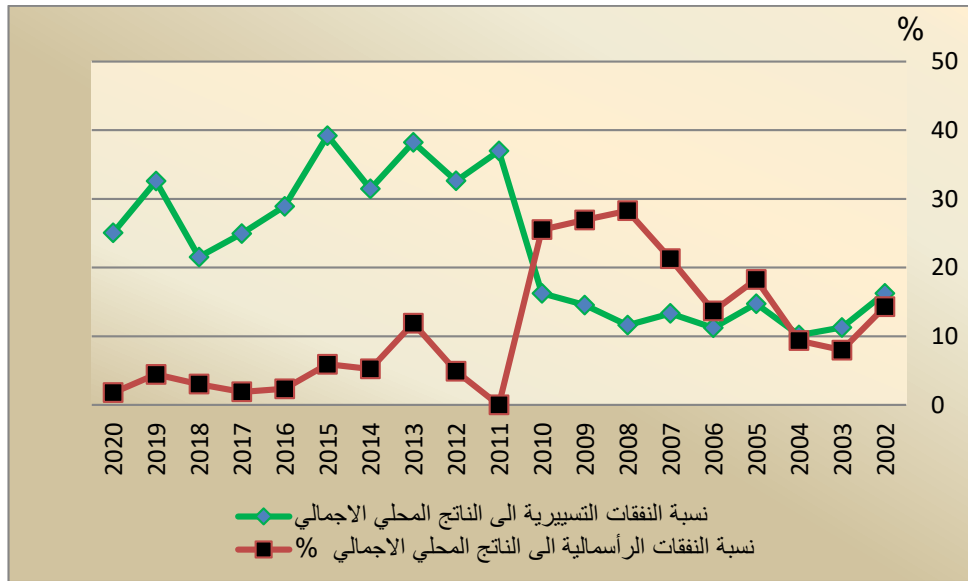
2.3.2 نسبة النفقات التسييرية إلى الناتج المحلي الإجمالي:

من خلال تتبع البيانات في الجدول رقم (3) والشكل رقم (4) يلاحظ أن نسبة النفقات التسييرية إلى الناتج المحلي الإجمالي انخفضت من 16.25% عام 2002 إلى 10.18% عام 2004 ثم زادت بشكل تدريجي إلى أن وصلت إلى 36.397% عام 2011 ثم انخفضت 25.07% عام 2020، وبلغ المتوسط نحو 23.94% خلال فترة الدراسة ويرجع ذلك إلى التذبذب في النسبة إلى ارتباط النفقات التسييرية بتذبذب أسعار

النفط الدولية، ويلاحظ أن أكبر نسبة سجلها عام 2011 بسبب التوسع في النفقات التشغيلية الناتجة من زيادة الباب الأول من الميزانية العامة في بند مرتبات العاملين في القطاع العام، وهذا يعني أن زيادة النفقات التشغيلية تكون على حساب النفقات الرأسمالية.

3.3.2 نسبة النفقات الرأسمالية إلى الناتج المحلي الإجمالي:

يطلق على نسبة النفقات الرأسمالية إلى الناتج المحلي الإجمالي أحياناً بالميل المتوسط للنفقات الرأسمالية، ومن خلال تتبع بيانات الجدول رقم (3) والشكل رقم (4) يلاحظ أن نسبة النفقات الرأسمالية إلى الناتج المحلي الإجمالي انخفضت من 14.28% عام 2002 إلى 7.97% عام 2003 ثم زادت إلى 28.27% عام 2008 وهي أكبر نسبة سجلتها النفقات الرأسمالية، كما بلغ المتوسط نحو 11.50% خلال فترة الدراسة. ثم انخفضت إلى 1.78% عام 2020 خلال نفس الفترة على الرغم من الاتجاه السعودي الجلي للنفقات العامة، إلا أنه هناك اتجاه تنازلي واضح بالمقابل في اتجاه النفقات الرأسمالية وهذا ما يؤكد أن الدولة لا تعطي أي أهمية أو أولوية للنفقات الرأسمالية رغم أهميته الاقتصادية على زيادة النمو الاقتصادي والبطالة والتضخم.



الشكل (4) نسب النفقات التشغيلية والرأسمالية إلى الناتج المحلي الإجمالي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

المصدر: الجدول رقم (3).

4.2 متوسط نصيب الفرد من النفقات العامة:

يستخدم هذا المؤشر لقياس مستوى الرفاه الاجتماعي الذي يتمتع به الفرد الواحد من السكان بالمقارنة مع فترات زمنية مختلفة، فإذا زاد نصيب الفرد الواحد من النفقات العامة فإن ذلك يدل على أن النفقات العامة تتزايد بمعدل أكبر من معدل النمو السكان ويعكس ارتفاع في مستوى الإشباع من الحاجات العامة، وبالتالي فإن هذه الزيادة تعتبر زيادة حقيقية في النفقات العامة التي تؤدي لزيادة حصة الفرد من إشباع الحاجات والعكس صحيح في حالة انخفاض في نصيب الفرد من النفقات العامة.

ومن خلال الجدول رقم (4) ورقم (5) والشكل رقم (5) يلاحظ أن متوسط نصيب الفرد للنفقات العامة قد تراوح ما بين 1090.98 دينار كحد أعلى عام 2013 ونحو 157.02 دينار كحد أدنى له عام 2002 خلال فترة الدراسة، وكان أعلى معدل نمو سنوي 143.40% عام

جدول (4) متوسط نصيب الفرد للنفقات العامة والتسييرية والرأسمالية في ليبيا خلال الفترة

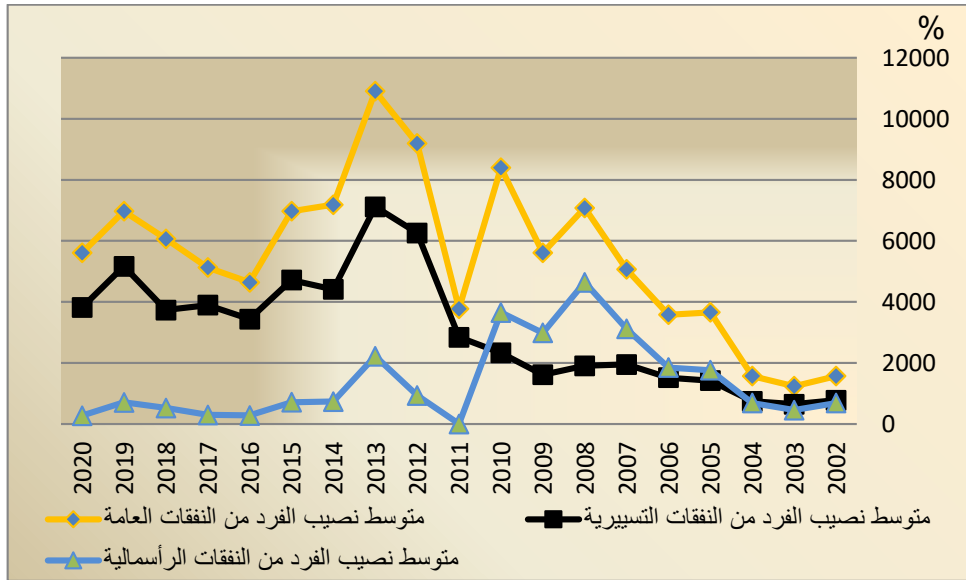
2020-2002

الفترة	عدد السكان (بالآلاف نسمة)	النفقات العامة (بالمليون دينار)	متوسط نصيب الفرد من النفقات العامة (دينار)	النفقات التسييرية (بالمليون دينار)	متوسط نصيب الفرد من النفقات التسييرية (دينار)	النفقات الرأسمالية (بالمليون دينار)	متوسط نصيب الفرد من النفقات الرأسمالية (دينار)
2002	5.405	8487.0	157.02	4210.3	77.90	3701.7	68.49
2003	5.542	6866.2	123.89	3577.7	64.56	2530.0	45.65
2004	5.687	8911.6	156.70	4232.0	74.42	3890.0	68.40
2005	5.837	21343.0	365.65	8282.0	141.89	10273.0	175.99
2006	5.973	21378.0	357.91	9054.0	151.58	11039.0	184.82
2007	6.097	30883.0	506.53	11890.0	195.01	18993.0	311.51
2008	6.228	44115.5	708.31	11874.8	190.67	28903.3	464.09
2009	6.360	35677.2	560.96	10252.9	161.21	18983.9	298.49
2010	6.491	54498.8	839.61	15121.3	232.96	23729.4	365.57
2011	6.188	23366.5	377.61	17580.1	284.10	-	-
2012	5.869	53941.6	919.09	36733.0	625.88	5500.0	93.71
2013	5.985	65283.5	1090.76	42598.5	711.75	13276.5	221.83
2014	6.097	43814.2	718.62	26892.0	441.07	4482.4	73.52
2015	6.192	43178.9	697.33	29196.1	471.51	4411.9	71.25
2016	6.282	29171.3	464.36	21582.3	343.56	1747.6	27.82
2017	6.378	32692.0	512.57	24834.3	389.37	1887.7	29.60

متوسط نصيب الفرد من النفقات الرأسمالية (دينار)	النفقات الرأسمالية (بالمليون دينار)	متوسط نصيب الفرد من النفقات التسييرية (دينار)	النفقات التسييرية (بالمليون دينار)	متوسط نصيب الفرد من النفقات العامة (دينار)	النفقات العامة (بالمليون دينار)	عدد السكان (بالآلاف نسمة)	الفترة
52.35	3390.4	373.20	24172.3	606.55	39286.4	6.477	2018
70.60	4637.5	516.68	33940.5	697.41	45813.0	6.569	2019
27.07	1801.0	381.51	25382	560.80	37310.0	6.653	2020
147.26	9065.46	323.82	20078.12	578.98	35889.87	6.460	متوسط الفترة

المصدر: مصرف ليبيا المركزي، النشرات الاقتصادية، أعداد مختلفة، وكذلك مجموعة الأمم المتحدة على الرابط: <https://data.albankaldawli.org/country/LY>

المتوسطات من احتساب الباحثة.



الشكل (5) متوسط نصيب الفرد من النفقات العامة والتسييرية والرأسمالية في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

المصدر: الجدول رقم (4).

2012 وأقل معدل نمو سنوي -55.03 % عام 2011، حيث بلغ المتوسط للفترة قيد الدراسة نحو 578.98 دينار، يعود السبب إلى زيادة عدد السكان بمعدل أقل من زيادة النفقات العامة الأمر الذي يعكس انخفاض حصة الفرد من حاجاته العامة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أثر النمو السكاني يعد من أهم العوامل المحددة لزيادة النفقات العامة بالأسعار الجارية. أما متوسط نصيب الفرد للنفقات التسييرية يتراوح ما بين 711.75

آثار النفقات العامة على النمو الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2002م-2020م

دينار كحد أعلى عام 2013 و64.56 دينار كحد أدنى عام 2003، وكان أكبر معدل نمو سنوي 120.30% عام 2012 وأقل معدل نمو سنوي نحو 27.14%- عام 2016، حيث بلغ المتوسط للفترة قيد الدراسة نحو 323.82 دينار، ويعود سبب التذبذب إلى أن هذه النسبة المنخفضة من النفقات الرأسمالية إلى إجمالي النفقات العامة مسؤولة عن بقاء البنية التحتية متخلفة ومتهاككة، وما نجم عنه من عدم تنوع القاعدة الإنتاجية وبقاء الاقتصاد الليبي اقتصاد ريعي وحيد الجانب ومنكشف على العالم الخارجي يهيمن عليه القطاعات الاستخراجية إنتاجاً وتصديراً. أما متوسط نصيب الفرد للنفقات الرأسمالية يتراوح ما بين 221.83 دينار كحد أعلى عام 2013 ونحو 45.65 دينار كحد أدنى عام 2003، وكان أكبر معدل نمو سنوي 157.30% عام 2005 وأقل نمو سنوي -66.86% عام 2014، حيث بلغ المتوسط للفترة قيد الدراسة نحو 147.26 دينار، ويعود سبب التذبذب إلى أن الظروف غير الطبيعية لليبيا في ذلك العام والذي حدثت فيها تغيير نظام الحكم وتعطيل معظم مؤسسات الدولة، وهيمنة النفقات التسييرية على النفقات العامة مما أدى الى توقف المشروعات الاستثمارية والتنمية، مما انعكس ذلك سلبياً على مجمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

جدول (5) معدلات نمو متوسط نصيب الفرد للنفقات العامة والتسييرية والرأسمالية في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

الفترة	معدل نمو النفقات العامة	معدل نمو متوسط نصيب الفرد من النفقات العامة	معدل نمو النفقات التسييرية	معدل نمو متوسط نصيب الفرد من النفقات التسييرية	معدل نمو النفقات الرأسمالية	معدل نمو متوسط نصيب الفرد من النفقات الرأسمالية
2002	-	-	-	-	-	-
2003	-19.10	-21.10	-15.03	-17.12	-31.65	-33.35
2004	29.79	26.48	18.29	15.27	53.75	49.84
2005	139.50	133.34	95.70	90.66	164.09	157.30
2006	0.16	-2.12	9.32	6.83	7.46	5.02
2007	44.46	41.52	31.32	28.65	72.05	68.55
2008	42.85	39.84	-0.13	-2.23	52.18	48.98
2009	-19.13	-20.80	-13.66	-15.45	-34.32	-35.68
2010	52.76	49.67	47.48	44.51	25.00	22.47
2011	-57.12	-55.03	16.26	21.95	-100.00	-100.00
2012	130.85	143.40	108.95	120.30	-	-
2013	21.03	18.68	15.97	13.72	141.39	136.72
2014	-32.89	-34.12	-36.87	-38.03	-66.24	-66.86

معدل نمو متوسط نصيب الفرد من النفقات الرأسمالية	معدل نمو النفقات الرأسمالية	معدل نمو متوسط نصيب الفرد من النفقات التسييرية	معدل نمو النفقات التسييرية	معدل نمو متوسط نصيب الفرد من النفقات العامة	معدل نمو النفقات العامة	الفترة
-3.09	-1.57	6.90	8.57	-2.96	-1.45	2015
-60.95	-60.39	-27.14	-26.08	-33.41	-32.44	2016
6.40	8.02	13.33	15.07	10.38	12.07	2017
76.86	79.60	-4.15	-2.67	18.34	20.17	2018
34.86	36.78	38.45	40.41	14.98	16.61	2019
-61.66	-61.16	-26.16	-25.22	-19.59	-18.56	2020
12.92	15.00	14.23	15.14	16.8	17.35	متوسط الفترة

المصدر: احتسبت من قبل الباحثة استناداً على بيانات الجدول رقم (4).

5.2 تطور النفقات العامة والإيرادات العامة في ليبيا:

يرتبط مفهوم النفقات العامة بالإيرادات العامة، حيث يتم قياس الفرق بينهما ف صافي الميزانية في صورة الفائض أو العجز، وتعكس الميزانية العامة أهدافها من خلال النفقات التسييرية والرأسمالية في ظل الإيرادات العامة التي ترسم معالمها ومكوناتها من ضرائب ورسوم جمركية وإيرادات نفطية. ومن خلال الجدول رقم (6) يلاحظ أن الإيرادات غير النفطية زادت من 2023.1 مليون دينار عام 2002 إلى 18324.0 مليون دينار عام 2008 ثم إلى 17538.0 مليون دينار عام 2020 ويعود ذلك إلى الأزمة المالية العالمية في عام 2008 وما رافقها من

جدول (6) تطور النفقات العامة والإيرادات غير النفطية والنفطية في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

الفترة	النفقات العامة	الإيرادات غير النفطية		الإيرادات النفطية		الإيرادات العامة	
		القيمة	الفائض أو العجز المالي	القيمة	الفائض أو العجز المالي	القيمة	الفائض أو العجز المالي
2002	8487.0	2023.1	6463.9-	6551.0	1936-	8574.1	87.1
2003	6866.2	2984.6	3881.6-	3929.0	2937.2-	8040.2	1174
2004	8911.6	3131.0	5780.6-	3125.0	5786.6-	6256	2655.6-
2005	21343.0	2728.0	18615-	34378.0	13035	37106.0	15763
2006	21378.0	3522.0	17856-	43566.0	22188	47088.0	25710
2007	30883.0	4728.0	26155-	48638.3	17755.3	53366.3	22483.3
2008	44115.5	8324.2	35791.3-	64417.0	20301.5	72741.2	28625.7
2009	35677.2	6438.0	29239.2-	35347.0	-330.2	41785.0	6107.8
2010	54498.8	5790.1	48708.7-	55713.0	1214.2	61503.1	7004.3

آثار النفقات العامة على النمو الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2002م - 2020م

الفترة	النفقات العامة	الإيرادات غير النفطية		الإيرادات النفطية		الإيرادات العامة	
		الفائض أو العجز المالي	القيمة	الفائض أو العجز المالي	القيمة	الفائض أو العجز المالي	القيمة
2011	23366.5	983.2	22383.3-	15830.1	-7536.4	16813.3	-6553.2
2012	53941.6	3199.2	50742.4-	66932.3	12990.7	70131.4	16189.8
2013	65283.5	2987.9	62295.6-	51775.7	-13507.8	54763.6	-10519.9
2014	43814.2	1566.7	42247.5-	19976.6	23837.6-	21543.3	22270.9-
2015	43178.9	6245.7	36933.2-	10597.7	32581.2-	16843.4	26335.5-
2016	29171.3	2179.7	26991.6-	6665.5	22505.8-	8845.2	20326.1-
2017	32692.0	3128.6	29563.4-	19209.0	13483-	22337.6	10354.4-
2018	39286.4	15667.8	23618.6-	33475.8	5810.6-	49143.6	9857.2
2019	45813.0	25970.5	19842.5-	31394.7	14418.3-	57365.2	11552.2
2020	37310.0	17538.0	19772-	5280.0	32030-	22818.0	14492-
متوسط الفترة	646017.70	119136.30	526881.4	556801.70	89216.00	677064.50	31046.80

المصدر: مصرف ليبيا المركزي، النشرات الاقتصادية، أعداد مختلفة.

قيم الفائض والعجز من احتساب الباحثة.

انكماش اقتصادي وانخفاض في السيولة النقدية تمثلت بتراجع الطلب على أنواع السلع والخدمات المختلفة، حتى شهدت السوق العالمية انخفاضاً كبيراً في الطلب على النفط الخام، ومن ثم شهد عام 2009 جراً ذلك تدنياً كبيراً في أسعاره، الأمر الذي انعكس سلباً على إيرادات ليبيا من النفط، كما يلاحظ أن نسبة العجز في الميزانية قد حققت نحو 6463.1- مليون دينار عام 2002 وهي بداية فترة الدراسة، ونحو 19772.0- مليون دينار في نهاية فترة الدراسة نحو 35791.3- مليون دينار عام 2020، في حين كانت نسبة الفائض ناتجة من الإيرادات النفطية ومقارنتها بالنفقات العامة بنحو 1936.0- مليون دينار عام 2002 ونحو 32030.0- مليون دينار عام 2020، وقد بلغ متوسط بند الفائض والعجز في الميزانية العامة نحو 31046.80 مليون دينار خلال فترة الدراسة. وعليه سرعان ما تحولت السياسة المالية إلى سياسة انكماشية، ويتضح من الميزانية العامة بأنها ميزانية استهلاكية وليست استثمارية، مما انعكس سلباً على هيكل الاقتصاد الليبي وجعله اقتصاداً غير متنوع.

المحور الثالث: أثر سياسة النفقات العامة على النمو الاقتصادي في ليبيا:

كان الهدف من وضع الخطط والبرامج لتنشيط الاقتصاد الوطني وذلك من خلال زيادة النفقات العامة سواء كانت نفقات تسيرية أو رأسمالية أو إضافية بهدف زيادة معدلات النمو الاقتصادي وتخفيض معدلات البطالة والتضخم، وتعتبر النفقات العامة

من أهم أدوات السياسة المالية، ومع تطور ونمو حجم النفقات العامة أصبح الاهتمام بدراسة الآثار الاقتصادية والاجتماعية للنفقات العامة ومدى تأثيره بالمتغيرات الاقتصادية الأخرى، ولحصر وتحديد بعض تلك المتغيرات في الاقتصادي الليبي خلال الفترة 2002-2020 من خلال مجموعة المتغيرات ومن أهمها التغير في الناتج المحلي الإجمالي الذي يعطي دلالة على مدى نمو أو تدهور النشاط الاقتصادي الليبي.

1.3 أثر النفقات العامة على النمو الاقتصادي في ليبيا:

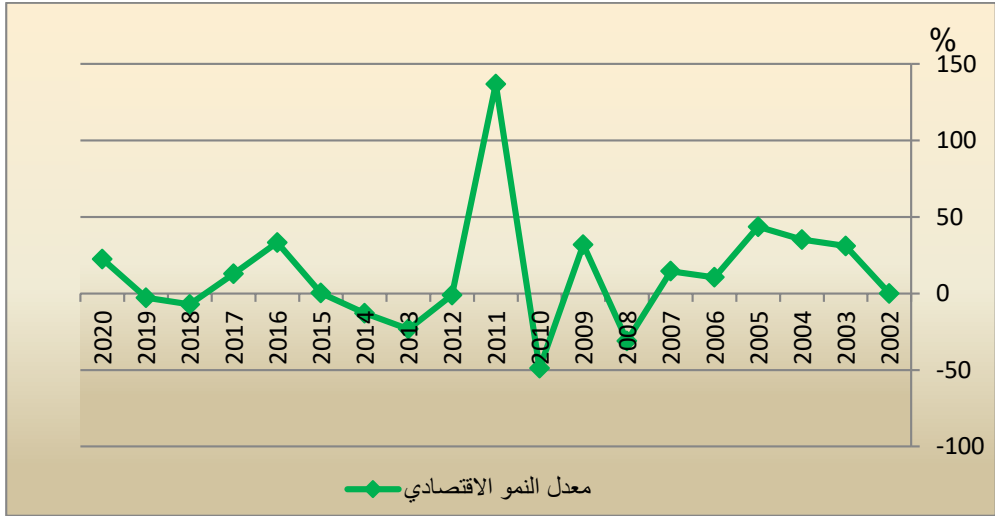
من خلال الجدول رقم (7) والشكل رقم (6) يلاحظ أن معدل النمو السنوي للناتج المحلي الاجمالي قد شهد تذبذب تصاعدياً وتنازلياً حيث سجل عام 2003 نحو 31.03% تم زاد إلى 10.57% عام 2006 تم انخفاض إلى 48.86%- عام 2010 تم زاد إلى 136.79% عام 2011 وهو أعلى مستوى له خلال فترة الدراسة تم أستمر في الانخفاض حتى وصل إلى 22.45% عام 2020، وقد بلغ متوسط معدل النمو الاقتصادي نحو 18.31% خلال فترة الدراسة. وقد لاحظ من خلال فترة الدراسة أن ليبيا تركز بشكل كبير على النفقات التسييرية ولم تولي اهتمام بالنفقات الرأسمالية بالرغم أنها تؤدي إلى زيادة التراكم الرأسمالي الذي سوف يساهم في رفع معدلات النمو ولكن هذه الميزة لم تتحقق في ظل تدني مستوى النفقات الرأسمالية. كما يتضح أن معدل النمو السنوي للنفقات العامة زاد من 31.03% عام 2003 إلى 136.79% عام 2011 وهو أكبر معدل سنوي له خلال فترة الدراسة، تم بعد ذلك استمر التذبذب هبوطاً ونزولاً حتى وصل إلى 22.45% عام 2020، في حين تراوح معدل البطالة ما بين 1.4% كحد أدنى عام 2020 ونحو 25.9% كحد أعلى عام 2016 خلال فترة الدراسة.

ونتيجة لزيادة عدد السكان في ليبيا دون أن يكون هناك استيعاب لسوق العمل لأن التركيبة العمرية للسكان تؤثر على سوق العمل وعلى النمو الاقتصادي من خلال الاختلاف بين الأثر الاقتصادي للفئات العمرية المختلفة. (الأمم المتحدة، 2005: ص41) الامر الذي يؤدي إلى زيادة معدلات البطالة ومن ثم تزداد النفقات العامة، ويلاحظ أن الاتجاه التصاعدي لزيادة معدلات البطالة خلال فترة الدراسة يتناغم مع اتجاه الزيادة في حجم النفقات العامة وهذا يعني أن هناك توسع في النفقات العامة يوازي ارتفاع معدلات البطالة في ليبيا، بسبب زيادة عدد السكان بمعدلات متوازنة مع زيادة معدلات النمو الاقتصادي ومن ثم زيادة النفقات العامة.

جدول (7) النفقات العامة والنتاج المحلي الاجمالي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020
(بالمليون دينار)

النتاج المحلي الاجمالي		النفقات العامة		الفترة
معدل النمو	القيمة	معدل النمو	القيمة	
-	25914.1	-	8487.0	2002
31.03	31731.8	-19.10	6866.2	2003
35.20	41577.0	29.79	8911.6	2004
43.61	56213.0	139.50	21343.0	2005
10.57	80729.9	0.16	21378.0	2006
14.54	89260.3	44.46	30883.0	2007
-31.05	102242.9	42.85	44115.5	2008
31.90	70493.3	-19.13	35677.2	2009
-48.86	92978.2	52.76	54498.8	2010
136.79	47549.5	-57.12	23366.5	2011
-1.02	112591.0	130.85	53941.6	2012
-23.29	111438.6	21.03	65283.5	2013
-12.88	85484.5	-32.89	43814.2	2014
0.24	74477.5	-1.45	43178.9	2015
33.28	74652.6	-32.44	29171.3	2016
12.82	99496.2	12.07	32692.0	2017
-7.19	112250.0	20.17	39286.4	2018
-2.82	104180.8	16.61	45813.0	2019
22.45	101243.0	-18.56	37310.0	2020
13.63	79710.75	18.31	35889.87	متوسط الفترة

المصدر: مصرف ليبيا المركزي، النشرات الاقتصادية، أعداد مختلفة.



الشكل (6) تطور معدل النمو الاقتصادي السنوي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020

المصدر: الجدول رقم (7).

2.3 تقدير النموذج القياسي لأثر النفقات العامة على النمو الاقتصادي في ليبيا:

1.2.3 توصيف النموذج:

تمثل البيانات المستخدمة في الدراسة بسلسلة البيانات المتغير التابع والمتمثل في الناتج المحلي الاجمالي، في حين تتمثل البيانات المتغير المستقل والمتمثل في النفقات العامة. لقد تم استخدام طريقة المربعات الصغرى الاعتيادية (OLS) في احتساب القيم النقدية المستخدمة في هذه الدراسة بالأسعار الجارية، ولقياس أثر النفقات العامة على النمو الاقتصادي خلال الفترة 2002-2020 يمكن استخدام معامل الانحدار البسيط لإيجاد العلاقة بين متغير تابع ومتغيرات أخرى مستقلة، ويمكن التعبير عن ما مدى قوة العلاقة بين المتغيرات المستخدمة في هذه الدراسة، يقوم هذا النموذج على افتراض أن المتغير GDP هو دالة تتوقف على المتغير المستقل G.

ولمعرفة ذلك قياسياً نأخذ صيغة الدالة التالية: (المختار، 2002، ص 97)

$$GDP_t = f(G_t)$$

$$GDP_t = \alpha + \beta G_t + U_t$$

حيث أن GDP تمثل الناتج المحلي الاجمالي ممثلاً للنمو الاقتصادي، G تمثل النفقات العامة.

تكون إشارة المعلمات الآتية موجبة:

$$\beta > 0$$

ولتقدير مدى استجابة المتغير التابع للتغير في المتغير المستقل تم إعادة تقدير الدالة باستخدام المرونات أي استخدام اللوغاريتم الطبيعي لمتغيرات النموذج في حالة نتائج النموذج كانت غير مقبولة، ولنفس فترة الدراسة بدلاً من القيمة المطلقة، والمعادلة هي:

$$\ln \text{GDP}_t = \alpha + \beta \ln G_t + U_t$$

ولاختبار العلاقة بين النفقات العامة وتأثيرها في معدل النمو الاقتصادي؛ يمكن قياس النموذج القياسي للحالة الليبية باستخدام برمجة (Eviews.3) لقياس نموذج الانحدار البسيط.

2.2.3 تقدير النموذج القياسي لأثر النفقات العامة على النمو الاقتصادي:

يقدر النموذج القياسي تأثير النفقات العامة على النمو الاقتصادي ممثلاً بالنتائج المحلي الإجمالي في ليبيا، ويتضمن هذا الجانب من الدراسة تقدير النموذج القياسي ونتائجه، وعند قياس أثر النفقات العامة على النمو الاقتصادي كمؤشر للدلالة على مستويات التطور الاقتصادي من جهة، والطاقة الإنتاجية من جهة أخرى. وقد تمت عملية قياس النموذج باستخدام بيانات عن الاقتصاد الليبي التي تغطي الفترة 2002-2020.

وفيما يلي النموذج القياسي المعتمد على استخدام البيانات المؤثرة على النمو الاقتصادي وفي شكل صورته المعادلة الخطية الآتية:

$$\text{GDP} = 30263 + 1.45 G \quad (1)$$

$$t = (3.74) * (6.74) *$$

$$R\text{-Sq} = 0.728 \quad R\text{-Sq}(\text{adj}) = 0.712$$

$$F = 45.49 \quad D\text{-Watson} = 0.87$$

تشير القيمة ما بين القوسين إلى القيمة t المحسوبة، كما تشير العلامة * إلى مستوى معنوية عند 0.05.

ومن خلال نتائج المعادلة اتضح أن هناك علاقة ارتباط $R\text{-Sq}$ بين المتغير التابع (GDP) والمتغير المستقل (G)، بحيث كانت نسبة هذه العلاقة 72.8% وهذا يعني ان العلاقة قوية بأجود كثافة تركز نقاط المتغير المستقل G والتابع GDP حول خط الانحدار، أما معامل التحديد $R\text{-Sq}(\text{adj})$ الذي يبين دلالة الاحصائية التي تفسر

المتغير المستقل من المتغير التابع، حيث يبين ان قوة العلاقة 27.2% وهذا يعني أن المتغير المستقلة G تؤثر على GDP.

من خلال تحليل البيانات اتضح أن t الجدولية أقل من t المستخرجة، أما تفسير اختبار F بلغ نحو 45.49 وبالتالي فإن قيمة هذا الاختبار تؤكد أن النموذج معنوي وله القدرة على التخطيط والتنبؤ. ولكن اختبار DW يشير إلى حدوث تغيرات في البواقي مما يؤدي إلى تغيرات في قيمة الارتباط الذاتي لنفس القيمة الجدولية للارتباط الذاتي في المعادلة وهي 0.87، وبالتالي فإن قيمة DW تشير إلى عدم تحديد مدى الارتباط، أي يعني أن النموذج المقترح أظهر نتائج تقديرات معاملات الانحدار المقدر إلى وجود ارتباط ذاتي بين النفقات العامة ومعدل النمو الاقتصادي.

علية تم تحويل المعادلة رقم (1) إلى المعادلة رقم (2) باستخدام اللوغاريتمات الطبيعية، لتقدير المعادلة الخطية للفترة 2002-2020 كالاتي:

$$\ln GDP = 4.87 + 0.617 \ln G \quad (2)$$

$$t = (7.05)** \quad (9.19)**$$

$$R-Sq = 0.832 \quad R-Sq(adj) = 0.823$$

$$F = 84.41 \quad D-Watson = 1.22$$

تشير القيمة ما بين القوسين إلى القيمة t المحسوبة، كما تشير العلامة* إلى مستوى معنوية عند 0.05.

هناك علاقة ارتباط R-Sq بين المتغير التابع والمتغير المستقل، بحيث كانت نسبة هذه العلاقة 83.2% وهذا يعني أن العلاقة قوية بأجود كثافة تركز نقاط المتغير المستقل والتابع حول خط الانحدار، أما معامل التحديد R-Sq(adj) الذي يبين دلالة الاحصائية التي تفسر المتغير المستقل من المتغير التابع، حيث يبين ان قوة العلاقة 16.8% وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة G تؤثر في GDP، كما اتضح أن G أكثر مرونة في حين أن GDP عديم المرونة بسبب أن t الجدولية أقل من t المستخرجة، وأن اختبار F بلغ 84.41 وبالتالي فإن النموذج معنوي وله القدرة على التخطيط والتنبؤ. وقد اشار اختبار DW إلى 1.22، وهي قيمة مقبولة وبالتالي عدم وجود ارتباط ذاتي في النموذج بين النفقات العامة والنمو الاقتصادي. وعليه فإن النموذج المقترح أظهر أفضل النتائج من خلال المعادلة اللوغاريتمية، وبهذا يتضح أن المعادلة رقم (2) هي أفضل من المعادلة رقم (1) من حيث النتائج، إذ تبنت أن النفقات العامة مؤثره على التابع الناتج المحلي الاجمالي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020، وأن جميع تقديرات

الإحصائية ملائمة للنظرية الاقتصادية، عليه فإن النفقات العامة تؤدي دوراً مهماً ومحركاً رئيسياً لتحقيق النمو الاقتصادي.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1. لقد سجلت النفقات العامة بالأسعار الجارية نحو 8487.0 مليون دينار عام 2002 إلى 37310.0 مليون دينار عام 2020، حيث تراوح معدل النمو السنوي من 139.50% كحد أعلى عام 2005 إلى -32.44% كحد أدنى عام 2014، ولأجل الوقوف على تطور النفقات العامة في ليبيا والأسباب الحقيقية التي تكمن وراء هذا التطور، لابد من استبعاد التغيرات التي طرأت على القوة الشرائية للنقود، ويكون ذلك من خلال اعتماد الأرقام القياسية للمستوى العام للأسعار.
2. لقد صاحب الزيادة في النفقات العامة زيادة مستمرة في حجمه وتغيّر هيكله، أي زيادة نصيب مكون من مكونات النفقات العامة (التسييرية والرأسمالية والاضافية)، وعلى الرغم من الاتجاه الصعودي للنفقات العامة إلا أنه لا يوجد هناك اتجاه واضح بالمقابل في تغير النفقات التسييرية والرأسمالية تصاعدياً أو تنازلياً، فالتذبذب هو الصفة الغالبة خلال الفترة 2002-2020.
3. انخفاض نسبة النفقات التسييرية إلى النفقات العامة من 49.60% عام 2002 إلى 26.92% عام 2008 وهي أدنى مستوى لها خلال فترة الدراسة، ويعود ذلك إلى ظهور آثار الازمة المالية العالمية التي انعكست على أسعار النفط في اسواق النفط الدولية، تم زادت إلى 75.96% عام 2017 وهي أعلى مستوى لها خلال فترة الدراسة تم انخفضت بعد ذلك إلى 68.03% عام 2020، ويعود ذلك إلى ارتفاع اسعار النفط الدولية، حيث سجل سعر الخام البرميل الواحد إلى 43.42 دولار عام 2017.
4. بسبب ضغط النفقات العامة تتم المفاضلة بين النفقات التسييرية والرأسمالية وعادة ما تكون التضحية بالنفقات الرأسمالية على حساب النفقات التسييرية التي تختص بالأجور والرواتب، وبالتالي فإن الدولة دائماً تتجه نحو التضحية بالنفقات الرأسمالية، لأنها يمكن التحلي عنها وذلك لأن آثارها على أفراد المجتمع تكون غير مباشرة.
5. بلغت نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي نحو 32.75% عام 2002 تم انخفضت إلى 21.43% عام 2004 تم زادت إلى 58.61% عام 2010 وهي

أعلى نسبة حققها خلا فترة الدراسة تم بعد ذلك انخفضت بشكل تدريجي حتى وصلت إلى 36.85% عام 2020، وقد بلغ متوسط النسبة نحو 43.33% خلال فترة الدراسة، ويعود انخفاض النفقات العامة بفعل السياسة المالية الانكماشية التي اعتمدها الدولة مند 2004.

6. يرتبط التذبذب الحاصل في النسبة إلى ارتباط النفقات التسييرية بأسعار النفط الدولية، كما يلاحظ أن أكبر نسبة سجلها عام 2011 بسبب التوسيع في النفقات التسييرية الناتجة من زيادة الباب الأول من الميزانية العامة في بند مرتبات العاملين في القطاع العام.

7. هناك اتجاه تنازلي واضح النفقات الرأسمالية وهذا ما يؤكد أن الدولة لا تعطي أي أهمية أو أولوية للنفقات الرأسمالية رغم أهميتها الاقتصادية على زيادة النمو الاقتصادي.

8. تراوح متوسط نصيب الفرد للنفقات العامة ما بين 1090.98 دينار كحد أعلى عام 2013 ونحو 157.02 دينار كحد أدنى له عام 2002 خلال فترة الدراسة، وكان أعلى معدل نمو سنوي 143.40% عام 2012 وأقل معدل نمو سنوي 55.03% عام 2011، حيث بلغ المتوسط للفترة قيد الدراسة نحو 578.98 دينار، ويعود السبب إلى زيادة عدد السكان بمعدل أقل من زيادة النفقات العامة الأمر الذي يعكس انخفاض حصة الفرد من حاجاته العامة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن اثر النمو السكاني يعد من أهم العوامل المحددة لزيادة النفقات العامة بالأسعار الجارية.

9. لقد اظهر النموذج القياسي المقترح أفضل النتائج من خلال المعادلة اللوغاريتمية رقم (2)، إذ تبث أن النفقات العامة مؤثره على الناتج المحلي الاجمالي ممثلاً للنمو الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2002-2020، وأن جميع التقديرات الإحصائية ملائمة للنظرية الاقتصادية، وأن النفقات العامة تؤدي دوراً مهماً ومحركاً رئيسياً لتحقيق النمو الاقتصادي.

ثانياً: التوصيات:

1. العمل على زيادة فعالية النفقات العامة من خلال تحقيق أكبر عائد وتحقيق معدلات عالية من الادخار على اعتبارها مصدر من مصادر الاستثمار الوطني، وترشيد وضبط النفقات العامة الذي يتطلب إصلاحات في بنود النفقات العامة وجوانبه المتعددة.

2. تحسين كفاءة إدارات النفقات العامة والدين العام ووضع الميزانية العامة من منظور متوسط المدى يأخذ في الاعتبار كافة الموارد المتاحة والأهداف التنموية

- وهذا لا يتأتى إلا بترشيد وضبط النفقات العامة وتطوير وتحسين بنود النفقات العامة من جميع جوانبها المتعددة.
3. تخفيف الاعتماد على قطاع النفط، والعمل على خلق موارد أخرى بديلة للدخل المحلي من خلال التنويع الاقتصادي وخاصة القطاعات الانتاجية.
 4. العمل على كسر حلقة الربط بين تقلبات النفقات العامة وتقلبات الإيرادات العامة وخاصة الإيرادات النفطية، الأمر الذي سيؤدي إلى تفعيل دور السياسة المالية في مواجهة تقلبات الدورة الاقتصادية.
 5. العمل على تفعيل النمو الاقتصادي في ليبيا من خلال وضع استراتيجية تأخذ في الحسبان معدل النمو الاقتصادي المحقق في ليبيا من خلال ارتباطها بالتغيرات الحاصلة في أسعار النفط الدولية والبحث عن مصادر أخرى بديلة تحقق معدل نمو اقتصادي متكافئ.
 6. مراجعة السياسات المالية والنقدية، بما يكفل ترشيد النفقات العامة لاسيما النفقات التسييرية، وتقليص المعروض النقدي بما يتلائم مع حجم المعروض السلعي لكبح جماح التضخم.

المراجع:

أولاً: الكتب:

1. الحمدي، حلمي مجيد محمد، (2000)، "المالية العامة"، الجامعة المفتوحة، ط 1، طرابلس.
2. الوادي، محمود حسين، عزام، زكريا أحمد، (2007)، "مبادئ المالية"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، القاهرة.
3. حشيش، عادل أحمد، (1969)، "أساسيات المالية العامة مدخل لدراسة أصول الفن المالي للاقتصاد العام"، دار المعارف، الاسكندرية.
4. سيجل، باري، (1987)، "النقود والمصارف والاقتصاد وجهة نظر النقديين"، ترجمة: طه عبد الله منصور، عبد الرحمن عبد المجيد، دار المريخ، الرياض.
5. عبد الرحمن، إسماعيل، عريقات، حربي موسى، (1999)، "مفاهيم أساسية في علم الاقتصاد الكلي"، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، عمان.
6. عبد المطلب عبد الحميد، اقتصاديات المالية العامة، الدار الجامعية، القاهرة، 2005.

7. عثمان، سعيد عبد العزيز، (2008)، "المالية العامة مدخل تحليلي معاصر"، الدار الجامعية، الاسكندرية.
8. عجام، ميثم صاحب، (1990)، "المالية العامة: دراسة عن الاقتصاد الليبي"، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس.
9. العلي، عادل، (2011)، "المالية العامة والقانون المالي والضريبي"، إثراء للنشر والتوزيع، عمان.
10. عمرو، حافظ شعيلي، (2006)، "اقتصاديات المالية العامة والسياسة المالية"، منشورات جامعة طرابلس، طرابلس.
11. عمرو، حافظ شعيلي، (2010)، "الاقتصاد التحليلي الكلي"، منشورات جامعة طرابلس، طرابلس.
12. عوض الله، زينب حسين، (1999)، "الاقتصاد الدولي"، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية.
13. فرهود، محمد سعيد، "مبادئ المالية العامة"، دار الحكمة، بيروت، 1999.
14. ناشد، سوزي عدلي، (1988)، "ظاهرة النفقات العامة"، الأوائل للنشر والطباعة، بغداد.
15. نعوش، صباح، (1983)، "المالية العامة ومالية الدول النامية"، كلية الحقوق، الدار البيضاء.

ثانياً: المجالات العلمية:

1. الشامي، سلام، (2014)، "تحليل العلاقة السببية بين انفاق العام والتضخم في الاقتصاد الليبي خلال الفترة 1990-2009"، مجلة العلوم الاقتصادية، العدد 36.
2. بند، رجاء عزيز، كاظم، إيمان عبد الرحيم، (2018)، "أثر السياستين المالية والنقدية في النمو الاقتصادي دراسة قياسية لحالة الاقتصاد العراقي للفترة 1980-2016"، مجلة الدراسات النقدية والمالية للبنك المركزي العراقي.
3. كاظم، علي عبد الله حسين، (2023)، "أثر تطور النفقات العامة في العراق على بعض مؤشرات الاستقرار الاقتصادي للمدة 2006-2020"، مجلة أداب الكوفة العدد 56- ج3.
4. مسعود، زكريا، عز، خليفة، (2017)، "محددات النمو الاقتصادي في الجزائر باستخدام نموذجي FMOLS وECM دراسة قياسية للفترة 1980-2017"، مجلة التنمية والاستشراف للبحوث والدراسات، العدد 7.

ثالثاً: المنشورات والتقارير:

1. الأمم المتحدة، (2005)، النافذة الديموغرافية فرصة للتنمية في الدول العربية، تقرير السكان والتنمية، العدد الثاني، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، نيويورك.
2. مجموعة الامم المتحدة على الرابط:
<https://data.albankaldawli.org/country/LY>
3. مصلحة الاحصاء والتعداد، طرابلس، أعداد مختلفة.
4. مصرف ليبيا المركزي، (أعداد مختلف)، التقرير السنوي.
5. مصرف ليبيا المركزي، (أعداد مختلفة)، النشرة الاقتصادية.

سوسيولوجيا المعرفة وأسسها النظرية كارل مانهايم نموذجًا

د. وداد ابوبكر الجديد

قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بني وليد

المستخلص:

إن سوسيولوجيا المعرفة تهتم بدراسة العلاقة بين صور المعرفة من جهة، والبنى الاجتماعية من جهة أخرى، ويعد (كارل مانهايم) من المفكرين الذين أسهموا في إرساء قواعد سوسيولوجيا المعرفة، وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على ماهية سوسيولوجيا المعرفة وأسسها النظرية، والتعرف على موضوعها عند (كارل مانهايم)، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن سوسيولوجيا المعرفة تهتم بدراسة وتحليل الأفكار والأيديولوجيات السائدة في المجتمع، ويؤكد (كارل مانهايم) أن سوسيولوجيا المعرفة تسعى إلى فهم المجتمعات الإنسانية في إطارها التاريخي الذي يعبر عن تطور الفكر، وقد ميز بين نوعين من الأفكار الاجتماعية هما الأيديولوجيا واليوتوبيا كموضوعات أساسية في مجال سوسيولوجيا المعرفة.

الكلمات المفتاحية: كارل مانهايم، الأسس النظرية، سوسيولوجيا، المعرفة.

المقدمة

شهد القرن العشرين تطورًا واضحًا للأصول والقواعد التي تحكم علم اجتماع المعرفة، حيث ظهرت جملة من الآراء والنظريات تؤكد تأثير المعرفة بالعامل الاجتماعي، وأصبحت تبحث في مواضيع عديدة تطرح المقيدات الاجتماعية للمعرفة ودور العوامل الاجتماعية في طبيعة تشكيل العلم، فظهرت الآراء التي تدعو للانطلاق من المجتمع وما يحكمه من أفكار ومعارف بدلاً من الانطلاق العقلية الفردية، فبرزت فكرة التأكيد على تقييم العلم والمعرفة من خلال الأسباب والدواعي الخارجية بدلاً من المنطق الداخلي، وبالتالي ارتبطت المعرفة بالمجتمع وأصبحت سوسيولوجيا المعرفة أحد فروع علم الاجتماع الهامة والتي تصف علاقة المعرفة بالمجتمع، وبذلك اهتمت بدراسة مختلف العلاقات الجدلية القائمة بين الانساق الرمزية والبنى الاجتماعية، فالأفكار السائدة في المجتمع تتجسد في العديد من أشكال التفاعلات بين الأفراد والجماعات، كما أنها مرتبطة بالجنور التاريخية التي تنصهر فيها وبالسياق الحضاري الذي تظهر وتنمو فيه، وبالتالي تسعى سوسيولوجيا المعرفة لتحليل العلاقات المختلفة بين البنى الذهنية والأنظمة الاجتماعية، فنشأة المذاهب الفلسفية والدينية والسياسية والعلمية تخضع لتأثيرات السياق الاجتماعي التي تشكلت فيه وللشروط الموضوعية لانساق المجتمع الذي ولدت فيه، فالوجود الاجتماعي يؤثر على بروز مختلف أشكال المعرفة الإنسانية، كما تسهم الأفكار والآراء والتمثلات في تغيير واقع المجتمع وتطويره أو المحافظة على استقراره، ويعتبر (كارل مانهايم) من أبرز علماء الاجتماع الذين أسهموا في سوسيولوجيا المعرفة من خلال محاولته لإبراز الطابع الجمعي للمعرفة، وتصنيف أساليب الفكر والتمييز بين الأفكار الاجتماعية، وتوضيح العلاقة بين الجماعات الاجتماعية، وحاول تحليل السياق التاريخي للفكر وربطه بالبناء الاجتماعي في المجتمع بهدف صياغة منطقية لمفهوم المعرفة الاجتماعية، ولأهمية دور اسهامات كارل مانهايم في حقل سوسيولوجيا المعرفة جاء اختيار موضوع الدراسة في ميدان علم اجتماع المعرفة، وقد تضمنت الدراسة في إطارها النظري على موضوع الدراسة وتساؤلاتها وأهمية الدراسة وأهدافها، ثم منهج الدراسة وتحديد المفاهيم ذات الصلة بموضوع الدراسة، ومباحث الدراسة حيث يعرض المبحث الأول: سوسيولوجيا المعرفة وأسسها النظرية، والمبحث الثاني: تناول أهمية سوسيولوجيا المعرفة وخصائصها، اما المبحث الثالث: فتناول موضوع سوسيولوجيا المعرفة عند كارل مانهايم ثم نتائج الدراسة والتوصيات وأخيرًا الملاحق.

موضوع الدراسة:

لقد مهدت الأطر النظرية والمنهجية لعلم الاجتماع في دراسة المجتمع دراسة علمية، لنشأة وظهور فرع من فروع علم الاجتماع العام يهتم بدراسة المعرفة وهو سوسيولوجيا المعرفة، فمفهوم المعرفة له خصوصية نظراً للجدل والاختلاف حول موضوعها واهتمامها بالإنسان وعلاقته بغيره من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويعد (كارل مانهايم) من العلماء المؤسسين لعلم اجتماع المعرفة فقد ساهم في تحديد مجالاته ومنهجه وتأكيد على الطابع الاجتماعي للمعرفة، إلا أن هذا الحقل المعرفي لم ينل اهتمام الكثير من الباحثين والأكاديميين في مجال علم الاجتماع وخاصة على المستوى المحلي، ولأهمية هذا الموضوع واستشراف اسهامات (كارل مانهايم) في ميدان المعرفة جاء اختيار موضوع الدراسة ومحاولة الإجابة عن مجموعة تساؤلات كمساهمة نظرية في حقل سوسيولوجيا المعرفة وهي:-

- 1 - ما سوسيولوجيا المعرفة؟ وما أسسها النظرية؟
- 2 - ما أهمية سوسيولوجيا المعرفة؟
- 3 - ما موضوع سوسيولوجيا المعرفة عند كارل مانهايم؟

أهمية الدراسة:

- 1 - تأتي أهمية هذه الدراسة في وقت تشهد فيه المجتمعات حركة تطوير وتحديث شاملة، والتأكيد على أن العلم ككل، وعلم اجتماع المعرفة كجزء من العلم أداة فعالة في بناء وتنمية المجتمع.
- 2 - تتجلى أهمية هذه الدراسة لكونها إحدى الدراسات الاجتماعية التي تهتم بالتعرف على سوسيولوجيا المعرفة وأسسها النظرية، وبالتالي فإنها تساعد على تنمية الاتجاهات العلمية واستخدامها في معالجة القضايا المجتمعية.
- 3 - وتكمن أهمية الدراسة أيضاً في كونها مساهمة بحثية علمية لإثراء المعرفة بأقسام علم الاجتماع والمكتبات، ويستفيد منها المتخصصون والباحثون في مجال علم اجتماع المعرفة.

أهداف الدراسة:

- 1 - التعرف على سوسيولوجيا المعرفة وأسسها النظرية.
- 2 - التعرف على أهمية سوسيولوجيا المعرفة.

3 - التعرف على موضوع سوسيولوجيا المعرفة عند كارل مانهايم.

منهج الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي القائم على الوصف وجمع المعلومات وتنظيمها، واعتمدت الباحثة في جمع أدبيات الدراسة على الأسلوب المكتبي، وذلك للإلمام بمتطلبات الدراسة نظريًا وصياغة موضوعها وتحقيق أهدافها والتوصل إلى نتائج الدراسة.

مفاهيم الدراسة:

1 - المعرفة: -

المعرفة "هي أوسع وأشمل من العلم ويقصد بها إحاطة العلم بالشيء، أي أنها تتضمن معارف علمية وغير علمية، ويمكن التفريق بين المعرفة العلمية وغير العلمية على أساس أسلوب البحث العلمي ومناهجه، فمن يتبع أسلوب البحث العلمي وطرائقه يتمكن من الكشف عن الحقائق، أي أنه يصل إلى المعرفة العلمية"، (محمود، 2014: ص 14 - 15) والمعرفة "هي مجموعة المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولات متكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به، والمعرفة على أنواعها فمنها الاستدلالية، والمعرفة التجريبية، والمعرفة الحسية، والمعرفة العامة". (دكاك، 2021: ص 15)

2 - نظرية المعرفة "الابستمولوجيا": -

تعرف نظرية المعرفة "بأنها تقييم للحصيلة العلمية والموضوعية والمنهجية للعلوم ونتائجها، وإظهار تأرجحها بين الذاتية والموضوعية، وتقييم مناهجها مما يجعل منها وعيًا نقديًا للعلم الموضوعي، وينظر إليها باعتبارها نظرية الإنتاج النوعي للتصورات العلمية أي أنها النظرية التي تهتم بتشكيل نظريات كل علم على حده". (عبد، هارون، طيبي، 2017: ص 113)

3 - سوسيولوجيا المعرفة: -

"هي العلاقة المحورية بين المعرفة والمجتمع، وهي عبارة عن علم الاجتماع المختص بالمعرفة وزواياها، وكان (ماكس شيلر) هو أول من استخدم هذا المصطلح وهو الذي عدّه علمًا وموضوعه دراسة العلائق بين أنماط الحياة الاجتماعية وأقسام

المعرفة المتعددة"، ويعرفها (رابرت مارتن) "بأنها تهتم بالعلاقة القائمة بين المعرفة والعوامل الخارجية في المجتمع أو الثقافة". (مجموعة من الباحثين، 2011: ص 135)

المبحث الأول: سوسيولوجيا المعرفة وأسسها النظرية

1 - ماهية سوسيولوجيا المعرفة: -

سوسيولوجيا المعرفة هي علم دراسة محددات المعرفة بواسطة الوجود الاجتماعي، فهي تدرس محددات وجود المعرفة، والمحددات الاجتماعية والثقافية للتفكير، وما يميز سوسيولوجيا المعرفة قدرتها على النظر إلى المنتجات الذهنية على المدى البعيد بأنها تتأثر بالظروف الاجتماعية والثقافية والتي تستند الأولى على الثانية، ويعد كل واحد منهما هاماً للآخر، وسوسيولوجيا المعرفة في منظورها الاجتماعي تؤكد على الخاصية الاجتماعية للمعرفة في دراستها للظواهر الاجتماعية، أي التعامل مع ما ينبع من المعرفة من خلال الأفراد في جماعات، وهذه الخصائص السوسيولوجية للجماعة تحدد إلى حد كبير مضمون المعرفة والمقياس الذي يحدد شكلها، حيث يتم إنتاج المعرفة من قبل أفراد يتفاعلون مع بعضهم في المجتمع، وبالتالي تعبر هذه المعرفة عن القيم والاتجاهات الاجتماعية للمجتمع. (الزويد، 2010: ص 22)

وتهتم سوسيولوجيا المعرفة بدراسة الترابطات الوظيفية من جهة، والأطر الاجتماعية من جهة ثانية، أي دراسة المجتمع في شموليته، وعناصره الاجتماعية الجزئية كالتبقات الاجتماعية والتجمعات الخاصة، وبذلك تدرس العلاقة بين المتغيرات لأنواع المعرفة الناتجة عن التحولات الحضارية وأيضاً شتى التعقيدات الاجتماعية التي تندرج تحت الضوابط الاجتماعية. (غورفيتش، 2008: ص 23)

وسوسيولوجيا المعرفة تعد امتداداً لنظرية المعرفة "الابستمولوجيا في الفلسفة" لكونها تبحث في صحة الأعمال الفكرية المتنوعة والسائدة في المجتمع، واهتمت بتفسيرها وربطها بالمعلومات التي توصل إليها علماء الاجتماع عن طريق التجربة وربطها بالظروف والتحولات الاجتماعية التي تعزز تلك المعارف بأسس التفكير المنطقي، وأصبح لسوسيولوجيا المعرفة مكانة مهمة في مجال البحث السوسيولوجي تزداد أهميتها يوماً بعد يوم، نتيجة لما تشهده المجتمعات المعاصرة من تعاظم في الاعتماد على أشكال المعرفة المختلفة حيث يقول (هولستر): " إنه إذا كان علم اجتماع المعرفة هو في جوهره بحث نقدي في قدرة المجتمع على المعرفة والتعلم فإنه قد أصبح اليوم بالنظر إلى الظروف الراهنة، ليس فقط مشروعاً نظرياً، بل أيضاً مشروعاً علمياً،

لأن البحث في صياغة المعرفة وأساليب استخدامها هو في الأساس بحث في قدرة المجتمعات على التعامل مع المتغيرات المحيطة بها وتحقيق أقصى معدلات التنمية". (دكاك، مرجع سبق ذكره: ص 27 - 28)

2 - الأسس النظرية لسوسيولوجيا المعرفة: -

شهدت الفترات السابقة نظريات أولية وجذورًا أساسية تناولت طبيعة العلاقة بين الفكر والواقع الاجتماعي، فقد بحث علماء الاجتماع مسألة المعرفة ومصادرها الحقيقية وحاولوا الوصول إلى مصادر اجتماعية تركز إليها المعرفة، فربطوا المعرفة بالأصل الاجتماعي والثقافي، وأصبح الوجود الاجتماعي هو مصدر الحقيقة، وتمثل ذلك في آراء (دوركايم، وماكس شيلر، وفرانسس بيكون، وكارل مانهايم، وسوروكين)، ومن قبلهم (ابن خلدون) والتي كانت بصدد بيان دور المجتمعات ومكانة الواقع الاجتماعي في بناء المعرفة والفكر، (إسماعيل، د. ت: ص 60) وبالتالي امتازت سوسيولوجيا المعرفة عن بقية مناهج العلوم بتداخل شخصية الباحث مع الفعل الاجتماعي لأن المعرفة فيها هي معرفة كل ما هو موجود في المجتمع من أشياء مادية ومعنوية لها صلة بالمجتمع أو من إنتاجه، تعبر عنها بطريقة نظرية من الناتج الذهني أو بطريقة عملية من خلال السلوك الاجتماعي، داخل بيئة طبيعية يهيئها الباحث للتجربة، وأصبح لسوسيولوجيا المعرفة أساس نظري ومنهجي، يستوعبها الباحث لينطلق في التحليل الاجتماعي داخل المجتمع، ويتعامل مع العلاقات والظواهر بطريقة مباشرة. (الجبوري، 2021: 390)

وسوسيولوجيا المعرفة ذات طابع تطبيقي فهي علم نظري يعبر عن نظريته من خلال منهجيته البحثية، وأيضاً هو منهج بحث يعبر عن منهجيته من خلال نظريته، وبذلك تتشابه حدوده المنهجية مع مضامينه المعرفية، فالأمر لا يتعلق بمجرد صياغة تامة ونهائية لقواعد المنهج السوسيولوجي المعرفي، فالمنهج هو مجرد تجريد عن العلم ذاته ولا ينفصل عنه، بل ينتظم بالموازرة مع العلم نفسه، (فوكوني، موس، 2016: ص 17)

ويمكن تحديد شكلين من البحث في سوسيولوجيا المعرفة **الأول**: هو البحث التجريبي ومهمته الوصف والتحليل البنوي للطرق والأساليب التي ينتج عنها تأثير الوقائع الاجتماعية على الفكر، **والثاني**: هو الدراسة والتحقيق في نظرية المعرفة وفلسفة العلوم حيث تختص سوسيولوجيا المعرفة بمهمة التحري عن هوية العلاقة في صحة المعرفة وصلاحها، ويعد الشكل الأول من البحث بحثًا امبريقياً ميدانياً، لأن وظيفته هي التحري

الميداني في الحقائق الاجتماعية، أما الشكل الثاني فهو بحث إبستمولوجي نظري يضبط النتائج ذات العلاقة بالفكر الناتج عن الواقع الاجتماعي. (البندر، 2020: ص 56)

ونخلص إلى أن سوسولوجيا المعرفة جاءت استجابة لعقليات الظروف الاجتماعية في المجتمعات الإنسانية، لفحص العلاقة بين نشأة الظاهرة الاجتماعية وطبيعة المرحلة التاريخية في المجتمع، وأيضاً للنظر في العلاقة بين النظرية السوسولوجية المعرفية وبين البناء القيمي أو التوجه الأيديولوجي للأفراد والجماعات. (السملوطي: 1989، 507)

المبحث الثاني: أهمية سوسولوجيا المعرفة سوسولوجيا المعرفة أهميتها وخصائصها:

تأتي أهمية الدراسات السوسولوجية للمعرفة من خلال محاولات البحث في الأفكار والمعارف الإنسانية التي تتطور وتتناقل في المجتمع، والعوامل التي أدت إلى وجودها ومدى مطابقتها لمنطق التطور التاريخي حيث اهتمت بما هو مثالي أي أنماط التفكير وإنتاج المعرفة، وبما هو واقعي إي العلاقات السببية وتأثير العوامل الواقعية على هذه الأنماط والنماذج المعرفية، (نجم، 1998: ص 199) ويمكن تحديد أهمية هذا الفرع من علم الاجتماع في الوقوف عند جملة أمور أهمها: الموضوعية في التعامل مع المعرفة بأنواعها ومصادرها، والتي لها أكثر من دلالة أولها: دلالتها القيمية والتي تعنى النزاهة في القصد والتجرد من العواطف الذاتية، وثانيها: دلالتها المعرفية التي تشير إلى أن تكون الأفكار انعكاساً صحيحاً وأميناً للواقع، فسوسولوجيا المعرفة حسب رأي (أينشتاين) هي "إعادة بناء لاحق للواقع، وإنها نظريات وتصورات تدنو من الحقيقة شيئاً فشيئاً، ولكنها لن تصل إليها أبداً"، أما (بوان كاريه) فيرى "أن يكون فيها ما هو علمي وموضوعي تصوراً مشتركاً لأذهان كثيرة، ويمكن بالتالي نقله من واحد إلى آخر". (أحمد، 2018: ص 156)

وزادت أهمية سوسولوجيا المعرفة والارتقاء بها في المرتبة الأولى بين العلوم الاجتماعية في عصر التطور التكنولوجي لوسائل الإعلام والاتصال المختلفة، والتي فرضت تحولات كبيرة في عملية الاتصال والتواصل بين الأفراد، وأصبحت ذات فاعلية في إنتاج الحدث والمحتوى مما أنتج أفكار وممارسات جديدة شكلت تنظيمًا اجتماعياً وثقافياً واسعاً يمارس سلطته على المجتمعات، فسرعة انتشار المعلومات داخل المجتمعات الإنسانية لها تأثيرها البالغ على أنظمة المجتمع الاجتماعية والثقافية.

(الجبور، 2021: ص 42) وهو ما يجعل سوسيولوجيا المعرفة تسعى إلى دراسة الآلية الاجتماعية التي تتشكل فيها المعرفة وكيف تؤثر على الأفراد والمجتمع، وتوظيف البحوث ونتائج الدراسات في مجال سوسيولوجيا المعرفة وذلك لترشيح المعارف والأفكار والقيم الإيجابية في المجتمعات المعاصرة التي أصبح الفرد فيها يتلقى وينهل من كل المعارف بما فيها من إيجابيات وسلبيات تنعكس على المجتمع بأكمله. (هويدي، الزايدي: 2017، ص 113)

سوسيولوجيا المعرفة ذلك الفرع الذي يهتم بدراسة العلاقة بين صور المعرفة من جهة، والبيئات الاجتماعية من جهة أخرى، ويمكن تحديد أهم خصائصها في التالي: —

- 1 - تهتم بالمعارف والأفكار والأيديولوجيات السائدة في المجتمع بطريقة علمية وموضوعية حول المجتمع وبنياته الفرعية وعلاقة ذلك بأفراده الفاعلين.
- 2 - تُبنى على منظومة أوليات تنقسم إلى قسمين **أولها:** بديهيات المعرفة بمختلف أشكالها سواء كانت حسية أو فلسفية، **وثانيها:** المسلمات التي تُبنى عليها القوانين الأولية.
- 3 - تقوم على تراكمية المعارف العمودية أو الامتداد الخطي المباشر الذي يُبنى فيه الجديد على القديم، فالمعرفة ليست منفصلة عن سبقتها بل مكملتها لها ومتفاعلة معها، وهذا التفاعل والتكامل يسهم في البناء التدريجي والتراكمي للمعرفة الإنسانية. (أحمد، 2017: ص 23)

المبحث الثالث: موضوع سوسيولوجيا المعرفة عند كارل مانهايم

1 - المعرفة السوسيولوجية عند كارل مانهايم:

يعد (كارل مانهايم)* من أبرز العلماء والمفكرين الذين أسهموا في إثراء سوسيولوجيا المعرفة من خلال تحديد مجالاتها ومنهجها وتأكيداتها على اجتماعية المعرفة، حيث طرح أفكاره في كتابه "الأيديولوجيا واليوتوبيا"، (* لمعرفة المزيد عن كارل مانهايم انظر: الملحق رقم 1) وقد عرف مانهايم سوسيولوجيا المعرفة بأنها "العلم الذي يدرس المنتوجات الذهنية أو الثقافية كالأيديولوجيا السياسية، والفلسفة والعلم والتكنولوجيا والمذاهب الأخلاقية والقانونية بصفاتها تابعة للعامل الاجتماعي"، ويذهب إلى أن أبنية المجتمع مترابطة وظيفيًا من خلال المعرفة فكانت نظريته كلية فلسفية من هذا الجانب، وبذلك ابتعد عن مفهوم الشمول والعمومية حيث حددها ضمن نطاق علمي من خلال اجتماع المعرفة على أنه "منهج للبحث الاجتماعي التاريخي يتعقب جذور

الأشكال المختلفة التي حصلت خلال التطور العقلي الذي قطعتة الإنسانية"، (الجبوري، 2012: ص 218) وقدم مانهايم عدة مبادئ لسوسيولوجيا المعرفة أهمها ما يلي: -

1 - إن سوسيولوجيا المعرفة ليست كالفلسفة، فالفلسفة تبدأ من دراسة الأفكار الفردية ثم تنتقل إلى البحث في القيم التجريدية، أما سوسيولوجيا المعرفة فتسعى إلى فهم المجتمعات الإنسانية في إطارها التاريخي الذي يعبر عن تطور الفكر.

2 - سوسيولوجيا المعرفة لا تفصل الفكر عن سياقه الاجتماعي الذي نشأ فيه، فالعوامل الاجتماعية لها دور في تفسير هيمنة أيديولوجيات معينة في المجتمع دون غيرها، ويرى أن التقسيم الطبقي في المجتمع يوضح اختلاف نظام التفكير بين طبقة اجتماعية وأخرى. (أبو عليان، 2017: ص 77 - 87)

حاول (كارل مانهايم) بناء رؤية علمية حول المعرفة الاجتماعية من خلال تحديد منهج بحث لسوسيولوجيا المعرفة بطرحه لعدة تساؤلات حول طرق تأسيس معرفة اجتماعية موضوعية في ظل التناقضات الفكرية والاختلافات الأيديولوجية داخل المجتمع، فاستخدم هذا المنهج حتى يتمكن من صياغة واضحة للمعارف الناتجة عن النمط الفكري المعاصر وفهمه، ولم يقبل مانهايم مناهج العلوم الطبيعية وإسقاطها على سوسيولوجيا المعرفة، وإنما قبل جزءاً منها ويذهب إلى أن المفاهيم لها عدة معاني ولكل معنى ثلاث مستويات هي الموضوعي، والتعبيري، والتوثيقي. (ناصر، 2002: ص 75)

2 - موضوع المعرفة السوسيولوجية عند كارل مانهايم:

ينطلق مانهايم بتحليلاته لموضوعات سوسيولوجيا المعرفة من خلال التمييز بين نوعيين من الأفكار الاجتماعية هما الأيديولوجيا واليوتوبيا، ويرى أن الأيديولوجيا هي "مجموعة الأفكار التي تعكس مصالح الفئات الاجتماعية المسيطرة ومن شأنها أن تحافظ على الوضع الراهن"، أما اليوتوبيا فهي "مجموعة الأفكار التي تمثل رؤى الفئات الاجتماعية المسيطر عليها والتي تدعو إلى تغيير الواقع الراهن، حتى لو جاء ذلك بالطرق الثورية، وغالباً ما تعمل الفئات الاجتماعية المعارضة على تعزيز هذا النوع من الأفكار"، وقد حدد أربعة أشكال للفكر اليوتوبي وهي: النسق اليوتوبي المنغلق فكرياً، والنسق اليوتوبي الليبرالي، والفكر اليوتوبي المحافظ، والفكر اليوتوبي الاشتراكي. (أبو عليان، مرجع سبق ذكره: ص 111)

ويميز مانهايم بين نوعين من الأيديولوجيا الأول: النوع الجزئي الذي يتمثل في الموقف الشكي والذي يحوي كل الأقوال الخاصة التي يكون زيفها ناجماً عن خداع

المرء لنفسه أو خداعه للآخرين سواء كان خداعاً متعمداً أو غير متعمد، مدرّكاً أو غير مدرّك أو لاشعوري، وهو خداع يحدث على المستوى النفسي، وتعتبر سوسيولوجيا المعرفة هذا النوع من الأيديولوجيا بالذات موضوع دراستها، إذ تدرسها كما هي عليه في تيارات الفكر الاجتماعي والجماعات التاريخية المختلفة، وهي لا تنتقد الفكر على مستوى هذا الموقف الشكي ذاته الذي ينطوي على خداع وتمويه، ولكنها تفحص هذا الموقف الشكي على المستوى البنوي أو الفكري الذي ترى أنه ليس بالضرورة مشتركاً لدى كل الناس، ويتيح له أن يتخذ أشكالاً ومظاهر مختلفة خلال مراحل التطور التاريخي، أما **الثاني**: النوع الكلي باعتباره يشير إلى الاهتمام بالبحث بتحديد الزمان والمكان والتي تقوم البنى الاجتماعية فيهما بالتعبير عن نفسها في بنية التأكيدات، وإلى أن يهتم البحث أيضاً بتبين حدود البنى الاجتماعية والتي تؤثر على بنية التأكيدات، (مانهايم، 1980: ص 310 - 311) وقد حدد مانهايم حلين لمشكلة مكونات المعرفة هما: -

- **النسبية**: والتي تحتاج إلى منهج تاريخي اجتماعي يؤكد بأن التفكير مرتبط بالواقع الاجتماعي، وذلك لعدم إدراك الفكر القديم للتفاعل بين البيئة الاجتماعية ونمط الفكر، ورفض المعرفة التي تعتمد على وجهة النظر الذاتية، لذلك كانت المعرفة نسبية، إي النسبية لا تتعامل مع المعرفة كقوالب ثابتة في كل زمان ومكان، بل تتغير بتغير الظروف الاجتماعية والتاريخية.

- **العلائقية**: التي ترفض وجود أفكار يتم تصورها كحقيقة مطلقة مستقلة عن الذات، وليست لها صلة بالواقع الاجتماعي، لأن ما هو مفهوم في التاريخ لا يصاغ إلا في ضوء مفاهيم تنشأ من خلال الخبرة التاريخية. (أبو عليان، مرجع سبق ذكره: 112)

ويبرز الموضوع الأساسي في فكر (كارل مانهايم) في كيفية تأثير البيئة الاجتماعية في منظومات الفكر المرافقة لها، بما في ذلك سوسيولوجيا المعرفة نفسها، فقدم تحليل للعوامل المجتمعية التي كان لها دور في ظهور علم الاجتماع العام، وعلم اجتماع المعرفة تحديداً، ويرى أن الإنسان لم يكتشف ماهية هذا العلم وطبيعته في الحقب التاريخية السابقة، لأن الشروط المجتمعية لم تكن مناسبة لتطور هذا العلم، ويمكن أن يؤخذ على تحليلات مانهايم وهي أن المعرفة الاجتماعية وفق تحليله يمكن أن تتغير أيضاً مع تغير الشروط المجتمعية المحيطة بها، مما يقلل من مصداقية المعرفة ويجعل منها معرفة نسبية أسوة بالمعارف الأخرى، وكذلك علماء الاجتماع يمكن أن ينقسموا

بين مفكرين أيديولوجيين ومفكرين يوتوبيين في ذات الوقت، ويسعى كل منهم لتعزيز الرؤيا والأفكار الخاصة بهم والتي هي نتاج لشرط حياتهم المجتمعية.

نتائج الدراسة النظرية: -

1 - سوسولوجيا المعرفة تسعى إلى دراسة الآلية الاجتماعية التي تتشكل فيها المعرفة، وكيف تؤثر على الأفراد والمجتمع، وتوظيف البحوث ونتائج الدراسات في مجال المعرفة الاجتماعية، وذلك لترشيح المعارف والأفكار والقيم الإيجابية في المجتمعات المعاصرة.

2 - تهتم سوسولوجيا المعرفة بدراسة وتحليل الأفكار والأيديولوجيات السائدة في المجتمع بطريقة علمية وموضوعية حول المجتمع وبنياته الفرعية وعلاقة ذلك بأفراده الفاعلين.

3 - أكد كارل مانهايم على أن سوسولوجيا المعرفة تهتم بدراسة المنتوجات الذهنية أو الثقافية كالأيديولوجيا السياسية، والفلسفة والعلم والتكنولوجيا والمذاهب الأخلاقية والقانونية بصفتها تابعة للعامل الاجتماعي.

4 - يرى مانهايم أن سوسولوجيا المعرفة ليست كالفلسفة، فالفلسفة تبدأ من دراسة الأفكار الفردية ثم تنتقل إلى البحث في القيم التجريدية، أما سوسولوجيا المعرفة فتسعى إلى فهم المجتمعات الإنسانية في إطارها التاريخي الذي يعبر عن تطور الفكر.

5 - حاول مانهايم بناء رؤية علمية حول المعرفة الاجتماعية من خلال تحديد منهج بحث لسوسولوجيا المعرفة بطرحه لعدة تساؤلات حول طرق تأسيس معرفة اجتماعية موضوعية في ظل التناقضات الفكرية والاختلافات الأيديولوجية داخل المجتمع، وقد ميز مانهايم بين نوعين من الأفكار الاجتماعية هما الأيديولوجيا واليوتوبيا كموضوعات أساسية في مجال سوسولوجيا المعرفة.

ومن خلال العرض النظري لدراسة ووصولاً لنتائجها يمكن أن نخلص إلى مجموعة من التوصيات أهمها ما يلي: -

1 - الاهتمام بحقل سوسولوجيا المعرفة وخاصة على المستوى المحلي، وتكوين رؤية سوسولوجيا جديدة تحقق الاندماج والترابط مع ما يتناسب من معارف وأفكار وأيديولوجية المجتمع المعاصر.

2 - مواكبة العلوم والمعارف المتجددة من خلال عقد المؤتمرات والندوات العلمية والأكاديمية التي تهتم ببناء سوسولوجيا المعرفة الخاصة بالمجتمعات العربية تستقي

مادتها النظرية من طبيعة البنى الاجتماعية لهذه المجتمعات، وذلك من منظور حاجة الأقسام العلمية الاجتماعية في المرحلة الجامعية لهذا الحقل.

3 - تطبيق مفهوم ومعايير الجودة النوعية للموضوعات التي يهتم بها حقل سوسيولوجيا المعرفة والتي احتلت مكاناً بارزاً في الفكر السوسيولوجي المعاصر لتعدد جهات النظر وتباين الآراء بين المفكرين والمهتمين بهذا الحقل، مع مراعاة التميز بين موضوعاتها، وموضوعات حقل النظرية الاجتماعية وفقاً لهذه المعايير العلمية.

قائمة المراجع:

أولاً: الكتب العربية والمترجمة: -

- (1) أبو عليان، بسام محمد، (2017): "محاضرات في علم اجتماع المعرفة"، مكتبة الطالب الجامعي، خانيونس.
- (2) أحمد، عزت السيد، (2017): "الأيديولوجيا والعلم العلاقة بين الأيديولوجيا والعلم والفهم"، دار فن وعلم، طرابلس.
- (3) إسماعيل، قباري محمد، (د.ت): "الفلسفة في ضوء علم الاجتماع"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- (4) السملوطي، نبيل محمد توفيق، (1989): "الأيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية"، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية.
- (5) الجبور، امال، (2021): "الشباب بين الحقيقة وايدولوجيا الاعلام"، الناشر وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
- (6) الجبوري، شفيق إبراهيم صالح، (2012): "علم اجتماع المعرفة عند ابن خلدون دراسة نظرية تحليلية"، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط2.
- (7) دكاك، أمل حمدي، (2021): "علم الاجتماع المعرفي"، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- (8) عبة، رشيدة؛ وهارون، غنيمة؛ وطبيبي، سيد أحمد؛ وآخرون، زيتوني (ترجمة)، (2017): "ابستمولوجيا العلوم الإنسانية في الفكر العربي والفكر الغربي المعاصر"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.
- (9) غورفيتش، جورج، خليل (ترجمة)، (2008): "الأطر الاجتماعية للمعرفة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3.

- (10) فوكوني، بول؛ وموس، مارسيل، كريملي (ترجمة)، (2016): "السوسيولوجيا موضوعها ومنهجها"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط.
- (11) مانهايم، كارل، الديريني (ترجمة)، (1980): "الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة"، الناشر شركة المكتبات الكويتية، ط1.
- (12) مجموعة من الباحثين، (2011): "سوسيولوجيا المعرفة جدلية العلاقة بين المجتمع والمعرفة الدينية"، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.
- (13) محمد الزيود، إسماعيل، (2010): "علم الاجتماع"، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- (14) محمود، محمد نائف، (2014): "الاقتصاد المعرفي"، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
- (15) نجم، طه، (1998): "علم اجتماع المعرفة"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

تانياً: الدوريات: -

- (16) احمد، دناقة، (2018): "المعرفة السوسيولوجية وسوسيولوجيا المعرفة بين العقل والتجربة الحضارية"، مجلة دراسات، المجلد 7، العدد 1، كلية الآداب واللغات، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر.
- (17) البندر، عقيل، (2020): "سوسيولوجيا المعرفة ... تبويب ونقد"، مجلة الدليل، السنة 3، العدد 8، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث الفكرية، العراق.
- (18) الجبوري، شفيق إبراهيم صالح، (2021): "النظرية والمنهج في علم اجتماع المعرفة واجتماعية المعرفة العلمية"، مجلة آداب الرفادين، السنة 51، العدد 87، جامعة الموصل، العراق.
- (19) ناصر، معارك، (2002): "مفهوم المعرفة الاجتماعية عند كارل مانهايم"، مجلة دراسات، المجلد 5، العدد 1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.
- (20) هويدي، عبد الباسط؛ زايد، فتحية، (2017): "المعرفة العلمية في ظل مجتمع المعرفة"، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد 1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.

ملحق رقم 1 (*)

السيرة الذاتية للعالم (كارل مانهايم)



المصدر: خالد محمد الدوس، العالم الألماني (كارل مانهايم) مؤسس علم اجتماع المعرفة <https://www.al-jazirah.com>

ولد العالم الراحل (كارل مانهايم) عام 1893 في مدينة بودابست المجرية من أم ألمانية وأب مجري، وبعد أن أنهى تعليمه العام التحق بجامعة (أوتفوش لوراند) في المجر، وواصل تعليمه العالي في جامعة (هايدلبرغ الألمانية) وتحصل على شهادة الدكتوراه تخصص "الفلسفة في علم الاجتماع"، وكان متأثرًا بالعالم الألماني والفيلسوف جورج سيميل، وفي عام 1926 بدأ العمل الأكاديمي في كلية العلوم الاجتماعية (بجامعة هايدلبرغ) تحت إشراف عالم الاجتماع الألماني (الفريد فيبر) شقيق عالم الاجتماع (ماكس فيبر)، وبعد سنوات قليلة من العمل بجامعة هايدلبرغ انتقل للعمل خلال الفترة (1929 - 1933) أستاذًا لعلم الاجتماع والاقتصاد السياسي في جامعة (غوته الألمانية) ثم انتقل إلى بريطانيا وعمل محاضرًا في كلية لندن للاقتصاد، وفي عام 1946 تم تعيينه في معهد التربية والتعليم، ويعتبر (كارل مانهايم) من مؤسسي علم الاجتماع الكلاسيكي كما يعد المؤسس الحقيقي (لعلم اجتماع المعرفة)، وعلم اجتماع المعرفة فرع جديد من فروع علم الاجتماع ظهر في ألمانيا بداية القرن العشرين والذي تجسد في أبحاث (كارل مانهايم) حيث يدرس الصراع الأيديولوجي والبيوتوبي الكلي للتفكير الاجتماعي، وبذلك كان مانهايم من الأوائل الذين أسسوا علم اجتماع المعرفة والذي يحدد المعرفة الاجتماعية كروية جديدة مع التحول الاستمولوجي إلى علم الاجتماع المعرفي الذي يبحث العلاقة بين المعرفة والمجتمع، ومن أهم مؤلفاته كتاب (الأيديولوجيا والبيوتوبيا) والذي نشر في عام 1929 باللغة الألمانية ثم أعاد كتابته باللغة الإنجليزية تحت عنوان (الأيديولوجية والبيوتوبيا مقدمة في علم اجتماع المعرفة) في عام 1936.

الدلالات اللفظية في تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي 606هـ

أ. عبدالحكيم إبراهيم السحيري

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب الأصابعة، جامعة غريان

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى المساهمة في إبراز جهود الإمام الرازي في استنباط الأحكام الشرعية من خلال تفسيره للآيات، وتوظيف دلالات الألفاظ من خلال عرضه للشواهد التي ساقها للوقوف على منهجه الذي اتبعه.

ولبلوغ تلك الأهداف فقد جعلت هذه الدراسة مبسطة سردية، لضيق مساحة البحث فما هو إلا ورقات علمية خالية من التفصيل المطول في التنقيب عن الدلالات الأصولية عند هذا المفسر، فاكتفيت بالتعريف بهذا العلم، وتفسيره، وأهم الدلالات التي تناولها بشيء من التفصيل، فضلا عن ذلك: عرجت على الاشتراك والحقيقة والمجاز عنده، كما توقفت عند أهم وأبرز القواعد الأصولية التي ذكرها في إذ تناولتها وسقت شواهد عليها محاولا إبراز جهوده الأصولية في استنباط الأحكام من خلال هذه القواعد المتمثلة في الوجوب والندب والإباحة والكرهية، فضلا عن توظيف العام، والخاص والأمر والنهي وصيغهم، كما توصلت إلى جملة من النتائج مفادها إمام الرازي بعلم الأصول وعنايته بدراسة الدلالات الأصولية، والتفسيرية، وتوظيفها من خلال تفسيره في إثراء الأحكام فضلا عن مناقشته للمسائل الأصولية.

الكلمات المفتاحية: الرازي - دلالة - التفسير الكبير - استنباط - قاعدة - علم الأصول.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
بادئ ذي بدء أود أن أوضح أن من أهم غايات علم أصول الفقه معرفة قواعد استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة جميعها ترجع إلى مصدرين: الكتاب والسنة، إما بطريق مباشر أو غير مباشر ولغتهما العربية، ولذا كانت اللغة العربية واحدة من ثلاثة يستمد منها علم الأصول فلا يتأتى للفقهاء استنباط الأحكام إلا بعد الوقوف على ألفاظ اللغة العربية، وكيفية دلالتها على الأحكام، وما فيها من المباحث اللغوية التي لها عظيم الأثر في استخراج الأحكام الشرعية، ومن ثم نالت رعاية واهتماماً من الأصوليين تليق بمكانتهما.

وقبل الشروع في تناول الدلالات اللفظية حري بي أن أعرف بصاحب تفسير مفاتيح الغيب محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري. من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه. الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة أربع وأربعين وخمسائة، وأشتغل على والده، وكان، من تلامذة محيي السنة البغوي وهو فريد عصره، ونسيج وحده، شهرته تغني عن إنقضاء فضائله، وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة، وله "التفسير الكبير"، و"المحصل" في أصول الفقه، و"شرح الأسماء الحسنى"، و"شرح المفصل للزمخشري"، و"مناقب الشافعي" وغير ذلك، وتوفي ب - هراة - سنة 606هـ (طبقات المفسرين-1/100)، من أعظم مصنفاة وأشهرها تفسير الكبير المعروف بـ(مفاتيح الغيب).

يقسم الجمهور من الشافعية ومن وافقهم دلالة الألفاظ الوضعية إلى قسمين أساسيين هما: المنطوق والمفهوم، ووجه الحصر: أن اللفظ إما أن يدل في محل النطق أولاً، والأول يسمى منطوقاً والثاني مفهوماً، لأن السامع إما أن يتلقى كلاماً موضوعاً لغةً لمعنى وقصد المتكلم، فيفهم ذلك المعنى ضرورة بدون زيادة ولا نقصان ويسمى حينئذٍ منطوقاً لأنه مدلول عليه في محل النطق، وإما أن يفهم معنى زائداً دل عليه اللفظ لا في محل النطق فيسمى هذا المعنى مفهوماً، وتفصيلهما كما يلي:

أولاً: دلالة المنطوق وهي: " ما دل عليه اللفظ في محل النطق " أي: يكون حكماً للمذكور وحالاً من أحواله سواء ذكر ذلك الحكم ونطق به أو لا، ومثالها: دلالة قوله تعالى: (وَرَبَّانِيكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نَّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ) [النساء: 23] على تحريم نكاح الربيبية في حجر الرجل من زوجته التي دخل بها.

ثانياً: دلالة المفهوم وهي: " ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق " وذلك بأن يكون حكماً لغير المذكور وحالاً من أحواله، ثم إن المفهوم ينقسم إلى مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة

: لأن حكم غير المذكور إما موافق لحكم المذكور نفيًا وإثباتًا وهذا هو مفهوم الموافقة، ويسمى فحوى الخطاب ولحن الخطاب، وإما ألا يكون كذلك وهو مفهوم المخالفة ويسمى دليل الخطاب، ومثال مفهوم الموافقة: فَهَمْ تَحْرِيْمُ الضَّرْبِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ) [الإسراء: 23] حيث عُلِمَ من حال التأنيف، وهو في محل النطق، حال الضرب، وهو غير محل النطق مع الاتفاق في إثبات الحرمة فيهما ومثال مفهوم المخالفة: أن يفهم من مفهوم الشرط في قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْ أَوْلَاتٍ حَمَلٍ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق: 6] أنهن إن لم يكنَّ أولات حمل فأجلهن بخلافه .

أما اللفظ المفرد من حيث دلالاته على المعنى: فهو إما أن يدل على معنى واحد موضوع له في أصل اللغة، وهذا هو الأصل، وإما أن يدل على معنيين أو أكثر من أصل الوضع، فهذا يسمى المشترك، وإما أن يدل على معناه الذي وضع له في أصل اللغة، ويسمى الحقيقة، وإما أن يدل على معناه المصطلح، ويسمى المجاز. هذه أقسام اللفظ من حيث دلالاته على المعنى، وسأعرض لمنهج الإمام الرازي - رحمه الله - في هذه الأقسام، ومن ثم سأبين أثر منهجه في (مفاتيح الغيب).

الاشتراك والحقيقة والمجاز عند الرازي:

اللفظ المشترك:

"هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعاً أولاً من حيث هما " (المحصول للرازي، 1400هـ-265/1).

يرى الرازي وقوع المشترك في اللغة، وفي كلام الله ورسوله، والأصل عدم الاشتراك واللفظ المشترك من حيث إنه مشترك لا يمكن استعماله في إفادة مفوماته على سبيل الجمع ويعين معناه القرينة إن وجدت (المحصول للرازي، 1400هـ-286/1). **الحقيقة:** " ما أفيد بها ما وضعت له في أصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به " (المحصول للرازي، 1400هـ: 286).

المجاز: " ما أفيد به معنى مصطلح عليه غير ما اصطلاح عليه في أصل تلك المواضع التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الأول " (الرازي، 1400هـ-286/1) ويرى الرازي: أنه يجب حمل اللفظ على الحقيقة والحقيقة عنده ثلاثة أقسام: الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية، والحقيقة الشرعية، فالحاصل: أن الخطاب يجب حمله على المعنى الشرعي ثم العرفي ثم المعنى اللغوي الحقيقي ثم المجاز (الرازي 1400هـ-409/1). ويرى الرازي امتناع أن يكون اللفظ حقيقة ومجازاً بالنسبة لمعنى واحد ووضع واحد (الرازي، 1400هـ: 343/1).

استدلال الرازي بهذه الأصول:

قاعدة اللفظ المشترك :

أثرُ هذه القاعدة واضح في تفسير الرازي تفسيراً وترجيحاً لبعض الأقوال دون بعض.

ومن شواهد ذلك: اختلاف الإمام أبي حنيفة والإمام الشافعي - رضي الله عنهما - في مكان إراقة دم الإحصار بناء على اللفظ المشترك، قال الشافعي: يجوز إراقة دم الإحصار حيث حبس (الجويني، 478ه: 354/4) وقال أبو حنيفة - رضي الله تعالى عنه - : لا يجوز ذلك إلا في المحرم (الكاساني، 587ه: 181/2) .

وسبب الخلاف بينهما: تفسير اللفظ المشترك في قوله تعالى: (وَلَا تَخْلِفُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ) [البقرة: 196]، وهو لفظ (المحل) حيث يعتبر حقيقة في الزمان والمكان، فقال الشافعي - رحمه الله-: المحل في هذه الآية اسم للزمان الذي يحصل فيه التحلل، وقال أبو حنيفة: إنه اسم للمكان (الرازي، مفاتيح الغيب 606ه: 305/5) .

كذلك من الشواهد أيضاً: يبطل استدلال الشيعة بهذه الآية على إمامه سيدنا علي - رضي الله عنه- وهي قول الله: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [المائدة: 55] إذ رد استدلالهم من وجوه عدة من بينها: قاعدة اللفظ المشترك، فقال: " والجواب: أما حمل لفظ الوالي على الناصر وعلى المتصرف معاً جائز لما ثبت في أصول الفقه أنه لا يجوز حمل اللفظ المشترك على مفهوميه معاً " (مفاتيح الغيب للرازي، 606ه: 384/12).

حمل الكلام على حقيقته أولى:

لقد استدلل الرازي بهذه القاعدة، واستعملها في مواضع شتى من تفسيره ، ومثاله تفسير: (شهداءكم) من قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة : 23]، إذ ذكر أكثر من قول، واختار منها أكابر القوم بناء على قاعدة حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز (الرازي، 606ه: 350/12)، (كذلك في اختيار اختار معنى (اللمس) في قوله تعالى (أَوْلَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) [النساء: 43] بالتقاء البشرتين، سواء أكان بجماع أم غيره إذ اختلف فيها أهل التفسير بين اللمس والجماع، وذلك لاعتبارين: الأول: لموافقته وجه من وجوه القراءات والثاني قاعدة الأصل حمل الكلام على حقيقته (مفاتيح الغيب، 606ه: 89/10).

قاعدة الأوامر والنواهي عند الرازي في مفاتيح الغيب: أولاً: قاعدة الأمر:

يعتبر الرازي أن حقيقة الأمر محصورة في لفظة الأمر، وهو مجاز في ما عدا لفظة الأمر كالفعل وغيره، وتعريف الأمر بمعنى القول عنده: طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء، كما يرى الإمام - رحمه الله - أن ماهية الطلب معروفة بالضرورة وهي لبست الصيغة نفسها ولا شيئاً من صفاتها بل هي ماهية قائمة بقلب المتكلم والصيغة دالة عليها، وهي غير الإرادة (الرازي 606هـ-936/2)، ويرى أن الأمر الوارد عُقيب والاستندان للوجوب، وأن الأمر المطلق لا يفيد التكرار، بل يفيد طلب الماهية الأمر المعلق بشرط أو صفة لا يقتضي التكرار، ولكن يقتضيه من جهة ورود الأمر بالقياس، ويرى أن مطلق الأمر لا يفيد الفور، والأمر المقيد بعدد قصر الحكم على العدد لا يدل على نفيه عما زاد أو نقص إلا لدليل منفصل، والأمر المقيد بالاسم لا يدل على نفي حكم ما عداه (الرازي 606هـ-96/2-150).

شواهد قاعدة الأمر من مفاتيح الغيب:

من شواهد هذه القاعدة أن الرازي - رحمه الله تعالى - ناقش حقيقة الأمر في تفسيره عند قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) [النساء: 59] إذ استدل بها كثير من الفقهاء على أن ظاهر الأمر للوجوب، ثم أورد اعتراضاً على هذا الاستدلال أنه يقتضي افتقار الدليل إلى المدلول، وهو باطل، ثم ذكر وجهين من الرد على هذا الاعتراض: الأول: فحواه أن الأمر إن دل على الندبية فهو تحصيل، الثاني ختم الله الآية بالوعيد، وهذا يعني الوجوب. ثم ختم بالقول: فثبت أن هذه الآية دالة على أن ظاهر الأمر للوجوب، ولا شك أنه أصل معتبر في الشرع (الرازي، 606هـ: 116/10).

كذلك تكلم عن قاعدة الأمر للوجوب عند قوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: 63] وجه الدلالة: تارك المأمور به مخالف لذلك الأمر، ومخالف الأمر مستحق للعقاب فتارك المأمور به مستحق للعقاب، ولا معنى للوجوب إلا ذلك (الرازي، 606هـ: 425/24-427).

فروع قاعدة الأمر وأثرها:

قاعدة الأمر على الفور:

تجلى أثر هذه القاعدة بذكر أقوال الأصوليين فيها، وذلك في معرض حديثه عن قصة ذبح بقرة بني إسرائيل حيث أمر بذب بقرة، فتراخوا عن الفعل وانشغلوا بالأسئلة

فشددوا فشدد الله عليهم، فأفاد تعنيفهم والتشديد عليهم بأن الأمر على الفور (الرازي 606هـ- 551/3).

قاعدة الأمر عقيب الاستئذان يفيد الوجوب:

أثر هذه القاعدة في إطار تفسيره قول الله تعالى: (فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ) [البقرة: 187] إذ يفيد الأمر هنا الإباحة، ما هو المخرج لمن قال بهذه القاعدة؟
لم يغفل الغمام عن هذه المسألة، فقال: " تركنا الظاهر وعرفنا هذا الأمر للإباحة بالإجماع " هذا يدل على يقظة الإمام وإتقانه مادة أصول الفقه، فهي حاضرة في ذهنه (الرازي، 142هـ: 571/3).

قاعدة الأمر المعلق على شيء بكلمة (إن) عدم عند ذلك الشيء:

أشار الرازي - رحمه الله - إلى حجة من خالف هذه القاعدة، عندما تكلم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [البقرة: 172] فقال احتج من قال: إن المعلق بلفظ (إن) لا يكون عدما عند عدم ذلك الشيء بهذه الآية، فإنه تعالى علق الأمر بالشكر بكلمة (إن) على فعل العبادة، مع أن من لا يفعل هذه العبادات يجب عليه الشكر أيضاً (المحصول للرازي، 1400هـ: 191/5).

ومن أثر هذه القاعدة استعمالها في تفسيره في توجيه قول النبي p: " ما حق الله على العباد؟ قالوا : الله ورسوله اعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال فما حقهم على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: أن يغفر لهم ولا يعذبهم " ((البخاري، 114/9)).
قال الرازي عندها: " ومعلوم أن المعلق على الشرط عدم عند الشرط فيلزم أن لا يغفر لهم إذا لم يعبدوه " (مفاتيح الغيب للرازي، 606هـ: 575/3).

قاعدة النهي عند الرازي:

مذهب الرازي - رحمه الله - بالنسبة لقاعدة النهي على النحو التالي: يرى الإمام الرازي أن النهي يفيد التحريم، والنهي يفيد التكرار، والشيء لا يجوز أن يكون مأمور به منهياً عنه معاً، والنهي يفيد الفساد في العبادات لا في المعاملات، والنهي عن الشيء لا يدل على صحة المنهي عنه والمطلوب بالنهي فعل ضد المنهي عنه، والنهي عن الشيء لا يقتضي مكون المنهي عنه مشتغلا به (مفاتيح الغيب للرازي، 606هـ- 575/3).

قاعدة النهي في التفسير الكبير :

برزت هذه القاعدة في تفسير بشكل واضح من خلال بحثه عن هذه القاعدة في تفسيره وإعمالها في الأقوال والترجيح والاختبار والرد على الخصوم:

قاعدة النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلاً به:

هذه القاعدة لم يذكرها الإمام الرازي في تفسيره، بل هي مستنبطة من هذه الآية. عرج الرازي على ذكر حجية قاعدة النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلاً به وذلك في إطار تفسير قول الله تعالى: (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) [الفرقان: 52] وجه الدلالة: الآية تنهي النبي μ عن إطاعة الكافرين ويستحيل على الأنبياء طاعة الكافرين، فدللت الآية أن النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلاً به.

وقد أعمل الرازي هذه القاعدة الأصولية عندما رد على من زعم صدور الذنب من الرسول - عليه الصلاة والسلام - استناداً إلى قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيماً) [النساء: 105] إذ قالوا: لولا أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أراد أن يخاصم لأجل الخائن ويذب عنه لما ورد النهي عنه (الرازي 606هـ-274/4).

قاعدة النهي يدل على الفساد في العبادات دون المعاملات:

أبرز الإمام الرازي أثر هذه القاعدة في تفسيره من خلال نقل اختلاف العلماء في المسائل بناء على مذهبهم في هذه القاعدة، ومثاله: لو أوقع أكثر من طلاقة في مجلس واحد:

قول الجمهور: لو طلق الرجل زوجته اثنتين أو ثلاثاً لا يقع إلا الواحدة (ابن قدامة، 620هـ-480/7). صورة المسألة: إذا قال لزوجته أنت طالق أنت طالق أنت طالق ولم يقصد شيء فهنا تقع واحدة عند عامة الفقهاء، والذي في المغني ((إن لم تكن له نية وقع طلقتان وبه قال أبو حنيفة ومالك وهو الصحيح من قول الشافعي .

مستندهم: إن النهي يدل على اشتغال المنهي عنه على مفسدة راجحة، والقول بالوقوع سعى في إدخال تلك المفسدة في الوجود، وأنه غير جائز، فوجب أن يحكم بعدم الوقوع.

قول أبي حنيفة - رضي الله عنه -: أنه وإن كان محرماً إلا أنه يقع (ابن عابدين- 1252هـ-286/3)، وهذا منه بناء على أن النهي لا يدل على الفساد (الرازي، 606هـ، 442/6).

نجد أن الرازي يعلل ورود قول الله تعالى: (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا) [البقرة: 231] بعد قول الله تعالى: (فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) بناء على قاعدة النهي، إذ يرى في النهي معنأً آخر، حيث قال: قد يقول قائل: الأمر بالشيء نهي عن ضده فما الفائدة في التكرار؟

الجواب: الأمر لا يفيد إلا مرة واحدة، فلا يتناول كل الأوقات، أما النهي فإنه يتناول كل الأوقات، فلهذا يمسخها بمعروف في الحال فقط، فبورود النهي عن المضارة بالإمساك، اندفعت الشبهات، وزالت الاحتمالات (الرازي، 606هـ-442/6).
العموم -التعريف العام: "هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد.

صيغ العموم:

صيغة (كل) و(جميع) و(أي) و (ما) و(من) في المجازاة والاستفهام تفيد العموم والجمع المعرف بلام الجنس ينصرف إلى المعهود لو كان هناك معهود، أما إذا لم يكن فهو للاستغراق، والجمع المضاف للاستغراق، وإذا أمر جمعاً بصيغة الجمع أفاد الاستغراق فيهم. و(أن) و(من) و(ما) و(أين) و(متى) في الاستفهام للعموم، وفي أين صيغة (من) و(ما) في المجازاة للعموم.

العموم في مفاتيح الغيب:

هذه القاعدة في كتاب (التفسير الكبير) واضحة بل مستفيضة فالعموم وألفاظ العموم كثيرة، فنجده يتكلم عن هذه القاعدة ولو بشكل جزئي، وكذلك أعملها في كثير من مباحثه التفسيرية:

قاعدة النكرة في سياق النفي :

يذكر الرازي هذه القاعدة مستنداً إلى قول الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: 176].

فتقول: "الآية تدل على أن النكرة في موضع النفي تعم، إذ لو لم يحصل العموم لم يحصل تهديد الكفار بهذه الآية " (الرازي، 606هـ: 437/9).

قاعدة النكرة في معرض الشرط:

النكرة في معرض الشرط تعم إذا كانت في جانب الثبوت، كما أنها تعم في الإخبار إذا كانت في جانب النفي، وتخص في معرض الشرط إذا كانت في جانب النفي كما تخص في الإخبار إذا كانت في جانب الثبوت، ثم ساق شواهد على ذلك لبيان القاعدة، ثم عرض الدليل عليها فقال: النظر أولاً إلى جانب الإثبات، ألا ترى أنه من غير حرف

(لم) أن الوضع للإثبات والنفي بحرف، ولو كان الوضع والتركيب أولاً للنفي لما احتجنا إلى الحرف الزائد اقتصاراً أو اختصاراً - (الرازي، 606142هـ: 99/28 - 98).
قاعدة صيغة الجمع المقرونة بالألف واللام تفيد العموم:

استعمل الرازي هذه القاعدة في مناقشة معنى حديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) (أبو داود: 236/4).

فإن قيل: هب أن لفظ الكبيرة يتناول الطاعات والمعاصي، ولكن قوله أهل الكبائر صيغة جمع مقرونة بالألف واللام فيفيد العموم، فوجب أن يدل الخبر على ثبوت الشفاعة لكل من كان من أهل الكبائر سواء كان من أهل الطاعات الكبيرة، أو المعاصي الكبيرة.

قلنا: لفظ الكبائر وإن كان للعموم إلا أن لفظ (أهل) مفرد فلا يفيد العموم، فيكفي في صدق الخبر شخص واحد من أهل الكبائر، فنحمله على الشخص الآتي بكل الطاعات (الرازي، 606هـ: 501/3).

أدوات العموم في تفسير الإمام الرازي:

(لا) النافية للجنس تفيد العموم:

استعمل هذه القاعدة في تفسيره من خلال مناقشة الأقوال والمذاهب، فقال: إن كلمة (لا إله إلا هو) تفيد التوحيد المطلق، وذلك لأن قولنا: لا رجل؛ يقتضي نفي هذه لماهية، ومتى انتفت هذه الماهية انتفى جميع أفرادها، إذ لو حصل فرد من أفراد تلك الماهية فمتى حصل ذلك الفرد، فقد حصلت الماهية، وذلك يناقض ما دل اللفظ عليه من انتفاء الماهية؛ فنثبت أن قولنا: لا رجل يقتضي النفي العام الشامل (الرازي، 606هـ-149/4).

قاعدة الجمع المعرف بـ(أل) يفيد العموم :

استدل الرازي - رحمه الله - على هذه القاعدة في تفسير كلمة (التائبين) في قوله تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [التوبة: 112] إذ قال: التائبون من كل معصية وهذا أولى؛ لأن التوبة قد تكون من المعصية فالتائبون صيغة عموم محلاة بالألف واللام، فنتناول الكل، فالتخصيص بالتوبة عن الكفر محض التحكم (الرازي-606هـ-153/16).

العموم أولى من التخصيص:

أعمل هذه القاعدة في تفسيره، إذ رجح قول الحسن - رضي الله عنه - على غيره من الأقوال في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 158] إذ قال: "الذين قالوا: السعي واجب، فسروا هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب، ومنهم من فسره بالسعي في الحجة الثانية التي هي غير واجبة وقال الحسن: المراد منه جميع الطاعات، وهذا أولى لأنه أوفق لعموم اللفظ (الرازي، 606: 139/4).

قاعدة الخصوص:

التخصيص:

"إخراج بعض ما تناوله الخطاب عنه" (المحصول للرازي-1400هـ-7/3). فمن القواعد يجوز إطلاق اللفظ العام لإدارة الخاص أمراً كان أو خبراً، والعام الذي دخله التخصيص يكون مجازاً إن استقلت القرينة المخصصة بنفسها وإلا فلا، والغاية لا يمكن أن ينتهي تخصيص العموم إلى أقل منها، ولا يصح التمسك بالعام المخصوص لو خص تخصيصاً مجملاً وإلا جاز، وتوقف في صحة التمسك بالعام ما لم يستقص المخصص، وإن الأصل عدم التخصيص (المحصول للرازي-1400هـ-8/3).

في ما يقتضي تخصيص العموم:

"الاستثناء" إخراج بعض الجملة من الجملة بلفظ إلا أو ما أقيم مقامه" (المحصول للرازي، 1400هـ: 27/3) وأسه هي:

أن يكون الاستثناء متصلاً بالمستثنى منه عادة، واستثناء الشيء من غير جنسه باطل على سبيل الحقيقة، وجائز على سبيل المجاز، والاستثناء المستغرق فاسد والاستثناء من الإثبات نفي ومن النفي إثبات، والاستثناءات إذا تعددت فإن كان البعض معطوفاً على البعض بحرف العطف كان الكل عائداً إلى المستثنى منه، الاستثناء المذكور عقيب جمل كثيرة هل إليها بأسرها أم لا؟ توقف الغمام الرازي، أي لم يعلم الحق، ومال إلى التفصيل حسب ما تقتضيه القرينة.

الشرط: وهو الذي يقف عليه المؤثر في تأثيره لا في ذاته ولا ترد عليه.
العقل: العقل يخصص العموم.

الحس: الحس يخصص العموم - (محمد إسماعيل، 1418هـ: 183/1)

التخصيص في مفاتيح الغيب:

قد تعرض الرازي في تفسيره لذكر بعض مباحث هذه القاعدة الأصولية، فأنت على النحو الآتي:

قاعدة تخصيص العام بالعقل:

يذهب الإمام إلى جواز تخصيص العام، ويرى جواز تخصيص العام بدليل العقل واستدلالاً عليه بقول الله جل ثناؤه: (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: 284]، إذ قال "يقتضي أن يكون قادراً على نفسه، ثم خص بدليل العقل (الرازي، 606هـ: 199/2). ثم أورد اعتراضاً على هذا الدليل، وأجاب عنه، فقال: " فإن قيل: إذا كان اللفظ موضوعاً للكل ثم تبين أنه غير صادق في الكل كان هذا كذباً، وذلك يوجب الطعن في القرآن قلنا: لفظ الكل كما أنه يستعمل في المجموع، فقد يستعمل مجازاً في الأكثر وإذا كان ذلك مجازاً مشهوراً في اللغة لم يكن استعمال اللفظ فيه كذباً" (الرازي، 606هـ: 199/2).

قاعدة عدم جواز تخصيص العموم بالقياس:

لا يجيز الرازي تخصيص الكتاب والسنة بسبب القياس البتة سواء كان القياس جلياً أو خفياً، سواء كان ذلك النص مخصوصاً قبل ذلك أم لا، أورد بحث هذه القاعدة في تفسيره، واستدل عليها بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [النساء: 59]، إذ قال: ((أمر الله بطاعة الكتاب والسنة، وهذا الأمر مطلق فنثبت أن متابعة الكتاب والسنة سواء حصل قياس يعارضهما أو يخصهما)) (البصري، 275/2- المحصول للرازي، 1400هـ: 96/3).

قاعدة جواز إطلاق العام وإرادة الخصوص:

استدل بقوله تعالى: (لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا) [البقرة: 170] لى جواز إطلاق العموم وإرادة به الخاص، إذ قال: " (لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا) لفظ عام، ومعناه الخصوص لأنهم كانوا يعقلون كثيراً من أمور الدنيا، فهذا يدل على جواز ذكر العام مع أن المراد به الخاص (الرازي، 606هـ: 189/5).

استدلال الإمام الرازي بهذه القاعدة:

من أثر هذه القاعدة أن الإمام استدلل بها، وأعملها في كثير من المواضع من تفسيره وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

قاعدة تخصيص العموم بالعقل:

استعمال هذه القاعدة في بيان قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) [البقرة: 146] بأن المقصود هم علماء أهل الكتاب، فاللفظ وإن كان عاماً بحسب اللفظ لكنه مختص بالعلماء منهم، والدليل عليه: أنه تعالى وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَالْجَمْعُ الْعَظِيمُ الَّذِي عَلِمُوا شَيْئاً اسْتَحَالَ عَلَيْهِمُ الْإِتِّفَاقُ عَلَى كِتْمَانِهِ فِي الْعَادَةِ أَلَا تَرَى أَنَّ وَاحِدًا لَوْ دَخَلَ الْبَلَدَ وَسَأَلَ عَنِ الْجَامِعِ لَمْ يَجُزْ أَنْ لَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا بِالْكَذِبِ وَالكتمان، بل إنما يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَى الْجَمْعِ الْقَلِيلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (الرازي، 606 هـ: 110/4).

التخصيص خلاف الأصل:

أعمل الرازي - رحمه الله تعالى - هذه القاعدة بشكل كبير في تفسيره ومثال هذا ترجيع القول بأن الخطاب للملائكة كان عاماً غير مخصوص بفئة منهم في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: 30]، إذ قال: "وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين إنه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص؛ لأن لفظ الملائكة يفيد العموم، فيكون التخصيص خلاف الأصل (الرازي، 606 هـ: 388/2).

قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

استدل بهذه القاعدة في غير موضع من تفسيره، منها: في إطار تفسير (الذين) من قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) [البقرة: 159]، حيث يذكر وجهاً، ثم يقول: الأقرب إلى الصواب أن (الذين) يتناول كل من كتم شيئاً، وذلك لوجوه: أحدها: أن اللفظ عام ما ثبت في أصول الفقه ثانيها: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (الرازي، 606 هـ: 139/4).

حمل العام على الخاص:

أعمل هذه القاعدة حيث رد القول القائل: إن قول الله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) [البقرة: 193] ناسخة لقوله تعالى: (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) [البقرة: 191] فقال: "والصحيح أنه ليس كذلك، لأنه البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام نفت حرمة أقصى ما في الباب أن هذه الصفة عامة، ولكن مذهب الشافعي - رضي الله عنه - وهو الصحيح أن العام سواء مقدماً على الخاص أو متأخراً عنه، فإنه يصير مخصوصاً به" (الراز، 606 هـ: 291/5).

مثل مسألة إيجاب الرجم على المحصن (رجم المحصن): يرمم المحصن رجلاً كان أو امرأة، وهذا قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الإحصار، ولا نعلم فيه مخالفة إلا الخوارج، فإنهم قالوا: الجلد للبكر والثيب (الموردي، 1419هـ: 191/13-ابن قدامة-35/9).

وذهب البعض إلى إنكاره، استدلالاً بعموم آية الجلد، وذهب الجمهور إلى إيجابه بأحاديث الرجم ثم أجاب عن دليل المنكرين للرجم بأنه مخصوص بأحاديث الرجم وهي متواترة، ثم أورد اعتراضاً على دليل الجمهور، فقال: فإنه قيل فيلزم تخصيص القرآن بخبر الواحد، قلنا: بل بالخبر المتواتر، لما بينا أن الرجم منقول بالتواتر وأيضاً فقد بينا في أصول الفقه أن تخصيص القرآن بخبر الواحد جائز.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- 1- أحسن الرازي مناقشة المسائل الأصولية كما أحسن توظيفها في خدمة الأحكام.
- 2- وظف الرازي الدلالات اللفظية غاية التوظيف إذ تناولها وفصلها وأكثر فيها من الشواهد التي خدم بها التفسير.
- 3- لم يغفل الرازي في تناوله لدلالات الألفاظ مناقشة الفقهاء في بعض المسائل التي أوردها من خلال تناوله لتفسير بعض آيات الأحكام.
- 4- استنبط الرازي بعض القواعد الأصولية من الآيات القرآنية.
- 5- لم يغفل الرازي القواعد الأصولية في تفسيره حيث استشهد بها في كثير من المباحث التي أثارها أثناء تفسيره للآيات.
- 6- كذلك تناول الرازي بعض القضايا الأصولية كالنسخ والاجتهاد والتقليد وأورد فيه مباحث واسعة.
- 7- يرى الرازي جواز التعليل في الأحكام، بينما يقف موقف الرفض من تعليل الأفعال تنزيهاً لله جل وعلا.

ثانياً: التوصيات:

يعد التفسير الكبير مفاتيح الغيب من أمهات التفسير التي مازالت قبلة لطلبة العلم لذا أوصي بالتنقيب على الدرر الكامنة المتمثلة في الدلالات الأصولية والاهتمام بهذا العلم لما له من فضل في خدمة الأحكام.

المصادر والمراجع

- 1- السيوطي، الشيخ جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- 2- المحصول في علم الأصول، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1418هـ.
- 3- الجويني، عبد الملك بن عبد الله، 478هـ، نهاية المطلب في دراية المذهب، ط1، دار المنهاج، 1428هـ، 2007م، تح: عبد العظيم محمود .
- 4- الكاساني، مسعود بن احمد، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني 587هـ، ط2، دار الكتب العلمية بيروت، 1406هـ - 1986م.
- 5- البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي p 114/9- رقم 7373، مسلم، صحيح مسلم- أحمد بن حنبل 241هـ، مسند الغمام أحمد بن حنبل، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ 2001م شعيب الأرنؤوط وآخرون.
- 6- ابن قدامة، المغني، عبد الله بنم أحمد، 620هـ، المغني، ط مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968م
- 7- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار، 1252هـ المعروف بحاشية ابن عابدين، ط2، دار الفكر، بيروت، 1412هـ - 1992م.
- 8- أبو داود، السنن، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- 9 - الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي-محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت- تح: أحمد محمد شاكر وآخرون
- 10- إسماعيل- قواطع الأدلة في الأصول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ محمد إسماعيل، 183/1.
- 11- البصري، أبو الحسين البصري، المعتمد، 275/2 الرازي، مفاتيح الغيب 189/5 .
- 12- الماوردي، الحاوي الكبير في فقه الغمام الشافعي، للماوردي، دار الكتب العلمية بيروت، 1419هـ، تح: علي معوض.

مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ أ. جمعة مختار علي الفتحي

قسم التربية وعلم النفس، كلية التربية، جامعة وادي الشاطئ

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ. ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام مقياس الرضا الوظيفي من اعداد صادق سميع (2006م) أداة للتعرف على مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ، وتم التأكد من صدق وثبات الاستبانة، وقد وزّع الباحث استبانة الدراسة على جميع مدراء مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ البالغ عددهم (33) مديراً، وقد رجع منها (31) استبانة، واستخدم الباحث عدداً من الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة هذه الدراسة، وكان من أهم نتائج هذه الدراسة: أن أفراد العينة لديهم رضا على علاقتهم مع مكتب التربية والتعليم، وعلى علاقتهم بالزملاء من المعلمين، ولديهم رضا عن طبيعة الوظيفة والعمل، كما لديهم رضا عن نظام الترقيات والحوافز، وبصفة عامة فإن النتائج تشير إلى رضا مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطئ عن عملهم. وبناءً على النتائج خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات إضافة إلى مقترحات لدراسات مستقبلية في الموضوع.

الكلمات المفتاحية: الرضا الوظيفي، مدراء المدارس، التعليم العام، بلدية ابراك الشاطئ.

المقدمة:

تعد الإدارة بمختلف عملياتها الحكومية عنصراً مؤثراً في مختلف المؤسسات الإنتاجية والخدمية في المجتمع، سواءً أكانت هذه الإدارة حكومية أو خاصة؛ إذ أنها تعد الأداة المسؤولة عن عجلة التطور والتقدم في المجتمع، وهي الأساس الأول للتطوير داخل المؤسسة. إذ تعد الإدارة بأنواعها وعناصرها المختلفة إحدى الركائز الأساسية في عملية الإنتاج في المؤسسات، والتي تُعزى إلى عمليات تطوير وتحسين شؤون الموظفين من خلال تزويدهم بالشروط والقدرات المادية والمعنوية وتحسين الرضا الوظيفي لجميع العاملين. (الخضرمي، وآخرون، 2022م: 174).

وحتى تحقق الإدارة التربوية أهدافها بدرجة عالية فلا بد من وجود قيادة تربوية قادرة على تحقيق هذه الأهداف، حيث إنها متغير يسهم في تحديد طبيعة التفاعلات داخل الجماعة وتلعب دوراً رئيساً في نشاطاتها وأداتها من خلال التأثير في اتجاهات العاملين وسلوكياتهم ومدى توحدهم بأهداف المنظمة، فضلاً عن أن طبيعة القيادة لها أثرها في تحديد خصائص بيئة العمل التي يقضي العاملون فيها معظم أوقاتهم مما يؤثر ليس فقط في درجة رضاهم عن عملهم بل وفي درجة رضاهم عن حياتهم بشكل عام، ومهما يكن من أمر فالمدیر هو الشخصية الأكثر أهمية في المدرسة، وهو القائد الفعال في مدرسته الذي يستطيع أن يتغلب على الصعاب التي تقف أمام الابتكار والتطور، ويستطيع أن يضيف الجو المناسب الذي يشعر المعلمين بأنهم مسؤولون وقادرون على تحسين العملية التعليمية وذلك بتوفير إشباع حاجات المعلمين والمتعلمين على حد سواء. (محافظة، والحداد، 2010م: 403).

حيث يعد مدير المدرسة أهم عضو في الإدارة المدرسية وهو رأسها وأحد أهم الركائز التي تقوم عليها العملية التعليمية والتربوية وعلى ذلك فإن الاهتمام به يساهم في تحقيق المجتمع لأهدافه ولَمَّا كان مدير المدرسة يقضي يومياً وقتاً طويلاً في عمله بالمدرسة فيفترض أن يكون راضياً عن العمل الذي يؤديه، فبقدر ما يكون الإنسان راضياً عن عمله بقدر ما يكون راضياً عن حياته والعكس صحيح. (بن سعود، 2011م: 17).

ولكى يقوم مدير المدرسة بدوره المهم في قيادة المدرسة نحو تحقيق أهدافها لا بد أن يكون راضياً عن عمله ويدفعه هذا الرضا إلى العطاء وبذل الجهد والإخلاص والجدية في العمل. فقد أكدت دراسة كل من بلكاسترو وجولد (Belcastro and Gold) إلى أن الاختلال في العلاقة بين الشخص والبيئة المهنية ينتج عن عدم اقتناع الفرد ببيئته العمل أصلاً. كما أن الاقتناع بالعمل والرضا عنه يدفع الفرد نحو الإنجاز وبذل الجهد،

وحتى ينجح مدير المدرسة في عمله لا بد أن يكون لديه جدية في العمل (Hardiness) ورضا عن وظيفته (satisfaction Job)؛ لأنه يعد قدوة أمام زملائه المعلمين وطلابه ومجتمعه (القاروط، 2006م: 3).

ويرى علماء النفس والتربية أن الفرد الراضي عن عمله أكثر ارتباطاً به، وأكثر حرصاً على التواجد فيه حيث يعطيه العمل إشباعاً أكبر من الفرد غير الراضي، فهذا الأخير نتيجة لانخفاض الإشباع التي يعطيها العمل له، يكون أقل ارتباطاً بالعمل، وأقل حرصاً على التواجد فيه. (طروم، 2014م: 69).

لقد أصبح موضوع الرضا الوظيفي من الموضوعات التي تحظى باهتمام السلوكيين والإداريين وذلك ببحث الجوانب المختلفة لوسائل ومصادر الرضا لدى الموظف وقياس درجة رضا الأفراد نحو وظائفهم وكذلك بحث أسباب ومصادر عدم الرضا ولقد تم التوصل إلى مجموعة من العوامل التي تؤدي إلى الرضا واعتبار وجودها ضرورياً وأساساً لتحقيق الرضا المنشود للموظف، وفقدان هذه العوامل يؤدي إلى وضع الموظف في حالة من عدم الرضا وبالتالي ينعكس ذلك على أداءه في العمل وقيامه بواجباته على الوجه المطلوب. ومن الحقائق العلمية، أن الرضا عن العمل والافتناع به يدفع الفرد إلى بذل أقصى الجهود لإنجازه فالرضا عن العمل يشكل دافعاً للإنجاز والعكس صحيح إلى حد كبير لذلك فإن عطاء الفرد وكفاءته المهنية دليل على مدى رضاه عن عمله وإحساسه بالنجاح والتقدم فيه ويزداد هذا العطاء بمقدار ما يوفره العمل له من إشباع لحاجاته ودوافعه واستغلال لطاقاته (فلمان، 2008م: 3-4).

حيث أشارت معظم الأبحاث إلى أن الرضا الوظيفي لديه مقدرة على التنبؤ ببعض سلوكيات العمل المهمة. ومن هذا المنطلق اهتمت العديد من المؤسسات التربوية بقياس معدلات الرضا الوظيفي لدى العاملين فيها في محاولة منها للتنبؤ بسلوكيات ذات أهمية على مستوى المدرسة، مثل سلوك التميز في العمل المدرسي، وسلوك ترك العمل في المدرسة أو التغيب غير المبرر، وهناك العديد من الفوائد مثل الفوائد النفسية للعاملين وشعورهم المنخفض بضغط العمل وما شابه ذلك. (السالم، 2017م: 5).

فالرضا الوظيفي ضرورة لازمة لتحقيق الأهداف والوصول إلى النتائج المرجوة. كما أن معرفة مستوى الرضا الوظيفي لدى مدراء المدارس بالتعليم الحكومي يعد أمراً جوهرياً يسهم في الوصول إلى تحقيق التفاعل الإيجابي الذي ينعكس على

الأداء الوظيفي داخل المؤسسة التعليمية، مما له من تأثير في أداء ودافعية العاملين للعمل ومن ثم في أداء المؤسسة التعليمية ونجاحها في تحقيق أهدافها.

مشكلة الدراسة:

مما لا شك فيه أن المحرك الأساسي لدافعية الأفراد لأداء العمل هو درجة رضاهم عن العمل، أي أنه بقدر ما تزيد العوائد والمنافع التي يحصل عليها الفرد من وظيفته بقدر ما يزداد حماس الفرد لبذل جهد مكثف في أدائه للعمل فزيادة دافعية الفرد لأداء العمل هو نتاج لشعور بالسعادة والرضا عن العمل. (الأمين ويحي، 2016م: 1). فضلاً عن ذلك يشكل الرضا الوظيفي لمدير المدرسة مسألة مهمة بالنسبة له، إذ أن إحساسه بضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقه تستوجب توفر القدر الكافي من رضاه عن عمله، كما أنها تعكس مدى عطائه للقيام بهذه المسؤولية، ومدى استعداده لبذل المزيد من الجهد في تحسين هذا العمل الذي ينتج عن تقدير المجتمع له، خاصة بعد أن تعددت جوانب رسالة المدرسة في خدمة المجتمع (الهدهود، 1994م: 387).

وبهذا يعد مدير المدرسة الدعامة الرئيسية لنجاح المدرسة وتحقيقها لأهدافها؛ إذ لا بد من زيادة الاهتمام به، وقد ساد الاعتقاد في حالات خاصة أن مدير المدرسة مجبر على العمل بغض النظر عن رضاه أو عدم رضاه عن وظيفته التي يشغلها، وقد ترتب على ذلك إهمال العنصر البشري وخاصة في المدارس الحكومية، وبالتالي حدث الانخفاض الملحوظ في أداء المديرين في المدارس الحكومية، وبذلك أصبح من الضروري البحث عن حل لهذه المشكلة حيث وجد أن الحل الأمثل هو تحسين مستوى رضا المديرين في المدارس الحكومية. (عبد الباقي، 2004م: 2). وانطلاقاً مما سبق تبرز مشكلة الدراسة الحالية في محاولة التعرف على مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ.

أهمية الدراسة:

- تبرز أهمية الدراسة كونها الأولى من نوعها على الصعيد المحلي في الجنوب الليبي لتبسيطها الضوء لمعرفة الواقع الفعلي للرضا الوظيفي لدى مديري المدارس ببلدية براك الشاطئ، مما يؤدي إلى تعزيز مكانة العاملين فيها ومساعدتهم على اكتساب الخبرات وزيادة في الرضا الوظيفي، حيث إن ارتفاع مستوى الرضا لدى مدراء المدارس يدل على ممارسات عدة منها: تقبل الوظيفة والرضا عنها وروح التعاون بين المدير وجميع العاملين في الحقل التربوي (المدرسة)، بينما تدني مستوى الرضا الوظيفي يدل على

ممارسات عدة منها التمييز في التوظيف، والافتقار لإمكانية التدرج الوظيفي ضمن المؤسسة، وعدم وجود أسس عادلة وثابتة في الترقية، وتدني الأجور من الراتب، والمكافآت، والحوافز.

- كما تكتسب هذه الدراسة أهميتها بتزويدها مدراء المدارس بمعلومات مهمة (تغذية راجعة) عن درجة الرضا الوظيفي لديهم مما يساعد المسؤولين والجهات المعنية في وضع البرامج الإرشادية والحلول المناسبة لكل الصعوبات التي تواجه مدراء المدارس وتمنع شعورهم بالرضا الوظيفي تجاه مهنتهم كاتخاذ القرارات المتعلقة بوضع الخطط الكفيلة والعملية لإيجاد الظروف المناسبة للعاملين في المؤسسات التعليمية، بهدف تطوير مهنة التعليم ووجود أسس عادلة وثابتة في الترقية والرواتب والمكافآت، والحوافز.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى ما يلي:

- 1- الكشف عن مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ.
- 2- التعرف على الفروق في الرضا الوظيفي لدى مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطئ تبعاً لمتغير الإدارة التربوية (قطاع حكومي، قطاع حر) و(المؤهل العلمي) و(سنوات الخبرة).

فروض الدراسة:

- 1- مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ مرتفع (يفوق الوسط الفرضي).
- 2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الرضا الوظيفي لدى مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطئ تعزى لمتغير الإدارة التربوية (قطاع حكومي، قطاع حر).
- 3- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الرضا الوظيفي لدى مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطئ تعزى لمتغير (المؤهل العلمي).
- 4- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الرضا الوظيفي لدى مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطئ تعزى لمتغير (سنوات الخبرة).

مصطلحات الدراسة:

- الرضا الوظيفي:

يعرفه (الدليمي وآخرون، 2009: 123) على أنه مختلف النشاطات التي يزاولها الإنسان بقصد الإنتاج وتساوده على تحقيق أهدافه من خلال الإمكانيات المهنية والأهداف التي تتناسب مع قدرات الفرد.

كما يعرفه (الزبير، 2011م: 31) بأنه: خلاصة من المشاعر الإيجابية التي يحسها الموظف تجاه وظيفته وعمله الذي يمارسه، كما أنه يشمل الشعور الداخلي الذي يبعث في الفرد الشعور بالراحة ورغبته بالعمل الذي يمارسه، ويتضمن أيضاً مجموعة من الأعمال الوظيفية التي تتولد عند الموظفين والشعور بالرضا والسعادة عما يتم ممارسته من قبل الإدارات العليا داخل المؤسسة أو المنظمة الواحدة، وما يحصل عليه من الإنجاز، والتقدير والحوافز.

ويمكن تعريف الرضا الوظيفي اجرائياً بأنه الدرجة الكلية التي يتحصل عليها المفحوص على مقياس الرضا الوظيفي المعتمد في الدراسة تلك الدرجة التي تتأني من مجموع إجاباته على فقرات المقياس.

- **مدراء مدارس التعليم العام:** وهم جميع مديرو مدارس التعليم الحكومية (الأساسي والإعدادي والثانوي) الذين تم تكليفهم من وزارة التربية والتعليم بمهام إدارة المدرسة كل حسب اختصاصه، ولا زالوا على رأس عملهم، ويعملون في المدارس الحكومية التابعة لمراقبة التربية والتعليم ببلدية براك الشاطئ جنوب غرب ليبيا.

حدود الدراسة:

تحدد حدود الدراسة الحالية:

- 1- الحدود الموضوعية: الكشف عن مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام والخاص ببلدية براك الشاطئ.
- 2- الحدود المكانية: مدارس التعليم العام (الأساسي والثانوي) في بلدية براك الشاطئ.
- 3- الحدود البشرية: مديري مدارس التعليم العام والخاص ببلدية براك الشاطئ
- 4- الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الأول والثاني لعام 2022م.

الإطار النظري:

أولاً: مفهوم الرضا الوظيفي:

- الرضا في اللغة: ضد السخط، وأرضاه: إعطاء ما يرضي به، وترضاه طلب رضاه، والرضي، المرضي- والرضي: المطيع، والرضي الضامن - وارتضاه: رآه لو أهلا، وترضيته: أي أرضيته بعد جهد، واسترضيته فأرضاني ورضوى: جلب المدينة والنسبة إليه رضوي.(ابن منظور ، 1993م :492).

- الرضا الوظيفي اصطلاحاً: يرى سميث أن الرضا يتمثل في مظاهر الثبات والاستقرار في مشاعر الفرد نحو الموقف والأبعاد المتعددة للعمل، ويتبين أيضاً أن الرضا عبارة عن اتجاه عام للفرد نحو عمله، ويكون هذا الاتجاه محصلة لمجموعة من العوامل والمؤثرات، ويظهر هذا الاتجاه على شكل زيادة في دافعية العامل نحو عمله، حيث ينجم عنها زيادة في مستوى كفايته المهنية.

بينما يرى فروم أن الرضا الوظيفي هو المدى الذي توفر معه الوظيفة لشغلها نتائج ذات قيمة إيجابية، أي أن عبارة الرضا تترادف التكافؤ. (اتاسي، 2021م: 26).

كما يعرف الرضا الوظيفي أيضاً بأنه هو ذلك الشعور النفسي بالقناعة والارتياح والسعادة لإشباع الحاجات والرغبات والتوقعات مع العمل نفسه ومحتوى بيئة العمل ومع الإحساس بالثقة والولاء والانتماء للعمل.

ومما سبق يعرف الباحث الرضا الوظيفي بأنه مجموعة المفاهيم الإدارية التي لها أثر فعّال في إنتاجية العمل وزيادة الولاء للمؤسسة التربوية، وزيادة مستوى الرضا الوظيفي لدى العاملين يحقق بدوره التوافق النفسي والاجتماعي للعاملين، مما يحسن من أدائهم وارتقائهم بالعمل المهني، وذلك لأن الرضا الوظيفي لدى العاملين في الحقل التربوي يتأثر بشكل واضح بطبيعة بيئة العمل التي يعيشون بها والأعمال والمهام التي تسند إليهم.

- النظريات المفسرة للرضا الوظيفي:

1- نظرية العلاقات الإنسانية :

تشكلت أفكار هذه النظرية من نتائج دراسات (هورثورن وأبحاث جامعتي أوهايو وميتشجان)، وجهت هذه النظرية اهتمامها إلى العنصر البشري واعتبرته أهم العناصر، والإنسان كمدخل معقد له تأثيره على الأداء المنظمي، وإن دوافع العمل لا تنحصر حول

الأجور والمكافآت المادية فحسب، لكن هناك حاجات نفسية واجتماعية عند العاملين، أهمها احترام النفس، وتأكيد الذات واحترام الآخرين، وإن الإنسان لا يمكن التعامل معه كآلة، بل إنه يتأثر بالجماعات وسلوكياتهم التي يتفاعل معها، ونلاحظ أن الاتجاه الديمقراطي في معاملة الموظفين كفيل بأن يحقق لهم المناخ الملائم للعمل، حيث تشبع حاجاتهم لاحترام الذات وتقديرها، مما يجعلهم يشعرون بالرضا وارتفاع الروح المعنوية، الأمر الذي يفضي إلى زيادة الإنتاجية. (طاروم، 2014م: 76).

2- نظرية القيمة:

تعد من النظريات الهامة في الرضا الوظيفي ووفقا لهذه النظرية فإن درجة رضا الفرد عن عمله أو عنصر من عناصره (الأجر أو الترقية) تحكمها ثلاث نواحي

- 1- مقدار ما يأمل الحصول عليه بالنسبة لهذا العنصر.

- 2- مقدار ما يحصل عليه فعلا بالنسبة لهذا العنصر.

- 3- أهمية هذا العنصر بالنسبة له.

بينما اعتبر " لوك " هذه النظرية من أهم نظريات الرضا عن العمل، ووفقا لهذه النظرية فإن الرضا عن العمل يتحقق إلى المدى الذي يحدث فيه التوافق بين ما يحصل عليه الفرد فعلا من نواتج وما يرغب في الحصول عليه من نواتج , وكلما حصل على نواتج ذا قيمة بالنسبة له كلما زاد شعوره بالرضا عن العمل , وقد ركز هذا المدخل على ناتج يكون ذو قيمة بالنسبة للفرد بغض النظر عن ماهية هذا الناتج فمغزى تحقيق الرضا وفقا لهذا المدخل هو مدى التباعد بين جوانب عمل الفرد الفعلية وتلك التي يرغب في تحقيقها وكلما زاد الاختلاف أو التباعد قل رضا الأفراد.

3- نظرية العاملين لهيرز برج:

توصل هيرز برج وآخرون إلى هذه النظرية بعد إجراء دراسة شاملة لمائتي عامل (مهندسين ومحاسبين) , لمعرفة دوافع العمال ومدى رضاهم تجاه عملهم , وقد توصل (هيرز برج) إلى أن المشاعر المرضية ذات العلاقة بعوامل تتعلق بالعمل نفسه: كالإنجاز والاعتراف والمسؤوليات أما المشاعر غير المرضية ذات العلاقة ببيئة العمل: كأسلوب الإشراف وظروف العمل والأجر, وأكد في هذه النظرية على أن العوامل المؤثرة في كل من الرضا وعدم الرضا عن العمل تختلفان عن بعضهما البعض, فالرضا من وجهة نظره يعتمد على ما أطلق عليه العوامل الدافعة أو الحافز وهي عوامل ترتبط بتحقيق الذات أو بلوغ هدف في مجال العمل وتؤثر عليه بشكل إيجابي , أما عدم الرضا

فيرتبط بما أطلق عليه العوامل الصحية والتي تمثل العوامل الخارجية المتصلة بالعمل، وتؤثر فيه بشكل سلبي، وبالرغم من كل الانتقادات التي تعرضت لها نظرية العاملين إلا إن لها أثر إيجابي في ميدان البحث فيما يخص الرضا عن العمل، إذ بفضل هذه النظرية أصبحت عوامل الرضا أكثر وضوحاً. كما أن عملية قياس العوامل المهنية أصبحت معقولة، وأصبحت الجميع يفكر بطريقة مرنة حول معنى الرضا الوظيفي أكثر مما كان الحال عليه من قبل. هذا بالإضافة إلى أن نظرية العاملين لا زالت شائعة الاستعمال لدى المشرفين بالعديد من الدول حول العالم. (الأشهب، 2017م: 60-62).

- أنواع الرضا الوظيفي:

الرضا الوظيفي متعدد الأبعاد والأوجه وعليه توجد عدة أنواع لتصنيفه فذكر فلمبان (2008) وأبو عيشة (2015) إلى أن الرضا الوظيفي يمكن تقسيمه إلى قسمين من ناحية المجال ومن ناحية الزمن:

فمن ناحية المجال:

- 1- الرضا الوظيفي الداخلي: يرتبط بالجوانب الشخصية للعامل: القبول، احترام الذات، تقدير الشخص، الشعور بالراحة، الاستعداد الداخلي للعمل.
- 2- الرضا الوظيفي الخارجي: يرتبط بالجوانب المحيطة بالعامل: الرئيس، الزملاء، والحوافز والترقيات. ومن ناحية الزمن:
- 3- الرضا الوظيفي المتوقع: هو شعور داخل الفرد ناتج عن ما يقوم به من أداء جيد في أعماله وواجباته لتحقيق غاية معينة.
- 4- الرضا الوظيفي الفعلي: مرحلة يصل لها الفرد بعد الوصول للنوع الأول وهو تحقيق الغاية التي يعمل من أجلها. (التويجري، 2019م: 294)

- محددات الرضا الوظيفي:

- 1- عوامل ذاتية: تتعلق بالأفراد وقدراتهم ومدة الخدمة والعمل السابق ومستوى الدافعية ويتفاعل هذه العوامل يحصل الرضا الوظيفي.
- 2- عوامل تنظيمية: وهي ظروف العمل، العلاقة بالرؤساء نظم وأساليب وإجراءات العمل الوظيفة وما تنتجه من إشباعات وما تعكسه من تنوع ومسؤولية.

3- عوامل بيئية: مثلاً الانتماء الاجتماعي وقدرة العامل على التكيف مع عمله بتقدير المجتمع له التأثير السلبي أو الايجابي على العاملين وتكاملهم مع العمل (سلمان، 2011م: 68).

- أساليب تنمية الرضا الوظيفي:

يحدد (الحوتي، 2018م: 20-21) أساليب زيادة الرضا الوظيفي فيما يلي:
1- الإثراء الوظيفي: ترجع أهمية الإثراء الوظيفي إلى تنوع واجبات الوظيفة ومسؤولياتها، والتجديد والابتكار، في أدائها بالشكل الذي يهيئ لهاغها، أن يجدد قدراته ومهاراته، وأسلوب تعامله مع الآخرين، الأمر الذي يؤدي إلى شعور الموظف بأهمية وقيمة دوره في المنظمة التي يعمل بها، مما يكسبه أكبر قدر من الرضا عن العمل في هذه المنظمة.

2- المشاركة في صنع القرار: تؤدي عملية المشاركة للموظف في صناعة القرار داخل المؤسسة دوراً كبيراً في تحقيق الرضا الوظيفي لديه، لأنها تسهم في إيجاد الشعور بالرضا إذا ما وجد الموظف أن هناك جزءاً من العدالة في صناعة القرار من قبل المديرين وتتخذ المشاركة ثلاث أشكال وهي :

أ - المشاركة الكلية: وتكون المشاركة لها تأثير حقيقي على صناعة القرار.

ب - المشاركة الجزئية: ويعني ذلك أنه لا يسمح للموظف بصنع قرار حقيقي بل مجرد إبداء للرأي.

ج- المشاركة الكاملة: وتعني مشاركة جميع العاملين بالمؤسسة في صناعة القرار.
3- الأجور: للأموال دلالة مهمة نفسياً واقتصادياً واجتماعياً فكما أنها محل البيع والشراء، فهي أيضاً ترتبط بالتقدير، حيث إن العديد من العاملين مهتمون كثيراً بما يتناولونه من مرتبات، وأجور في المنظمة ويربطون بينها وبين مكانتهم وقيمتهم يقارنون بينهم وبين زملائهم في المنظمات الأخرى، ولا شك أنها تؤثر كثيراً على واقعية العاملين، وبرضاهم ولذلك يجب أن يقتنعوا بأن ما يتناولونه من تعويض مالي لما يؤدونه من جهد ووقت يعتبر عادلاً.

4- الأمان الوظيفي: يؤدي الأمان الوظيفي إلى تأكيد استقرار العاملين والتزامهم، فهم يكونوا أكثر طواعية للمساهمة في العمل وأثره عندما لا يخشون فقدان وظائفهم أو وظائف أقرانهم واختلاف درجة الأمان الوظيفي.

خلاصة القول: يتضح لنا مما سبق إن الرضا الوظيفي هو ناتج عن تفاعل الفرد مع عمله و شعوره بالرضا عن الحياة والتوافق النفسي والراحة النفسية في أداء عمله على أكمل وجه أي أنه (الرضا الوظيفي) الرضا التام (الكلي) عن جميع جوانب ومكونات عمله (الأجر، محتوى العمل، الإثراء الوظيفي، الحوافز والترقيات والمكافآت)، وهذا الشعور ناتج عن روح التعاون والثقة المتبادلة بين القادة والمرؤوسين، وما تقدمه مراقبة التربية والتعليم ببلدية براك لمدراء مدارس التعليم العام من الدعم المادي والمعنوي، وهذا ما أكدته معظم الدراسات السابقة والتي أشارت إلى أن الأفراد الراضين وظيفياً يعيشون حياة أطول من الأفراد غير الراضيين وهم أقل عرضة للقلق النفسي وأكثر ثقة بالنفس وتقديراً للذات وأكبر قدرة على التكيف الاجتماعي.

ثانياً: الدراسات السابقة:

اولاً: الدراسات العربية:

- دراسة: صادق سميح صادق القاروط (2006): بعنوان: الجدية في العمل وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية.

هدفت الدراسة إلى معرفة درجة الجدية في العمل وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر مدراء المدارس أنفسهم. كما هدفت إلى معرفة تأثير كل من متغيرات (النوع الاجتماعي، والمؤهل العلمي، والخبرة الإدارية، والراتب الشهري، وموقع المدرسة، ومستوى المدرسة (على مستوى الجدية في العمل لدى مديري المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية). وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (221) مديراً ومديرة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية التطبيقية بما نسبته (35%) تقريباً من مجتمع الدراسة، قام الباحث بتطوير استبانتين استناداً إلى بعض الدراسات السابقة والأدب التربوي الذي له علاقة بموضوع الدراسة وهما:

1- استبانة الجدية في العمل واشتملت على (41) فقرة.

2- استبانة لقياس الرضا الوظيفي واشتملت على (48) فقرة.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن درجة الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية كانت متوسطة حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة للدرجة الكلية إلى (68.8%).

دراسة: خالد علي سعد الحوتى (2018): بعنوان: الرضا الوظيفي وعلاقته بفاعلية أداء العمل في الإدارة الحكومية، دراسة تطبيقية على مديري المدارس العامة بمدينة بنغازي.

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الرضا الوظيفي وفاعلية الأداء في الإدارة الحكومية لدى مديري المدارس العامة بمدينة بنغازي، وتكونت عينة الدراسة من (79) مديراً ومديرة، وكذلك (329) معلماً ومعلمة، ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم جمع البيانات الأساسية للدراسة من خلال استمارة الاستبيان، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الحكومية بمدينة بنغازي قيد الدراسة كانت متوسطة بنسبة (70%).

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

- دراسة لونج (Long) 1990 :

أجرى لونج (Long) دراسة حول الرضا الوظيفي لمديري المدارس المتوسطة في الولايات المتحدة، توصلت النتائج إلى أن هؤلاء المديرين راضون عن عملهم، وأن هناك ارتباطاً هاماً بين طبيعة العمل والراتب من جهة والرضا الوظيفي لهؤلاء المديرين من جهة أخرى، مما أثار تساؤلاً حول دقة التنبؤ المبني على أساس نظرية هرزبرغ في الدوافع، إذ لم يكن للتقدم الوظيفي أثر على الرضا الوظيفي، فيحين كان للراتب مثل هذا الأثر وهو ما يتناقض مع نظرية هرزبرغ. (صادق القاروط، 2006م: 45)

- دراسة: استمبين وآخرون (Stempien& others, 2002) :

أجرى استمبين وآخرون دراسة مقارنة للكشف عن الفروق في الرضا الوظيفي لدى معلمي القطاعين الحكومي والخاص. وأظهرت النتائج أن المعلمين في القطاع الخاص كانوا أقل رضا من معلمي القطاع الحكومي، وأنهم كانوا يعانون من ضغط العمل داخل غرفة الصف وخارجها أكثر من معلمي القطاع الحكومي، وأظهرت نتائج الدراسة أن المعلمين الجدد والأقل خبرة في القطاعين الحكومي والخاص، يعانون من صعوبات ومشاكل العمل بدرجة أكبر من المعلمين الأكثر خبرة. (الطعاني، والكاسبية، 2005م: 191).

المنهج والإجراءات:

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع البحث من جميع مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ.

عينة الدراسة: تتكون عينة البحث من 31 من مدير مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ والجدول اللاحقة توضح ذلك:

جدول رقم (1)

يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير الإدارة التربوية

النسبة المئوية	حجم العينة	مستويات المتغير
64.52	20	قطاع حكومي
35.48	11	قطاع حُر
100.00	31	المجموع

يتضح أن أكبر نسبة كانت لمستوى المتغير (القطاع الحكومي) وهي 64.52% وأدنى نسبة كانت لمتغير (القطاع الحُر) وهي 35.48% وهذا أمر متوقع حيث دائماً يكون القطاع الحكومي أكثر عدد في المدارس من القطاع الحُر .

جدول رقم (2)

يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير الخبرة

النسبة المئوية	حجم العينة	مستويات المتغير
45.16	14	24 سنة فما دون
54.84	17	أكثر من 24 سنة
100.00	31	المجموع

يتضح من معطيات الجدول السابق على أن أكبر نسبة كانت لمن خبرتهم (أكثر من 24 سنة) وهي 54.48% وأدنى نسبة كانت لمن خبرتهم (24 سنة فما دون) وهي 45.16%.

جدول رقم (3)

يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير المؤهل العلمي

النسبة المئوية	حجم العينة	مستويات المتغير
48.39	15	دبلوم معلمين
51.61	16	ليسانس (بكالوريوس)
100.00	45	المجموع

يتضح من معطيات الجدول السابق أن أكبر نسبة كانت لمن مؤهلهم (ليسانس - بكالوريوس) وهي 51.61% وأدنى نسبة كانت لمن مؤهلهم (دبلوم معلمين) وهي 48.39%.

أداة الدراسة: مقياس الرضا الوظيفي:

إستخدم الباحث مقياس الرضا الوظيفي من إعداد / صادق سميح قاروط(2006) يتكون من 48 عبارة موزعة على ستة مجالات (العلاقة مع مكتب التربية والتعليم، العلاقة مع المعلمين، طبيعة الوظيفة والعمل، الدورات والتدريب، أنظمة الترقيات والحوافز الراتب) جميعها موجب الاتجاه، وبدائله: (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، قليلة، قليلة جداً) تبين مدى انطباق عبارات المقياس على المدير وباعتبار أن الاتجاه العام للمقياس (موجب) فإن العبارات تكون قيمها على التوالي (5 ، 4 ، 3 ، 2 ، 1)، وبذلك تكون أعلى قيمة لكل عبارة (5 درجات)، أدنى قيمة (درجة واحدة) يتحصل عليها المبحوث، أما فيما يتعلق بالمجالات الستة فالقيم، والكلية وفق الجدول التالي:

جدول (4)

يبين أعلى درجة وأدنى درجة لمجالات الرضا الوظيفي، والكلية

المجال	عدد العبارات	أعلى درجة	أدنى درجة
العلاقة مع مكتب التربية والتعليم	10	50	10
العلاقة مع المعلمين	7	35	7
طبيعة الوظيفة والعمل	10	50	10
الدورات والتدريب	7	35	7
الترقيات والحوافز	7	35	7
الراتب	7	35	7
الكلية	48	240	48

إجراءات الصدق والثبات:

1- الصدق

- **صدق المحكمين:** حيث تم عرض المقياس على عدد من الأساتذة بقسم التربية وعلم النفس ولم تحذف أي عبارة، في حين عدلت بعض عبارات المقياس بناءً على مقترحاتهم .

- **صدق المقارن الطرفية (التمييزي):**

وتم التحقق منه من خلال العينة الاستطلاعية البالغ حجمها 22 مفردة، ذلك للتعرف على الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا من هذه العينة على مقياس الرضا الوظيفي، على أن تكون أعلى الدرجات لأعلى 27% التي تمثل المجموعة العليا، وأدنى الدرجات للمجموعة لأقل 27% التي تمثل المجموعة الدنيا من العينة الاستطلاعية، وبذلك تكون أعداد كل من المجموعتين (العليا والدنيا) 6 مفردات، وللتعرف على هذه الفروق فقد تم استخدام اختبار " ت " ذلك وفق الجدول التالي:

جدول (5)

يبين اختبار " ت " لعينتين مستقلتين للتعرف على الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا على مقياس الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس.

الاستنتاج	مستوى الدلالة	ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة	المجال
دالة	0.00	7.48	2.99	46.17	6	العليا	العلاقة مع مكتب التربية
			3.74	31.00	6	الدنيا	
دالة	0.00	10.51	0.01	35.00	6	العليا	العلاقة مع المعلمين
			2.12	26.00	6	الدنيا	
دالة	0.00	6.57	1.70	47.17	6	العليا	طبيعة الوظيفة والعمل
			3.36	37.60	6	الدنيا	
دالة	0.00	6.14	2.07	32.67	6	العليا	الدورات والتدريب
			2.41	24.40	6	الدنيا	
دالة	0.00	8.12	3.08	30.50	6	العليا	الترقيات والحوافز
			1.14	18.60	6	الدنيا	
دالة	0.00	8.89	3.49	32.17	6	العليا	الراتب
			3.56	13.20	6	الدنيا	
دالة	0.00	7.51	13.81	215.33	6	العليا	الكلية
			3.05	167.60	6	الدنيا	

تشير نتائج الجدول السابق أن قيم " ت " على كل المجالات، والكلية كانت على التوالي (7.48 ، 10.51 ، 6.57 ، 6.14 ، 8.12 ، 8.89 ، 7.51) وجميعها بمستويات دلالة 0.00 وهو أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد بالبرنامج الإحصائي spss للعلوم الاجتماعية، وبالتالي توجد فروق بين المجموعتين (العليا والدنيا) وهذه الفروق كما تشير المتوسطات الحسابية لصالح المجموعة العليا، أي أن المجموعة العليا من العينة الاستطلاعية لديها مستوى من الرضا الوظيفي بصفة عامة سواء للمجالات أو الكلية أكثر من المجموعة الدنيا وعلى هذا الأساس فقد ميز المقياس بين المجموعتين (العليا ، الدنيا) وبالتالي يعتبر صادقاً بالمقارنة الطرفية (تميزياً).

- صدق الاتساق الداخلي:

للتحقق من صدق الاتساق الداخلي استخدم لذلك معامل ارتباط بيرسون للتعرف على العلاقة بين درجة كل مجال من المجالات الستة والدرجة الكلية لمقياس الرضا الوظيفي، فكانت النتائج وفق الجدول التالي:

جدول (6)

يبين العلاقة بين درجة كل مجال والدرجة الكلية لمقياس الرضا الوظيفي

المجال	العلاقة مع مكتب التربية	العلاقة مع المعلمين	طبيعة الوظيفة والعمل	الدورات والتدريب	الترقيات والحوافز	الراتب
العلاقة	0.76	0.57	0.61	0.41	0.75	0.80
مستوى الدلالة	0.00	0.00	0.00	0.06	0.00	0.00
الاستنتاج	دالة	دالة	دالة	غير دالة	دالة	دالة

تشير نتائج الجدول السابق أن قيم العلاقة بين كل مجال من المجالات والمقياس ككل كانت على التوالي (0.76 ، 0.57 ، 0.61 ، 0.41 ، 0.75 ، 0.80) ، وأغلبها بمستويات دلالة أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد بالبرنامج الإحصائي spss للعلوم الاجتماعية، وبالتالي توجد علاقة قوية وموجبة بين درجة كل مجال من هذه المجالات والدرجة الكلية للمقياس، باستثناء مجال (الدورات والتدريب) فمستوى الدلالة 0.06 وهو أكبر من 0.05 وبالتالي من المتوقع حذفه، أما باقي المجالات فتشير النتائج على الاتساق الداخلي للمقياس، أي أن المقياس صادقاً بالاتساق الداخلي.

2- الثبات

للتحقق من ثبات المقياس استخدم لذلك التجزئة النصفية، ومعامل الفاكورنباخ، فكانت النتائج وفق الجدول التالي:

جدول (7)

يبين التجزئة النصفية، ومعامل الفاكورنباخ لمقياس الرضا الوظيفي

الفاكورنباخ	التجزئة النصفية		المجال
	جثمان	سبيرمان- براون	
0.71	0.67	0.68	العلاقة مع مكتب التربية
0.82	0.88	0.89	العلاقة مع المعلمين
0.64	0.41	0.42	طبيعة الوظيفة والعمل
0.54	0.47	0.47	الدورات والتدريب
0.57	0.70	0.70	الترقيات والحوافز
0.84	0.74	0.75	الراتب
0.87	0.80	0.81	الكلي

تشير نتائج الجدول السابق أن جميع قيم التجزئة النصفية (سبيرمان - براون ، جثمان) لأغلب المجالات مناسب جداً أي قريب من (0.70 فما فوق) وهي ضمن القيم المناسبة جداً للثبات وهو

(0.70 فما فوق) باستثناء مجال (الدورات والتدريب) حيث القيم ضعيفة (0.47) ، وبالتالي سيتم استبعاد هذا المجال لا سيما وقد أُشير سابقاً فيما يخص صدق الاتساق الداخلي حيث كانت العلاقة غير دالة ، وبالتالي يعتبر المقياس بمجالاته الخمسة (العلاقة مع مكتب التربية والتعليم، العلاقة مع المعلمين، طبيعة الوظيفة والعمل، أنظمة الترقيات والحوافز، الراتب، والكلي) في هذا الجانب ثابتاً، كما أنه بالنسبة لمعامل الفاكورنباخ أغلب قيم المجالات (أكبر من 0.70) باستثناء مجال (الترقيات والحوافز) و0.59 وما يعوض هذه القيمة معاملي (سبيرمان - براون ، جثمان)، أما مجال (الدورات والتدريب) فنفس مشكلة التجزئة النصفية ضعيفة (0.54) وبالتالي تحقق استبعاده من مجالات المقياس ، وعلى ما سبق يعتبر المقياس بمجالاته الخمسة والكلي ثابتاً .

وبعد التحقق من صدق وثبات المقياس يمكن للباحث تطبيقه على العينة الأساسية للدراسة.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

الفرضية الأولى / مستوى الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ مرتفع (يفوق الوسط الفرضي).

للتحقق من هذه الفرضية استخدم لذلك اختبار " ت " للعينة الواحدة، اعتماداً على الفروق بين المتوسط الحسابي لأفراد العينة والوسط الفرضي على مقياس الرضا الوظيفي، فكانت النتائج وفق الجداول التالي:

جدول (8)

يبين اختبار " ت " للعينة الواحدة للتعرف على الفروق بين المتوسط الحسابي لأفراد العينة من المديرين والوسط الفرضي على مقياس الرضا الوظيفي (ن = 31)

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	ت	مستوى الدلالة	الاستنتاج
العلاقة مع مكتب التربية	38.19	7.35	30	6.20	0.00	دالة
العلاقة مع المعلمين	31.61	3.45	21	17.12	0.00	دالة
طبيعة الوظيفة والعمل	43.10	4.35	30	16.78	0.00	دالة
الترقيات والحوافز	24.48	5.16	21	3.76	0.00	دالة
الراتب	19.87	6.97	21	0.90	0.38	غير دالة
الكلي	186.25	19.59	144	12.09	0.00	دالة

تشير نتائج الجدول السابق أن قيمة " ت " للمجالات الخمسة، والكلية كانت على التوالي (6.20، 17.12، 16.78، 3.76، 12.09) جميعها بمستويات دلالة 0.00 وهو أقل من 0.05 وهو مستوى الدلالة المعتمد بالبرنامج الإحصائي spss للعلوم الاجتماعية، وبالتالي توجد فروق بين متوسط درجات أفراد العينة من المديرين والوسط الفرضي على مجالات (العلاقة بين مكتب التربية والتعليم، العلاقة مع المعلمين، طبيعة الوظيفة والعمل، الترقيات والحوافز، الكلي) وجميع هذه الفروق لصالح متوسط درجات أفراد العينة من المديرين بمدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ على حساب الوسط

الفرضي، أي أن أفراد العينة لديهم رضا على علاقتهم مع مكتب التربية والتعليم، وعلى علاقتهم بالزملاء من المعلمين، ولديهم رضا عن طبيعة الوظيفة والعمل، كما لديهم رضا عن نظام الترقيات والحوافز، وبصفة عامة فإن النتائج تشير إلى رضا مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطي عن عملهم، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن الرضا الوظيفي عملية مؤثرة في تحسين الأداء فكلما زادت درجة الرضا الوظيفي لمديري المدارس عن وظائفهم وأعمالهم الموكلة إليهم انعكس ذلك إيجاباً على العملية التربوية بأكملها كما أن الاهتمام الكبير الذي يحظى به مديرو التعليم العام من مراقبة التربية والتعليم ببلدية براك وما تقدمه لهم من خدمات كما انهم مدراء المدارس لطبيعة العمل والعمل الجماعي مع جميع الموظفين والمعلمين بروح الفريق الواحد ناهيك عن المكانة الاجتماعية التي يحظى بها مدير المدرسة في المجتمع لما لها من تقدير واجلال من أفراد المجتمع أدت بدورها إلى وجود الرضا الوظيفي لدى مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطي. وتتفق النتيجة الحالية مع دراسة لونج (1990) ودراسة الهدهود (1994)، استمين وآخرون (2002)، ودراسة صادق القاروط (2006)، ودراسة سامح محافظة وربى الحداد (2010)، ودراسة سعيد بن مبارك بن سعيد ومحمد بن محمد أحمد (2014)، ودراسة عمر بن سمران (2021)، ودراسة خالد الحوتي (2018) في وجود رضا وظيفي لدى أفراد العينة، بينما اختلفت مع دراسة هيام الشريدي وعبد الرحيم زهير (1991)، حسن الطعاني وعبد الوهاب الكساسبة (2005)، في عدم وجود فروق في الرضا الوظيفي لدى أفراد العينة أما من حيث التراتبية في المجالات فاختلقت النتيجة الحالية مع دراسة سليمان الشتوي (2016)، دراسة خالد الحوتي (2018) ودراسة صادق سميح صادق القاروط (2006) التي أظهرت تراتبية في المرتبة الأولى: مجال العلاقة مع المعلمين، يليها المرتبة الثانية: مجال الدورات والتدريب، وفي المرتبة الثالثة: مجال طبيعة الوظيفة والعمل وفي المرتبة الرابعة: مجال العلاقة مع مديرية التربية والتعليم، وفي المرتبة الخامسة: مجال أنظمة الترقيات والحوافز، وأخيراً في المرتبة السادسة: مجال الراتب الشهري، بينما اتفقت مع دراسة عمر بن جابر سمران (2021) من حيث التراتبية في مجالات الرضا الوظيفي حيث أظهرت مجال علاقة المدير مع المعلمين في مقدمة المجالات المتحققة، بمتوسط حسابي (3.71)، يليه مجال طبيعة العمل، بمتوسط حسابي (3.68)، وأخيراً مجال الجوانب المادية، بمتوسط حسابي (3.58).

أما على مجال (الراتب) فإن قيمة " ت " 0.90 وبمستوى دلالة 0.38 وهو أكبر من 0.05 وبالتالي لا توجد فروق بين متوسط درجات أفراد العينة من مديري التعليم العام

ببلدية براك الشاطئ، والوسط الفرصي، أي أن أفراد العينة من المديرين لم يؤكدوا رضاهم عن الراتب كما لم يؤكدوا على عدم رضاهم، وبالتالي لا يمكن الجزم بأن مديري مدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ لديهم رضا عن رواتبهم. ويعزو الباحث السبب في ذلك إلى الظروف الراهنة التي تشهدها بلادنا الحبيبة (ليبيا) من مشكلات اقتصادية كنفص السيولة والتضخم الاقتصادي في السلع أدى بدوره إلى شعورهم أو عدم شعورهم برضا عن رواتبهم مهما كانت الأجور، واختلفت النتيجة الحالية مع دراسة سليمان الشتوي (2016) في عدم وجود فروق في مستويات رضا أفراد الدراسة عن (ظروف العمل، العلاقة مع إدارة التربية والتعليم، النمو والتقدم الوظيفي، المكانة الاجتماعية، الراتب الشهري، العلاقة مع زملاء العمل).

الفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الرضا الوظيفي لدى مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطئ تعزى لمتغير الإدارة التربوية (قطاع حكومي، قطاع حر).

للتحقق من هذه الفرضية استخدم لذلك اختبار " ت " لعينتين مستقلتين ذلك للتعرف على الفروق بين فئتي الإدارة التربوية على مقياس الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس ببلدية براك الشاطئ، فكانت النتائج وفق الجدول التالي:

جدول رقم (9)

يبين اختبار " ت " لعينتين مستقلتين للتعرف على الفروق بين فئتي الإدارة التربوية على مقياس الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس ببلدية براك الشاطئ

الاستنتاج	مستوى الدلالة	ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	الإدارة التربوية	المجال
دالة	0.05	1.97	7.19	36.35	20	حكومي	العلاقة مع مكتب التربية
			6.70	41.54	11	حُر	
غير دالة	0.14	1.53	2.30	32.30	20	حكومي	العلاقة مع المعلمين
			4.80	30.36	11	حُر	
غير دالة	0.99	0.05	3.85	43.10	20	حكومي	طبيعة الوظيفة والعمل
			5.34	43.09	11	حُر	
غير دالة	0.23	1.22	4.82	23.65	20	حكومي	الترفقيات والحوافز
			5.64	26.00	11	حُر	
غير دالة	0.10	1.69	6.80	18.35	20	حكومي	الراتب
			6.71	22.64	11	حُر	
غير دالة	0.18	1.38	14.89	182.70	20	حكومي	الكلية
			25.68	192.73	11	حُر	

تشير نتائج الجدول السابق أن قيمة " ت " على مجال (العلاقة مع مكتب التربية والتعليم) كانت 1.97 وبمستوى دلالة 0.05 وهو مساوٍ 0.05 مستوى الدلالة المعتمد بالبرنامج الإحصائي spss للعلوم الاجتماعية، وبالتالي توجد فروق بين فئتي الإدارة التربوية (حكومي ، حر) وهذه الفروق لصالح التعليم الحر أي أن مديري التعليم الحر لديهم رضا عن مكتب التربية والتعليم أكثر من مديري القطاع الحكومي وهذا قد يكون ناتج عما يتلقاه مديري التعليم الحر من دعم ومساندة من مكتب التربية والتعليم ببلدية براك الشاطي أكثر مما يتلقاه مديري قطاع التعليم الحكومي، والعكس صحيح. وانفقت النتيجة الحالية مع دراسة، حسن الطعاني وعبد الوهاب الكساسبة (2005)، التي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير القطاع، ولصالح معلمي القطاع الخاص، بينما اختلفت مع دراسة استمبين وآخرون (2002) والتي أظهرت أن المعلمين في القطاع الخاص كانوا أقل رضا من معلمي القطاع الحكومي، وأنهم كانوا يعانون من ضغط العمل داخل غرفة الصف وخارجها أكثر من معلمي القطاع الحكومي.

أما على المجالات (العلاقة مع المعلمين، طبيعة الوظيفة والعمل، الترقيات والحوافز، الراتب) والكلي فقيم " ت " كانت على التوالي (1.53 ، 0.05 ، 1.22 ، 1.69 ، 1.38) وجميع مستويات الدلالة أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد بالبرنامج الإحصائي spss للعلوم الاجتماعية، وبالتالي لا توجد فروق بين فئتي الإدارة التربوية (حكومية ، حر) في رضاهم الوظيفي فيما يتعلق بمجالات (العلاقة مع المعلمين، طبيعة الوظيفة والعمل، الترقيات والحوافز، الراتب، الكلي) فهم متقاربون لدرجة كبيرة في رضاهم الوظيفي في المجالات سالت الذكر، والمقياس ككل أو الرضا الوظيفي بصفة عامة. ويرجع السبب في ذلك أولاً: كما اشرنا سابقاً إلى المكانة الاجتماعية التي يحظى بها مدير المدرسة سواء كان تعليم حكومي او تعليم حر في المجتمع، وثانياً: إلى إن جميع العاملين في الحقل التربوي سواء كان تعليم حكومي ام تعليم حر يعيشون في مناخ تنظيمي واحد في وحدات عملهم داخل المدرسة.

الفرضية الثالثة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الرضا الوظيفي لدى مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطي تعزى لمتغير الخبرة.

للتحقق من هذه الفرضية استخدم لذلك اختبار " ت " لعينتين مستقلتين ذلك للتعرف على الفروق بين فئتي الخبرة على مقياس الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس ببلدية براك الشاطي، فكانت النتائج وفق الجدول التالي:

جدول (12)

يبين اختبار " ت " لعينتين مستقلتين للتعرف على الفروق بين فنتي الخبرة على مقياس الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس ببلدية براك الشاطئ

الاستنتاج	مستوى الدلالة	ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	الخبرة	المجال
غير دالة	0.76	0.30	7.10	38.64	14	24 سنة فما دون	العلاقة مع مكتب التربية
			7.09	37.82	17	أكثر من 24 سنة	
غير دالة	0.11	1.66	3.67	32.71	14	24 سنة فما دون	العلاقة مع المعلمين
			3.08	30.71	17	أكثر من 24 سنة	
غير دالة	0.17	1.40	5.25	44.29	14	24 سنة فما دون	طبيعة الوظيفة والعمل
			3.28	42.12	17	أكثر من 24 سنة	
غير دالة	0.99	0.02	5.19	24.50	14	24 سنة فما دون	الترقيات والحوافز
			5.29	24.47	17	أكثر من 24 سنة	
غير دالة	0.91	0.11	7.33	19.71	14	24 سنة فما دون	الراتب
			6.89	20.00	17	أكثر من 24 سنة	
غير دالة	0.36	0.93	20.34	189.86	14	24 سنة فما دون	الكلي
			19.05	183.29	17	أكثر من 24 سنة	

تشير نتائج الجدول السابق أن قيمة " ت " على كل المجالات والكلية كانت على التوالي (0.30 ، 1.66 ، 1.40 ، 0.02 ، 0.11 ، 0.93) وجميع مستويات الدلالة أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد بالبرنامج الاحصائي spss للعلوم الاجتماعية، وبالتالي لا توجد فروق بين فئتي الخبرة من المديرين بمدارس التعليم العام ببلدية ابراك الشاطئ في رضاهم الوظيفي فيما يتعلق بمجالات (العلاقة مع مكتب التربية والتعليم، العلاقة مع المعلمين، طبيعة الوظيفة والعمل، الترقيات والحوافز، الراتب) والكلية فهم متقاربون لدرجة كبيرة في رضاهم الوظيفي بكل المجالات، والمقياس ككل أو الرضا الوظيفي بصفة عامة، ويعزو الباحث السبب في ذلك الى الظروف الإدارية المتشابهة التي يمر بها مدراء المدارس والتي ادت الى تقارب الخبرات وهذا ما لاحظته الباحث خلال التطبيق الميداني للدراسة. وتتفق النتيجة الحالية مع دراسة هيام الشريدي وعبدالرحيم زهير (1991)، ودراسة الهدود (1994)، و دراسة سامح محافظة وربي حداد (2010)، دراسة سليمان الشتوي (2016) في عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية تبعا لمتغير الخبرة، بينما اختلفت مع حسام عبد الرحيم ياسين (2020)، و دراسة عمر بن جابر سمران (2021) والتي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لأثر متغير (سنوات الخبرة الإدارية على درجة الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الحكومية على المستوى الكلي، وفي مجال (ضغوط العمل)، ولصالح فئة سنوات الخبرة أقل من 5 سنوات.

الفرضية الرابعة: توجد فروق ذات دلالة احصائية في الرضا الوظيفي لدى مديري التعليم العام ببلدية براك الشاطئ تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

للتحقق من هذه الفرضية استخدم لذلك اختبار " ت " لعينتين مستقلتين ذلك للتعرف على الفروق بين فئتي المؤهل العلمي على مقياس الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس ببلدية براك الشاطئ، فكانت النتائج وفق الجدول التالي:

جدول (10)

يبين اختبار " ت " لعينتين مستقلتين للتعرف على الفروق بين فئتي المؤهل العلمي على مقياس الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس ببلدية براك الشاطئ

المجال	المؤهل العلمي	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة	الاستنتاج
العلاقة مع مكتب التربية	دبلوم معلمين	15	36.13	7.34	1.55	0.13	غير دالة
	(ليسانس بكالوريوس)	16	40.12	7.05			
العلاقة مع المعلمين	دبلوم معلمين	15	32.20	3.36	0.92	0.37	غير دالة
	(ليسانس بكالوريوس)	16	31.06	3.55			
طبيعة الوظيفة والعمل	دبلوم معلمين	15	43.60	3.85	0.62	0.54	غير دالة
	(ليسانس بكالوريوس)	16	42.63	4.84			
الترقيات والحوافز	دبلوم معلمين	15	24.07	4.65	0.43	0.67	غير دالة
	(ليسانس بكالوريوس)	16	24.88	5.71			
الراتب	دبلوم معلمين	15	17.73	6.03	1.70	0.05	دالة
	(ليسانس بكالوريوس)	16	21.88	7.38			
الكلي	دبلوم معلمين	15	182.40	15.44	1.06	0.30	غير دالة
	(ليسانس بكالوريوس)	16	189.88	22.73			

تشير نتائج الجدول السابق أن قيمة " ت " على مجالات (العلاقة مع مكتب التربية والتعليم، العلاقة مع المعلمين ، طبيعة الوظيفة والعمل، الترقيات والحوافز، والكلي) كانت على التوالي (1.55 ، 0.92 ، 0.62 ، 0.43 ، 1.06) وجميع مستويات الدلالة أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد بالبرنامج الاحصائي spss للعلوم الاجتماعية ، وبالتالي لا توجد فروق بين فئتي المؤهل العلمي من المديرين بمدارس التعليم العام ببلدية براك الشاطئ في رضاهم الوظيفي فيما يتعلق بمجالات (العلاقة مع مكتب التربية

والتعليم ، العلاقة مع المعلمين ، طبيعة الوظيفة والعمل، الترقيات والحوافز، والكلية) فهم متقاربون لدرجة كبيرة في رضاهم الوظيفي بكل هذه المجالات، والمقياس ككل أو الرضا الوظيفي بصفة عامة. وتتفق النتيجة الحالية مع دراسة الهدهود (1994) ودراسة سامح محافظة وروبي حداد (2010) ودراسة حسام عبد الرحيم ياسين (2020)، ودراسة عمر بن جابر سمران (2021) في عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الحكومية تعزى لمتغيري (المؤهل العلمي). أما على مجال (الراتب) فإن قيمة " ت " 1.70 وبمستوى دلالة 0.05 وهو مساو 0.05 مستوى الدلالة المعتمد بالبرنامج الاحصائي spss للعلوم الاجتماعية، وبالتالي توجد فروق بين فئتي المؤهل العلمي بهذا المجال وهذه الفروق لصالح ممن مؤهلهم (ليسانس، بكالوريوس) من المديرين على حساب ممن مؤهلهم (دبلوم معلمين)، أي أن المديرين بمدارس التعليم العام ببلدية ابراك الشاطي الذين مؤهلهم (ليسانس، بكالوريوس) لديهم رضا عن الراتب أكثر من المديرين الذين مؤهلهم (دبلوم معلمين). ولربما يرجع السبب في ذلك الى المدة التي قضاها المديرين الحاصلون على دبلوم معلمين في اداء العمل متدرجا في سلم الترقيات والذي يقتضي بدوره زيادة رواتبهم للدرجة التي تلي بها احتياجاتهم المادية. حيث ان الراتب لا يكفي لسد الغرض. وتتفق النتيجة الحالية مع دراسة لونج (Long) (1990) والتي اظهرت أن هناك ارتباطاً هاماً بين طبيعة العمل والراتب من جهة والرضا الوظيفي لهؤلاء المديرين من جهة أخرى.

- التوصيات والبحوث المقترحة:

أولاً: التوصيات:

- 1- تفويض مديري المدارس صلاحيات أكثر لتعزيز الثقة لديهم وتمكين هممن أداء واجباتهم بفاعلية وزيادة الاهتمام بالصحة النفسية لدى مديري المدارس وتحسينها من خلال عم لدورات تدريبية كفن الإدارة وإدارة الوقت.
- 2- إعداد برنامج متكامل للتكريم المعنوي لمدراء المدارس بالأخص معلمين الحاصلين على دبلوم معلمين وجميع العاملين في المؤسسة التربوية وذلك لتعزيز شعورهم بالفخر بأداء عملهم الذي قدموه طيلة مسيرتهم العلمية.
- 3- زيادة الاهتمام بالندوات والمحاضرات وورش العمل والدورات التدريبية الخاصة بمدراء المدارس وجميع العاملين في الحقل التربوي من قبل مكتب مراقبة التعليم ببلدية براك الشاطي لما لها من أثر كبير في ارتفاع مستوى الرضا الوظيفي لديهم.

ثانياً: البحوث المقترحة:

- 1- إعداد دراسة مقارنة بين مدراء مدارس التعليم الأساسي والثانوي بالتعليم الحكومي ومدراء مدارس التعليم الأساسي والثانوي بالتعليم الخاص لمعرفة مستوى الرضا الوظيفي لديهم تبعاً لمتغير المؤهل العلمي وسنوات الخبرة والراتب الشهري.
- 3- إحداث الحياة الضاغطة وعلاقتها بالرضا الوظيفي وجودة الحياة وكفاءة الأداء لدى مدراء مدارس التعليم العام.

قائمة المراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، (د،ط)، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 2- القاروط، صادق سميح صادق 2006، الجدية في العمل وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية. فلسطين.
- 3- البابطين، عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن سعود، 2011، مستوى الرضا الوظيفي لمديري المدارس المتوسطة والثانوية بمدينة الرياض، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 25: ص ص 17-83.
- 4- الحوتي، خالد علي سعد، 2018، الرضا الوظيفي وعلاقته بفاعلية أداء العمل في الإدارة الحكومية (دراسة تطبيقية على مديري المدارس العامة بمدينة بنغازي)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بنغازي.
- 5- السالم، عبد الله محمود، 2017، الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية في مديرية التربية والتعليم لمنطقة الزرقاء الثانية وعلاقته بأداء المعلمين من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة جرس.
- 6- الهدهود، دلال عبد الواحد، 1994، العوامل المؤثرة في الرضا الوظيفي لدى نظار وناظرات مدارس التعليم العام في دولة الكويت، مجلة كلية التربية، العدد 26، كلية التربية جامعة المنصورة.
- 7- الخضرمي، أحمد بن سعيد بن ناصر، الصوافية، خوجة بنت محمد، عطاء، اوسيم محمد عباد، 2022، العوامل المؤثرة في الرضا الوظيفي للعاملين بوحدات الجهاز الحكومي بسلطنة عمان، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9، العدد 53: ص ص 173-195.

- 8- الزبير، جلال عبدة الزبير، 2011، الرضا الوظيفي لدى المشرفين التربويين وعلاقته بأدائهم في مدارس التعليم الثانوي بمحافظة عدن، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عدن.
- 9- الدليمي، أحمد وكريم ناصر، 2009، علم النفس الإداري وتطبيقاته في العمل، دار الأوائل للنشر، عمان، الأردن.
- 10- اتاسي، رشا عبد الفتاح، 2021، أثر الرضا الوظيفي في أداء الموظفين العاملين في مشروع الرعاية الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد وإدارة الأعمال، الجامعة الافتراضية السورية. سوريا.
- 11- التويجري، سحر صالح عبد الرحمن، 2019، مستوى الرضا الوظيفي لدى معلمات المرحلة الثانوية في مدينة بريدة، ادارة البحوث والنشر العلمي (المجلة العلمي)، المجلد 35- العدد 9 - الجزء الثاني- ص ص 289-325.
- 12- الطعاني، حسن والكساسبة عبد الوهاب، 2005، الرضا الوظيفي لدى معلمي المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية والخاصة في محافظة العاصمة والعوامل المؤثرة فيه (دراسة مقارنة)، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مجلد 1، عدد 2، ص ص 189-200 .
- 13- الأشهب، اسماعيل 2017، علاقة ضغوط العمل بالرضا الوظيفي دراسة ميدانية على عينة من العاملين ببلديتي ورماس وكوينين - ولاية الوادي- رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي.
- 14- الأمين برياح محمد موساوي يحي، 2016، تأثير الرضا الوظيفي على أداء الموارد البشرية دراسة حالة المؤسسة العمومية الاستشفائية بمغنية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان الجزائر.
- 15- سلمان، منى رسول، 2011، الرضا الوظيفي لدى المشرفين الاختصاصي وعلاقته بأدائهم الوظيفي، دراسات تربوية، العدد 15: ص ص 59-78.
- 16- طروم، برنية علي، 2014، الرضا الوظيفي مفهومه، عوامله، ونظرياته مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية عدد 6، ص ص 67-82.
- 17- عبد الباقي، صلاح الدين محمد، 2004، السلوك العال في المنظمات، الدار الجامعية، الإسكندرية.

18- محافظة سامح، روى الحداد، 2010، الأنماط القيادية لدى مديري المدارس الأساسية في محافظة عجلون وعلاقتها بالرضا الوظيفي للعاملين فيها من وجهة نظرهم، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 37، العدد 2، ص ص 403-426.

19- فلبان، إيناس فؤاد نواوي، 2008، الرضا الوظيفي وعلاقته بالالتزام التنظيمي لدى المشرفين التربويين والمشرفات التربويات بإدارة التربية والتعليم بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة.

الزحف الصليبي على بيت المقدس (الحملة الصليبية الأولى نموذجاً)

أ. سناء ضو على كريم

قسم التاريخ، كلية الآداب الإصابعة، جامعة غريان.

المستخلص:

يقوم هذا البحث بدراسة أحد الفترات التاريخية التي كان لها أثر واضح في العالم الإسلامي في تلك الفترة، وهي الحملة الصليبية الأولى، وكانت بداية هذا البحث عرض أسباب الحملة من قبل الصليبيين سواء كانت هذه الأسباب علنية، أو سرية لدى مؤسسو هذه الحملات، إضافة إلى عرض إشكالية هذا البحث وهي هل ان الحملة الصليبية كانت بسبب دافع الديني فقط؟ أم هل كانت لديهم عدة أسباب غير معلن عنها من قبل الأمراء في قيادة هذه الحملة، هل كانت الحملة الصليبية ذات طابع تنظيمي أم أنها كانت عشوائية بشعارات دينية فقط؟ واقتضت هذه الدراسة على الاعتماد على المنهج السردى والتحليلي في أن واحد، وهنا كانت تقسيمات البحث على النحو التالي، مقدمة اشتملت علي تعريف العنوان وأهمية البحث إضافة إلى عرض إشكالية الدراسة لهذا البحث، اما المطلب الأول فكان تحت عنوان: أسباب الحملة الصليبية، الدينية والاقتصادية والسياسية وما هو اقرب سبب في وجهة نظر الباحثة، والمطلب الثاني فكان تحت عنوان الدعاية والاستعداد للحرب من خلال الشعارات والخطب من قبل رجال الدين (الكنيسة)، ام المطلب الثالث فكان بداية سير الحملة والمطلب الرابع تحدث عن مسير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى كما درس المطلب الخامس مرحلة تأسيس الامارات الصليبية في بلاد الشام.

الكلمات المفتاحية: الزحف الصليبي، بيت المقدس، الحملة الصليبية الأولى.

المقدمة

إن الحروب الصليبية بدأت فعلاً قبل بدايتها الرسمية في أواخر القرن الحادي عشر أي قبل أن يدعو البابا أوربان الثاني سنة (488 هـ / 1095م) للحملة، التي عرفت في التاريخ بالحملة الصليبية الأولى، فمنذ توسع المسلمين في حوض البحر المتوسط في القرن السابع للميلاد، والدعوة لم تنقطع في غرب أوروبا لمحاربة المسلمين، وقد اتخذت تلك الحروب صبغة دينية في كثير من أدوارها.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في توضيح المصالح الشخصية لأغلب القادة الصليبيين التي كانت الدافع الحقيقي للمشاركة في الحملات الصليبية.

أهداف البحث: حدث في أواخر القرن الحادي عشر أن اتجه الغرب الأوربي نحو إرسال حملات كبرى لإسترداد بيت المقدس من المسلمين وعندئذ بدأت المرحلة النشطة في الحركة الصليبية، وسنوضح هنا كيف كانت الحملة الصليبية الأولى من حيث الاستعدادات والترتيبات للقيام بها إضافة إلى سير الحملة والنتائج التي آلت إليها.

المطلب الأول: أسباب الحملة الصليبية الأولى (488 هـ / 1095 م):

يجمع المؤرخون على أن للحملات الصليبية، وبالأخص الحملة الصليبية الأولى جملة أسباب منها ما يتعلق بالأوضاع الدينية والاجتماعية والاقتصادية لأوروبا الغربية ومنها ما يتعلق بالعلاقات الإسلامية المسيحية في المشرق الإسلامي والأناضول.

أولاً: الأسباب الدينية:

كان المشرق الإسلامي قبيل انطلاق الحملات الصليبية مقسماً بين الدولتين العباسية في بغداد، والفاطمية في القاهرة، وكان المسيحيون في ديار الإسلام آنذاك من أصحاب العلم والنفوذ والشأن - بالأخص في الدولة الفاطمية - التي تساهل خلفاؤها مع أهل الذمة لدرجة كبيرة، فقدموهم في الوظائف مما جعلهم يستأثرون بالنفوذ في الدولة فاقتنوا الأرزاق، والأموال ما مكنهم من العيش برغد، وبنوا الكثير من الكنائس والأديرة، لكن الحال تبدل بداية من سنة (393 هـ / 1003م)، خلال خلافة الحاكم بأمر الله فقسا على اليهود والنصارى في المعاملة، ويحتمل أنه كان مدفوعاً في ذلك من النعمة الشعبية الإسلامية العامة، إذ ساء المسلمون أن يتقرب الخليفة إلى غيرهم بهذا الشكل المبالغ فيه، وأن يتقلص نفوذهم وهم الأكثرية لصالح الأقلية، التي عمل بعض أفرادها على إقصاء المسلمين عن الوظائف الحكومية وتقديمهم لأبناء دينهم. وتشدد الحاكم بداية مع النصارى بسبب ازدياد نفوذهم في البلاد منذ عهد أبيه العزيز بالله، وربما كان للحروب

بين الفاطميين والبيزنطيين دافع آخر لاضطهاد أتباع هذه الطائفة، كما يبدو أن هذه الخطوة كانت تستهدف استقطاب الأكثرية القبطية في مصر التي كانت على المذهب اليعقوبي المخالف، لكن تشدد الحاكم لم يلبث أن طال النصارى بعامّة، وبلغ ذروته سنة (399هـ / 1009م)، عندما أمر بهدم كنيسة القيامة في بيت المقدس فهدمت واقتلعت المعالم المقدسة المسيحية فيها ومحت أثارها، كما هدمت كنائس وأديرة أخرى في مصر والشام خلال السنة المذكورة. وأنزل الحاكم باليهود والنصارى المزيد من ضروب الإذلال، فأجبرهم على الالتزام بأشكالٍ معينة في اللباس والرموز فكان المسيحيون مرغمين على تعليق صلبان في أعناقهم زنة الواحد منها خمسة أرطال (نحو كيلو غرامين) عندما يرتادون الحمامات، وكذلك اليهود كان عليهم أن يجعلوا في أعناقهم إطارا من الخشب بالوزن نفسه يشد إليه جلجل عوض الصليب. ولم يكن لأهل الذمة عهد بمثل هذه الإجراءات والمضايقات، فعانوا من هذه المحن والشدائد أعواما وأخذ بعضهم يهاجر سرا إلى بلاد الروم، وعندما علم الحاكم بذلك أصدر قرارا في سنة (404هـ / 1013م)، سمح بموجبه للنصارى واليهود بالهجرة إلى البلاد الرومية، أو الحبشية، أو النوبية، وأن يحملوا معهم أموالهم وأهلهم وما تحويه أيديهم، فهجر الكثير من النصارى الشوام والمصريين أوطانهم والتحقوا بديار الروم (ريمونداجيل، 1989م: ص 59).

ومما لا شك فيه أن أخبار اضطهاد المسيحيين وصلت الإمبراطورية البيزنطية وأجبت الرأي العام، وما زاد الأمور سوءا كان التعدادات التي طالت الحجاج الأوروبيين بعد ضعف الدولة الفاطمية وخروج العديد من بلاد الشام من تحت جناحها، ففي سنة (414هـ / 1024م)، وخلال هذه الفترة المضطربة كثر التعدي على الحجاج الأوروبيين بشكلٍ خاص بسبب ما كانوا يحملونه معهم من النفائس والأموال، ولما عاد الحجاج إلى أوطانهم ونشروا أخبار الاضطهاد الذي تعرضوا له في المشرق، أثاروا حماسة المسيحيين وجعلوهم يفكرون في تأمين حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة بأمان (المرجع نفسه، ص 60).

ويعتقد بعضهم أن الحملة الصليبية الأولى كانت التطور المنطقي للحج المسيحي إلى فلسطين ذلك أن تيار الحج الأوروبي المستمر، كان لا بد له أن يؤدي بالضرورة إلى فكرة أن الأرض التي شهدت حياة المسيح وقصته لا بد أن تكون تحت سيطرة أتباعه، ولم يكن السبب هو الرغبة في حل المشكلات والصعوبات العملية التي كانت تواجه الحجاج الغربيين، ولكن لأن أوروبا الغربية -التي بدأت تشعر بقوتها، رفضت بقاء أرض

المسيح بأيدي المسلمين، وتركزت فكرة تخليص الديار المقدسة منهم في أذهان أبناء الغرب الأوروبي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وقد أدى هذا بالضرورة إلى أهمية القيام بحملة حج مسلحة لتحقيق هذا الهدف، وهكذا صار الحج من أهم جذور فكرة الحملات الصليبية. وكانت البابوية ترمي إلى الاستيلاء على الأماكن المقدسة وجعلها تحت سيطرتها المباشرة، لذلك أيدت الحركة الصليبية بكل قواها وعطفت عليها، ومنحت الغفران عن الخطايا لمن يتجند في الجيوش المسافرة إلى المشرق على أمل تحقيق هذه الأمانة الغالية، فأقبل كثير من الأتقياء على السفر أملاً بأن تقبل توبتهم ولينالوا الغفران ويدخلوا الجنة.

ثانياً: الأسباب السياسية:

لا تقل الأسباب السياسية للحملات الصليبية أهمية عن الأسباب الدينية، بل يعتبرها البعض مجرد حلقة من الصراع العنيف الطويل بين الشرق والغرب الذي تجلى من قبل في حروب الفرس والإغريق وفي حروب قرطاج وروما وغيرها من الحروب ففي سنة (13هـ / لسنة 634 م) ابتدأ الشرق يهاجم الغرب، هذه المرة بحلة إسلامية فتمكن المسلمون من إلحاق الهزيمة بالروم في عدة وقعات وافتتحوا الشام ومصر والمغرب الأدنى وانتزعوها نهائياً من الإمبراطورية البيزنطية، ولم يكتف المسلمون بهذه البلاد والمناطق، بل تخطوها إلى المغرب الأقصى وبلغوا ساحل المحيط الأطلسي واتخذوا من تلك المناطق قاعدة للوثوب إلى أوروبا، فغزوا جزيرة سرديانية سنة (92هـ / 711 م) وفي السنة ذاتها عبر طارق بن زياد (قائد المسلمين) المضيق الفاصل بين شبه الجزيرة الأيبيرية والمغرب الأقصى، بحلول أواخر سنة (95هـ / 714 م)، وبفتح أيبيريا بدت خسارة الكنيسة واضحة جلية، إذ فقدت بلاداً ارتبطت بها أصول المسيحية الأولى مثل الشام ومصر فضلاً عن بلادٍ أخرى كانت بمثابة أعضاء أساسية في العالم المسيحي مثل إفريقية وأيبيريا. وفي جميع البلاد التي فتحها المسلمون أقبلت نسبة كبيرة من الأهالي على اعتناق الإسلام عن اختيارٍ وإرادة حرة، ولكن المسيحيين في الإمبراطورية البيزنطية الغربية، الذين لم يتناقفوا مع المسلمين أو يتعايشوا معهم، لم يفهموا طبيعة الديانة الجديدة التي خرجت من شبه الجزيرة العربية، وكل ما أدركوه هو أن المسلمين خرجوا ليبتلعوا بلاداً بعد آخر من البلدان التي كانت المسيحية قد سبقت إليها، وانتشرت فيها، وصارت تعتر ببقائها في حوزتها، وبعبارة أخرى فإن كنيسة القسطنطينية وروما ورجالتهما لم يروا في الإسلام والمسلمين إلا خطراً جاثماً هددهما وهدد كيانهما، ولم

يستطيعوا حتى نهاية العصور الوسطى أن ينسوا الخسارة التي لحقت بهم نتيجة لانتشار الإسلام، مما جعلهم يشعرون دائما بالرغبة في الانتقام من الإسلام والمسلمين.

كانت الإمبراطورية البيزنطية أقرب القوى المسيحية إلى حدود المسلمين، وربطتها بالدولة الإسلامية الناشئة علاقات مباشرة وفصلت بينهما حدود مباشرة أيضا، مما جعل الاحتكاك لا ينقطع بين القوتين، وقد ظهر المسلمون على البيزنطيين خلال فترة ضعف هؤلاء، وظهر البيزنطيون على المسلمين خلال فترة تشرذمهم وتفرق كلمتهم، واستمر الأمر على هذا المنوال إلى أن توفي الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني سنة (416هـ / 1025م) فشكلت وفاته انعطافة سلبية في تاريخ الروم دخلت خلالها الإمبراطورية في مرحلة اضطراب سياسي وديني واقتصادي استمرت حتى (سنة 474هـ لسنة 1081 م)، فخلال هذه الفترة تعاقب على العرش البيزنطي أباطرة ضعاف افتقدوا المقدره والكفاءة التي تمتع بها الأباطرة السابقين، وشهدت هذه الفترة أيضا وقوع الانشقاق العظيم بين كنيسة روما والقسطنطينية نتيجة الخلافات السياسية بين الغرب والشرق المسيحيين، كما تراجع الاقتصاد البيزنطي، وأخذت الإمبراطورية تفقد السيطرة على أطرافها. وفي سنة (463هـ / 1071م)، التحم المسلمون بقيادة السلطان السلجوقي ألب أرسلان مع الروم بقيادة الإمبراطور رومانوس الرابع في معركة طاحنة على تخوم مدينة ملاذكرد، وقد أسفرت المعركة عن هزيمة الروم ووقوع الإمبراطور في أسر المسلمين، فأطلق السلطان سراحه لقاء فدية كبيرة وشريطة أن يطلق سراح أسراه من المسلمين، ويمد السلطان بالعاكر اللازمة عند الطلب. ومن ثم فقد جرت العادة على اعتبار هذه الوقعة إحدى حجج الغرب لشن حربه المقدسة على ديار الإسلام (ريمونداجيل، ص 59:70).

ثالثا: الأسباب الاقتصادية.

تشير جميع الوثائق المعاصرة لحمليتي الفقراء والصليبية الأولى إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوروبا - وبخاصة فرنسا - في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، فقد كانت تعاني مجاعة شاملة قبيل الدعوة للحملة الصليبية الأولى، فندر وجود الغلال وارتفعت أثمانها ارتفاعا فاحشا، مما ترتب عليه حدوث أزمة في الخبز فاضطر الناس إلى أكل الأعشاب والحشائش. وهذا ما يفسر لم كانت نسبة الصليبيين الفرنجة المشتركين في الحملة الصليبية الأولى أكبر من الوافدين من أي دولة أخرى في غرب أوروبا. وزاد من سوء الأحوال الاقتصادية في الغرب الأوروبي في ذلك الوقت كثرة الحروب المحلية بين الأمراء الإقطاعيين، وهي الحروب التي لم تنجح الكنيسة أو الملوك في وقفها، مما

أضر بالتجارة وطرقها والزراعة وحولها أبلغ الضرر. وهكذا جاءت الحملات الصليبية لتفتح أمام الجموع في غرب أوروبا باباً جديداً للهجرة، وطريقاً للخلاص من الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي عاشوا فيها داخل أوطانهم، فضمت حملتا الفقراء والصليبية الأولى جموعاً غفيرة من المعدمين والفقراء والمساكين وطريدي القانون، وجميعهم كانوا يفكرون في بطونهم قبل أن يفكروا في دينهم، بدليل ما أتوه طوال طريقهم إلى القسطنطينية من أعمال العدوان والسلب والنهب ضد إخوانهم من النصارى، الذين مروا بأراضيهم دون أي أزع ديني، ويلاحظ أن الدويلات البحرية الإيطالية القائمة على التجارة كجمهوريات البندقية، وجنوة، رأت في الدعوة الصليبية فرصة طيبة يجب اقتناصها لتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب الذاتية على حساب البابوية والكنيسة والصليبيين جميعاً، فأخذت تعرض خدماتها لنقل الجند عن طريق البحر إلى المشرق العربي، وفيما بعد لنقل المؤن والأسلحة وكافة الإمدادات إلى الصليبيين في الشام وتقديم المعونة البحرية للدفاع عن الموانئ الشامية المحتلة ضد هجمات الأساطيل الإسلامية. وهكذا اصطبغت الحركة الصليبية من أول أمرها بصبغة اقتصادية بعضها كان استغلالياً واضحاً، فالكثير من الجماعات والأفراد الذين أيدوا تلك الحركة وشاركوا فيها لم يفعلوا ذلك لخدمة المسيحية وحرب المسلمين، وإنما جرياً وراء المال، وجمع الثروات، وإقامة مستعمرات، ومراكز ثابتة لهم في قلب ديار الإسلام بغية استغلال مواردها والمتاجرة فيها.

رابعاً: الأسباب الاجتماعية:

تألف المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى من ثلاث طبقات: طبقة رجال الدين، وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وطبقة الفلاحين من الأقتان ورقيق الأرض، وكانت الطبقتان الأوليتان تمثلان الهيئة الحاكمة من وجهة النظر السياسية والأرستقراطية السائدة من وجهة النظر الاجتماعية، والفئة الثرية من وجهة النظر الاقتصادية؛ في حين كانت طبقة الفلاحين تمثل جموع الكادحين المغلوبين على أمرهم المحرومين من النفوذ والثروة، والتي كان على أفرادها أن يعملوا ويشقوا ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين. والواقع إن آلاف الفلاحين عاشوا في غرب أوروبا عيشة منحطة في ظل نظام الضياع، حيث شيدوا لأنفسهم أكواخاً قذرة من جذوع الأشجار وفروعها غطيت سقوفها وأرضيتها بالطين والقش دون أن يكون لها نوافذ أو بداخلها أثاث عدا صندوق صغير من الخشب وبعض الأدوات الفخارية والمعدنية البسيطة، وكان معظم أولئك الفلاحين من العبيد والأقتان الذين ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالأرض التي يعملون

عليها، وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ الحرية الشخصية، فكل ما يجمعه الفن يعتبر ملكا خاصا للسيد الإقطاعي لأن الفن محروم حتى من الملكية الشخصية وعاش أولئك الفلاحون مثقلين بمجموعة ضخمة من الالتزامات والخدمات، فكان عليهم أن يقدموا خدماتٍ معينة للسيد الإقطاعي مثل فلاحة أرضه الخاصة، فضلا عن تسخيرهم في أعمالٍ شاقة مثل شق الطرق وحفر الخنادق وإصلاح الجسور، كذلك كان على الفلاحين دفع مقررات معينة مثل ضريبة الرأس التي يتعين على كل قن دفعها سنويا رمزا لعبوديته، هذا عدا عن الضرائب المفروضة على ماشيته وما تنتجه أرضه من خضروات، أضف إلى ذلك ألزم الفلاحون بقبول احتكاراتٍ عديدة أخرى، فكان السيد الإقطاعي صاحب الضيعة وحده يمتلك طاحونة وفرنا ومعصرة، بل أحيانا البئر الوحيدة في الضيعة، وفي هذه الحالة يصبح كل قن ملزما بإحضار غلته إلى طاحونة السيد لطحنها، ويحمل خبزه إلى فرن السيد لخبزه، وكرومه وزيتونه وتفاحه إلى معصرته لعصرها، كل ذلك لقاء أجورٍ معينة يقدمها الأقتان لسيدهم الإقطاعي وهم صاغرون، فإذا امتلك فلاح طاحونة أو غير ذلك من الأجهزة التي من حق السيد الإقطاعي وحده أن يحتكرها، صار ذلك جرما خطيرا يحاكم عليه، وهكذا كانت الغالبية العظمى من الناس في أوروبا الغربية يحيون حياة شاقة مليئة بالذل والهوان عشية الدعوة إلى الحملة الصليبية الأولى، ومما زاد الطين بلة كان الظروف الطبيعية التي داهمت الفلاحين، فهطلت كميات هائلة من الأمطار جرفت المزارع وأتلفت الأرزاق وخربت بيوت الفقراء والمساكين، وكونت مستنقعاتٍ عملت على نشر الملاريا والطاعون في أوروبا، فمات مئات الآلاف من الناس جوعا ومرضاً، ومن تبقى على قيد الحياة من الأقتان والفلاحين عاش جائعا عاريا، فلم يكن غريبا والحالة هذه أن تجد دعوى الحرب لدى هؤلاء التعساء كل حماسة وتأييد ليتخلصوا مما كانوا يقعون فيه من ذل العيش ونكد الدنيا، لا سيما بعد أن قيل لهم إن في الديار المقدسة نهريْن من لبن وعسل، وما على أحدهم إلا أن يجلس بين النهريْن ويغرف بيمينه لبنا وبيساره عسلا والشرط الوحيد لامتلاك هذين النهريْن قتل المسلمين، وتخليص بيت المقدس منهم فيكون بذلك ضمن الدنيا بلبنها وعسلها والأخرة بجناتها الوارفة (معلوف، 1099م: ص 12 : 13).

المطلب الثاني: الاستعداد للحرب والدعاية لها:

في سنة (486 هـ / 1093م) قدم الي بيت المقدس راهب فرنسي يدعى (بترس الناسك) للحج والزيارة، وَاغتاز لرؤية السيادة الإسلامية على فلسطين والأماكن النصرانية المقدسة، فعزم على دعوة المسيحيين لإنقاذ الأماكن النصرانية المقدسة من

أيدي المسلمين راجعا إلى وطنه (فرنسا) وعرج على روما حيث يوجد البابا (أروبان الثاني)، والبابا بإعتباره الرئيس الأعلى للمسيحيين، كان يعمل على فكرة إنقاذ الأماكن المقدسة النصرانية من أيدي المسلمين على إنقاذ بيت المقدس، وسار بطرس الناسك متجولا في إيطاليا وفرنسا، وكان له تأثير كبير على العامة والرعاع في تلك الفترة (عاشر، 1976م: ص81).

أما البابا أوربان فإنه عمل على عقد المجمع الكنيسة للبحث عن كيفية تنفيذ خطة غزو البلاد الشامية وتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين، فإختار البلاد الفرنسية (موطنه الأصلي) حيث أنعقد مجمع كلارمون فران في سنة (488 هـ / نوفمبر 1095م) (نسيم العرب، 1981م: ص 152)، ولبي الدعوة كثير من الأمراء ورؤساء الكنائس والفرسان ووفود الملوك، زيادة على العامة، وقد أعلن البابا إعفاء حماة الصليب من جميع التكاليف، مظهر أسفه من أن الظروف لم تساعده على المشاركة بنفسه في هذه الحرب (عاشر، مرجع نفسه: ص82).

اتفق المشاركون في مجمع كلارمون على أن يكون موعد السفر في (15 أبريل 1096م) وأن يكون اللقاء بمدينة القسطنطينية (الحميدة، 1990م: ص 60)، وكان هذا الأجل الطويل بين إنعقاد المجمع، وموعد السفر لغرضين ترقب الصيف والتهيئة للتعبة، وزيادة الدعاية للحملة الصليبية.

المطلب الثالث: سير الحملة الصليبية الأولى:

قبل الموعد المضروب للسفر، تكونت كتائب صليبية شعبية على غاية من الفوضى والإضطراب، لا تخضع لقيادة منظمة، ولا هي بمستوية لشروط القتال وأكثر عزل أو مشاة معهم عيالهم من نساء وأطفال، وكانت هذه الحملة الشعبية بقيادة بطرس الناسك، فسارت في إضطراب وفوضى، مخترقة أوروبا الوسطى تسلب وتنهب، وقد إشتبكت مع أهالي المدن التي مرت عليها خصوصا في بلاد المجر ومات منها الكثير، ثم وصلت بقايا هذه الحملة إلى القسطنطينية في جويلية (648 هـ / 1096م)، وهال الإمبراطور البيزنطي مما عليه هؤلاء الصليبيون من الفوضى والاضطراب، وخشي منهم على عاصمته، فأسرع بنقلهم على المراكب إلى الضفة الشرقية لليوسفور، وبحر مرمره، وما إن علم السلطان فليج أرسلان السلجوقي (وهو سلطان سلاجقة الروم بن سليمان بن قتلش صاحب قونية، تسلم الحكم في حلب بعد وفاة أبيه سنة (479 هـ / 1086م)، وقد توفي (غرقا) سنة (500 هـ / 1106م) بنزول هؤلاء الصليبيين بأسيا الصغرى حتى هب

لقتالهم قرب مدينة نيقية، عاصمته وأبادهم عن آخرهم (ينظر: الذهبي 1984م، ص 231 ؛ الصفدي ، 2000م: ص 439).

وبينما كانت جيوش بطرس الناسك تلاقى حثفها قرب نيقية تحت ضربات السلطان السلجوقي كانت حركة التجهيز الصليبي على قدم وساق في فرنسا وإيطاليا من جانب الإقطاعيين، والأمراء والأشراف، ولما تم التجهيز وحان الموعد سارت الجيوش الصليبية على النظام التالي:

الجيش الأول: كان على رأسه هيوغ قمس فرماندوة، وهو الابن الأصغر لهنري الأول ملك الفرنجة، وكان يطمع في أن يحصل في الشرق على السلطة والأموال ما يلائم أصالة نسبه، ويبدو أن هيوغ هذا كان أول الأمراء الصليبيين المغادرين، كما كان أولهم وصولاً إلى الأراضي البيزنطية. فقد ارتحل من فرنسا إلى إيطاليا في رمضان (489هـ /1096م)، على رأس جيشٍ صغيرٍ من أتباعه وبعض الفرسان، وأرسل رسولا خاصا إلى القسطنطينية يحمل رسالة ويطلب من الإمبراطور فيها أن يقابله بما يليق بمكانته السامية، وكرر طلبه بما ينبغي الاحتفال باستقباله. ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي استفز بمحتوى هذه الرسالة، وتخوف من تكرار تجربة حملة الفقراء، فأرسل إلى ابن أخيه وقائد أسطوله أن يعلماه بوصول الصليبيين ما إن يظهروا في البلقان وما أن أبحر هيوغ برجاله من باري حتى ضربت أسطوله الصغير عاصفة بحرية أغرقت بعض السفن بكل ما عليها من الركاب، فتم انتشاله مع قادته، ومن نجا من أتباعه، وزج بهم في السجن، ثم أرسلو إلى القسطنطينية، كي يقضي فيهم الإمبراطور بما يشاء (عاشور، 1999 م: ص 105).

الجيش الثاني: تلا وصول كودفري البويني، ورافقه أخوه بلدوين البولوني، فضلا عن عدد آخر من كبار الأمراء. ويبدو أن المكانة البارزة التي تمتع بها كودفري في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وأهمية الإمارات التي شارك أصحابها في تلك الحملة جعلت لها مكانة خاصة دفعت كثيرا من الفرسان إلى الانضمام إليها، فاكتسبت طابعا مميزا من أول الأمر. هذا مع ملاحظة أن معظم المشتركين في هذه الحملة كانوا من القطاع الإفرنجي في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولم يكن من القطاع الألماني سوى القليل، مما جعل الطابع العام لحملة كودفري البويني إفرنجيا، وقد ظهر أثر ذلك عندما استقر أولئك الصليبيون بالشام، إذ سرعان ما ذبلت العلاقات الإقطاعية التي ربطتهم بإمبراطور الرومانية المقدسة، وأقاموا ملكية جديدة في بيت المقدس وفق النظم والتقاليد الإفرنجية (عاشور: المرجع نفسه، ص 106).

سلك هذا القائد الطريق الذي يجتاز بلاد المجر وبلغاريا عبر بلغراد - نيش - أترالسة - فيلابة - أدرنة، في الوقت الذي كان المجريون، ما يزالون يحملون كثيراً من الحقد والضغينة للصليبيين بعد الضرر الذي لحق بهم على أيدي جموع بطرس الناسك ورعاي حملة الفقراء، لذلك رأى كودفري أن يبذل تلك المخاوف عند المجريين، قبل أن يعبر بلادهم، فعقد اجتماعاً مع الملك كولومان بن كزاي على الحدود المجرية الألمانية وفي ذلك الاجتماع قدم كودفري أخاه بلدوين ليظل رهينة لدى الملك المجرى حتى يتم انتقال قواته عبر الأراضي المجرية، وفي الوقت نفسه أصدر كودفري أوامر مشددة لرجاله ليحول بينهم وبين أعمال النهب والعدوان على الأهالي أو ممتلكاتهم، وبفضل جهود التنظيم، والاتفاق المسبق هذا سار جيش كودفري إلى القسطنطينية دون أن يواجه متاعب، فلما جاوز أدرنة بلغه أن هيوغ الفرماندوي قد زج في السجن مع رفاقه النبلاء، فأرسل على جناح السرعة عدداً من الرسل إلى الإمبراطور ألكسيوس للإلحاح عليه بضرورة إطلاق سراح هؤلاء، ويلومه على ما أنزله بهم «وهم الذين وهبوا أنفسهم لرحلة الحج نفسها». وبحسب وليم الصوري فإن الإمبراطور رفض طلب كودفري، فما كان من الأخير إلا أن أذن لعسكره بنهب نواحي أدرنة، فدمروها دماراً شاملاً على مدى ثمانية أيام، وما كادت أنباء ما فعلوا تصل إلى سمع الإمبراطور حتى بعث رسلاً من لدنه إلى كودفري يرجوه أن يكف أيدي جنده عن أعمال التخريب هذه مؤكداً له أنه سيستجيب لرجائه ويطلق سراح النبلاء الذين في حبسه، فقبل كودفري هذا الإجراء وأمر جنده بالتوقف عن متابعة السلب والنهب، ثم سار إلى القسطنطينية، فوصلها في (5 محرم 490هـ / 23 كانون الأول (ديسمبر) 1096م)، وعسكر خارجها في الطرف الشمالي للقرن الذهبي بناء على طلب الإمبراطور، الذي أرسل إليه يدعو لزيارته (عاشور، 1999م: ص 107 : 108).

الحقيقة إن الإمبراطور البيزنطي كان يرمي من وراء هذه الدعوة أن يضمن سيطرته على كودفري وجنوده مدركاً أن قوته من الممكن أن تجعله شديد الخطورة على الإمبراطورية البيزنطية ومصالحها، فطلب منه أن يقسم له يمين الولاء، بمعنى أن يكون القائد الصليبي تابعاً للإمبراطور الرومي في الأراضي الآسيوية التي عساه ينجح في استردادها من المسلمين. غير أن كودفري رفض الدعوة بحجة أنه حلف يمين الولاء للإمبراطور هنري الرابع، وأن هذا اليمين يمنعه من أن يحلف يميناً أخرى للإمبراطور البيزنطي، كما أصر على ألا يلتزم بشيء إلا بعد انضمام سائر القادة الصليبيين إليه عندئذٍ شدد ألكسيوس كومنين الضغط على القائد الصليبي بمنع المؤن عن جيشه، فما

كان من الأخير إلا أن اتفق مع أمرائه وقادته باجتياح القرى والبلدات من نواحي القسطنطينية بجماعاتٍ مسلحة كبيرة، فنهبها وأحرقوها وعادوا يسوقون أمامهم قطعان الأبقار والأغنام التي غنموها. ولما رأى الإمبراطور ردة الفعل الصليبية هذه عدل بسرعة عن قراره، وسمح لهم بالإقامة في ضاحية پيرا - من ضواحي القسطنطينية (شمال القرن الذهبي) - حتى يحتموا بها من قسوة الشتاء من ناحية، وحيث يسهل على الإمبراطور مراقبتهم والإشراف عليهم من ناحية أخرى. ومكث الصليبيون في الضاحية المذكورة طوال الأشهر الثلاثة الأولى من سنة (491 هـ / 1097م) دون أن يقبل كودفري تأدية يمين الولاء للإمبراطور أو حتى مفاصلته، فضاقت الأخير ذرعا، ومنع التموين عن الصليبيين مرة أخرى، الأمر الذي أدى إلى صدامٍ عسكري بين الطرفين هزم فيه الصليبيون، مما جعل كودفري يدرك حقيقة قوته، فلم يجد بدا من مسالمة الإمبراطور، فقصده قصره حيث قدم ولاءه واعترف بالكسيوس كومنين سييدا على جميع البلاد التي سيأخذها من المسلمين، وأن يرد إليه جميع البلاد التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية وضاعت منها بسبب الفتوحات الإسلامية.

رغب الروم باستعادة حدودهم هذه بمعاونة الصليبيين من خلال الاتفاقية التي أبرمها معهم الكسيوس كومنين.

وهكذا جاءت تلك الاتفاقية التي تمت في (شهر أبريل 491 هـ / 1097م) واضحة حاسمة، مما جعل الإمبراطورية البيزنطية تعتمد عليها وتتمسك بها في المطالبة بحقوقها من الصليبيين طوال القرن الثاني عشر الميلادي، والحقيقة إن هذه الاتفاقية ولدت مشكلة في العلاقة بين الروم والصليبيين، إذ إن الإمبراطورية اختارت ألا تفسرها في ضوء ما كان لها من ممتلكاتٍ في القرن الحادي عشر الميلادي - على عهد باسيل الثاني - وإنما في ضوء ما كان للإمبراطورية قديما من أملاكٍ واسعة في الشرق على عهد الإمبراطور جستنيان، أي لم ترغب فقط باسترداد جميع البلاد الواقعة في الأناضول، بل تلك الواقعة في أطراف الشام والعراق مثل أنطاكية والرها إضافة إلى الشام نفسها. وعلى الرغم من أن يمين الولاء الذي أقسمه كودفري جعل منه -ولو من الناحية الأدبية- تابعا للإمبراطور البيزنطي، إلا أنه كان كارها لاتباعه حاكما غير إمبراطوره، لا سيما وأنه كاثوليكي زحف تنفيذا لدعوة البابا، بينما الكسيوس كومنين هو حامي الكنيسة الأرثوذكسية التي تخاصم البابوية وبينها وبين الكاثوليك شقاق ونفور لذلك أخذ يتحين الفرص للتملص من يمينه هذا. وأغدق الإمبراطور البيزنطي الدوق كودفري بالهدايا الثمينة والخيول المطهمة، كما غالى في إمداد جيشه بالإمدادات السخية. وفي 25 ربيع الآخر (491 هـ

/أبريل 1097م)، أمر ألكسيوس كومنين بنقل كودفري، وجيشه إلى الشاطئ الآسيوي بانتظار بقية القادة الصليبيين، فما كاد يتم نقلهم حتى وصل الجيش الثالث.

الجيش الثالث: تولى بوهيموند الأترانطي النورماني قيادة هذا الجيش، وصحبه ابن أخيه تانكرد، وتآلف من المقاتلين النورمان الأشداء. والواقع إن النورمان لم يحفلوا في بادئ الأمر بدعوة البابا أوربان الثاني إلى الحملة الصليبية نظراً لاستمرار الحروب الأهلية بينهم في جنوبي إيطاليا، ولأنه لم يحظ بشيء بسبب الحرب التي نشبت بين النورمان والبيزنطيين في سنة (478هـ الموافقة لسنة 1085م)، رغب بالاستعاضة عنها في مكان آخر، كما أدرك بوهيموند أهمية الحركة الصليبية، وأنه يصح الاستفادة منها للتعويض عما حرم منه، وهو الذي اتصف بالجشع وفساد الضمير واكتسب الكثير من طموح النورمان إلى السلطة، فاستغل الفكرة الدينية لأغراضه ووزع بيده صلباناً من قماشٍ على أصحابه عندما قرر المشاركة في الحملة الصليبية وما اتصف به الصليبيون الفرنجة من الحماس أثار الجنود النورمان الذين لقوا التشجيع من زعيمهم بوهيموند، فأعلن هذا أنه سيشارك في الحملة الصليبية، ودعا المؤمنين المسيحيين للحاق به، فانضم إليه نورمان صقلية وفرنسا، والتف حوله عدد من الجند كانوا أقل من أتباع كودفري على أنهم فاقوهم في عدتهم وتدريبهم، وتقدر أبحاث معاصرة أعدادهم بقرابة خمسمائة فارس وما بين 2500 و3500 راجل، إضافة إلى 2000 جندي من أتباع تانكرد(عاشور، 2015 م: ص 101).

أبحر بوهيموند بجيشه من باري في (شوال 489هـ / أكتوبر 1096م)، ونزل في إقليم إبيروس على الشاطئ الشرقي، وسلك الطريق القديم غير المألوف إلى القسطنطينية المسمى «طريق أغناتيا» كي يتجنب إشراف البيزنطيين ورقابتهم. وبفعل شدة صرامته في حفظ النظام ورغبته في الظهور أمام الإمبراطور بمظهر طيب؛ منع أفراد جيشه من التعدي على السكان ونهب القرى والمدن التي يجتازون، فلم تحدث اصطدامات مع الحاميات البيزنطية، وزود الصليبيون بالمؤن دون حدوث مشكلات وحدث أن ترك بوهيموند جيشه تحت قيادة تانكرد وأسرع إلى القسطنطينية كي يقف على ما يجري من مفاوضات بين الإمبراطور والقادة الغربيين الذين سبقوه، ويعبر عن إخلاصه ونواياه الطيبة، فوصل إليها في (15 ربيع الآخر 490هـ / فيه 1 نيسان (أبريل) 1097م)، ولحقه جيشه بعد أسبوعٍ تقريباً، وكان أن تمت المقابلة بين بوهيموند والإمبراطور ألكسيوس في جوٍ مشبعٍ بالود والتفاهم، وسرعان ما أقسم بوهيموند يمين الولاء للإمبراطور وأعلن تبعيته له، فغمره -هو الآخر- بالأموال والهدايا الثمينة للحد من

أطماعه ونشاطه في الشرق، لأن كل ما سيسيطر عليه من بلاد سيكون باسم الإمبراطور البيزنطي، لكن بوهيموند أدرك غاية الإمبراطور ورأى أن يحتاط لنفسه ومستقبله، فطلب من ألكسيوس منحه إقطاعا كبيرا في إقليم أنطاكية، فلبى الإمبراطور طلبه، ووعده بمنطقة واسعة حول أنطاكية طولها مسيرة خمسة عشر يوما وعرضها مسيرة ثمانية أيام. وطلب بوهيموند أيضا أن يعين دمستقا للشرق، أي قائدا عاما للقوات البيزنطية في آسيا، لكن الإمبراطور لم يمكنه تحقيق ذلك الطلب بحكم تشككه في الصليبيين عامة والنورمان خاصة، ولذلك أجاب بوهيموند بأن الوقت لم يحن بعد للبت في ذلك الموضوع وأنه يمكن لبوهيموند أن يصل إلى تحقيق رغبته هذه عن طريق إثبات حسن نيته وولائه. وبعد انتهاء المشاورات والمفاوضات بشأن الترتيبات المستقبلية المذكورة استدعي جيش بوهيموند إلى القسطنطينية (رانسيان، 1994 م: ص 60).

الجيش الرابع: تولى قيادة هذا الجيش ريموند الرابع، وتآلف جيشه من فرسان جنوبي فرنسا، وكان هذا القائد من أغنى الصليبيين، فحشد جيشا كثير العدد انطلقت هذه الحملة في (شوال 489هـ / تشرين الأول 1096م)، وانضم إليها عدد كبير من نبلاء جنوبي فرنسا، فعبرت جبال الألب واخرقت شمالي إيطاليا حتى رأس البحر الأدرياتيكي. وصل الجيش إلى الحدود البيزنطية شمالي دراست في (شهر ربيع الأول 490هـ / شباط فبراير 1097م)، فاستقبلهم الدوق يوحنا كومنين، وكان بانتظارهم أفراد من الحرس البشناق ليصحبوهم إلى القسطنطينية. وأرسل ريموند في غضون ذلك سفارة إلى العاصمة الرومية ليعلن عن قدمه، ثم سبق جيشه ووصل إليها في 6 جمادى الأولى / 21 نيسان (أبريل)، في حين وصل الجيش بعد ستة أيام. وما لبث الإمبراطور البيزنطي أن دعا ريموند للمثول أمامه، وطلب منه أن يحلف يمين الولاء له أسوة بالقادة الذين سبقوه. وهنا وجد ريموند نفسه في مركز لا يحسد عليه، ذلك أنه كان يطمح في الحصول على زعامة الصليبيين جميعا في الشرق بحكم صلته بالبابوية ومرافقة المندوب البابوي لحملته، وهو شرف لم تحظ به سائر الجيوش الصليبية، ولكن هذه الزعامة التي اعتمدت على تأييد البابوية لا يمكن أن تتفق ويمين الولاء للإمبراطور البيزنطي راعي الكنيسة الأرثوذكسية.

وسرعان ما تآزم الموقف بين ريموند من جهة، والإمبراطور ألكسيوس من جهة أخرى، مما أندر بحدوث صدام مسلح بين الطرفين، فوافق ريموند على أن يعدل في صيغة القسم بأن وعد باحترام وتبجيل حياة الإمبراطور وشرفه وأنه يحرص ألا يصيبه

ضرر من جانبه ومن جانب رجاله، فاكتفى ألكسيوس كومنين بذلك وأقره، وبعد انتهاء المفاوضات عبر مع قواته إلى الجانب الآسيوي (زكار، 1995م: ص 75: 76).

الجيش الخامس: كان هذا الجيش تحت قيادة كلٍ من روبرت قمس النورماندي، وهو الابن الأكبر لملك إنكلترا وتآلف من الفرسان القادمين من غربي فرنسا والنورماندي وبعض مناطق الشمال فضلاً عن الكثير من الفرسان الإنكليز من أتباع الملك وليم الأصهب أخي روبرت. انطلقت الحملة من فرنسا في شهر (ذي الحجة 489هـ الموافق فيه تشرين الأول (أكتوبر) 1096م)، فعبرت جبال الألب إلى إيطاليا والتقى أفرادها بالبابا أوربان الثاني في لكة، حيث حصلوا على مباركته. وأقنع هذا الجيش إلى البلقان في أوائل شهر نيسان (أبريل) (1097م)، ومنها زحف مخترقاً البلقان إلى القسطنطينية، فوصلها في (جمادى الأولى 490هـ / أيار (مايو) 1097م)، ويبدو أن ألكسيوس كومنين لم يواجه من تلك الحملة متاعب وصعوباتٍ مثلما لاقى من الحملات السابقة. ولم يمانع قادة هذه الحملة مطلقاً في أن يقسموا يمين الولاء والتبعية للإمبراطور البيزنطي، ولذا حرص الأخير على أن يغدق عليهم وعلى رجالهم الإمدادات والمؤن والإنعامات فضلاً عن الأموال والخيول، وبعد أن قضى هؤلاء الصليبيون أسبوعين في القسطنطينية، عبروا البوسفور إلى آسيا الصغرى، وأسرعوا للحاق ببقية الصليبيين.

هنا يجب الإشارة أن هذه الدفاعات لم تصل إلى القسطنطينية دفعة واحدة، وإنما وصلوا في فترات متعاقبة نظراً لإختلاف الطرق التي سلكوها من حيث طولها وصعوبتها (عاشور، 1976م: ص 101).

قبل أن يجتمع الصليبيون بالقسطنطينية وقعت لهم عدة أحداث مع الأباطور البيزنطي، فقد كان ألكسيس كومنين يتوجس بان تسول له نفسه الإستيلاء على القسطنطينية نفسها، كما أن الكسيس أخذ كباراء الصليبيين رهناً وتوثقة، وكادت الحرب تندلع بين الأباطور والصليبيين، وبعد مخابرات ومفاهمات انتهى الأمر على أن يتعهد الصليبيون للأباطور، بعد أن قسمو له يمين الولاء بإرجاع أملاكه في آسيا التي اقتكها منه السلاجقة، وهو في مقابلة ذلك يعينهم على قضاء مهمتهم بوسائل النقل والادلاء والجيش (عاشور، المرجع نفسه: ص 110).

المطلب الرابع: مسير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى:

حسب الاتفاق عبرت القوات الصليبية البوسفور وممره , ونزلت بأرض آسيا الصغرى , وتوجهت إلى مدينة نيقية التي كان سلطانها قليج أرسلان (ملك سلاجقة الروم) خارج المدينة في مهمة، وامتد حصار نيقية نحو خمسين يوماً، ثم انتهى بانتصار

الصليبيين في بداية الأمر، إلا أنه تم احتلال المدينة من طرف القوات البيزنطية التي تفاوضت سرّياً مع القوات الإسلامية المحصورة، واستسلمت لها دون علم أو مشاورة القوات الصليبية اللاتينية، ولهذا فوجيء الصليبيون بالاعلام البيزنطية ترفرف على أسوار نيقية جمادي الثاني سنة (491 هـ / 1097م) فاغتاظوا لذلك واعتبروها خيانة لهم، إلا أنهم تابعوا (الصليبيون) طريقهم في اتجاه مدينة قونية ثم اخترقوا سلسلة جبل طوروس، ولما وصلوا إلى أرمينية الصغرى، وجدوا مساعدات كبرى من طرف الأرمن، حيث فتحوا لهم أبواب المدن، وأصبحوا لهم أعواناً، ومن هنالك توجهوا إلى انطاكية وناصرها الحصار (قاسم، 1993م: ص 13 : 14).

■ السيطرة الصليبية على إنطاكية:

كانت مدينة انطاكية وما جاورها تحت حكم ياغيسيان السلجوقي، الذي ما إن علم بوصول الصليبيين حتى استعد لذلك وتحصن، وكانت مدينة انطاكية ذات أبراج وحصون كثيرة ومنيعة، وصل الصليبيون إليها في (491 هـ / 20 أكتوبر 1097 م) وشرعوا في محاصرتهم، ولاقوا أثناء هذا الحصار كل هول وتعب، وأظهر الصليبيون في هذا الحصار كل أنواع الرذائل، ولإن الحصار استمر فترة من الزمن، ونالهم البرد والجوع والتعب، وفنكت بهم الأمراض حتى مل الكثير منهم، وضعفت الروح المعنوية التي كانت في بداية الحملة. (عمران، 1990م: ص 27).

حاول المسلمون نجدة إنطاكية، وفك حصارها، فبعث الخليفة الفاطمي المستعلي بالله، وفداً إلى الصليبيين يعرض عليهم الصلح والمصالحة، وتأمين أماكنهم المقدسة وحماية الحجاج النصارى إلى بيت المقدس، ولكن الصليبيين لم يجيبوه إلى ذلك واستمروا في محاصرتهم لإنطاكية بدون أن يتمكنوا من إحتلالها، إلى أن وقعت خيانة من أحد حراس الأبراج الإسلامية (هو فيروز الأرمني) فدخل الصليبيون أنطاكية وعاثوا فيها فساداً و أباحوها أياماً، أما بقية الصليبيين فإنهم اتجهوا إلى بيت المقدس بعد أن استراحوا واستجمعوا قواهم (عاشور، 1976م: ص 111 : 113).

■ احتلال بيت المقدس

توجه الصليبيون نحو بيت المقدس ووصلوا إليها وناصرها الحصار، وكانت مدينة القدس قد أصبحت تحت سلطة الفاطميين كما تقدم، وكان إليها الفاطمي هو افتخار الدولة، الذي فاجأته القوات الصليبية بزعامة (قودفروا دي بويون) وكان لضعف الخلافة الفاطمية، وتضعف معنويات جيوشها أكبر أثر في الإسراع بسقوط بيت المقدس واحتلالها من طرف الصليبيين، إذا بعد شهر واحد من بدء الحصار تمكن الصليبيون

من اقتحام الأسوار واحتلال المدينة، مرتكبين أشنع الأعمال وأفظعها، وقد بلغ عدد القتلى من المسلمين سبعين ألفاً، كما أن اليهود نالهم التقتيل والإحراق والتعذيب (عاشور، 1976م: ص 110 : 111).

وباحتلال بيت المقدس حقق الصليبيون غرضهم العام من هذه الحرب، ألا وهو استخلاص بيت المقدس، وافتكاكها من أيدي المسلمين، وقد تكبدوا في سبيل ذلك الخسائر الباهظة من الأنفس بلغت عدة مئات من الآلاف.

وحاول الفاطميون برئاسة الأفضل أمير الجيوش مهاجمة الصليبيين بيت المقدس ولكن الصليبيين استعدوا لذلك، وبادروهم بالقتال، فانهزم الجيش الفاطمي، وعاد الأفضل إلى مصر، وتقدم الصليبيون إلى عسقلان وحاصروها، ثم رفعوا عنها الحصار بعد أن بذل لهم مال كثير، ومنذ احتلال بيت المقدس، واستقرار الصليبيين فيها، أخذت الإمدادات تتوارد عليها لتقوية حاميتها وضرب الصليبيون حصاراً على طرابلس ضاربين بعرض الحائط صداقتهم مع بني عمار أمراء المدينة، وشيد ريموند قلعة عظيمة على رأس رابية تشرف على طرابلس لإحكام الحصار عليها، فبقيت صامدة حتى وصلها أسطول جنوي من سبعين سفينة بقيادة برتراند، الابن الأكبر لريموند، وضيق الحصار على المدينة، فاستسلم أهلها شرط تركهم أحراراً والحفاظ على حياتهم، فوافق برتراند على هذا، ودخل الصليبيون المدينة (يوم 12 ذي الحجة 502هـ / 12 تموز (يوليو) 1109م)، ولم يحترموا وعدهم، إذ أن الجنوبيين اعتبروا بأنهم غير مقيدين بالاتفاق المذكور، فنهبوا طرابلس وأمعنوا قتلاً في أهلها. وبهذا تمت لهم السيطرة على بقية السواحل الشامية (ارتست، 1997 م، ص 21؛ عاشور، المرجع نفسه: ص 111 : 113).

المطلب الخامس: تكوين الإمارات الصليبية.

بعد أن تمكن الصليبيون من النجاح في مأموريتهم، أمكن لهم إحتلال جميع السواحل الشامية من بعد، وأصبحت لهم عدة إمارات والتي عرفت بالإمارات اللاتينية أو الممالك الصليبية وهي هذه:

إمارة الرها: كونها بودوين دوبولويني (سنة 492 هـ / 1098م)، وكانت كيفية تكوينها أن صاحب الرها الأرمني بعث إلى الصليبيين مستنصراً بهم، فلبى دعوته بودوين المذكور، ثم غدر به الأخير إذ كونه مؤامرة ضده حتى قتل، وانتصب بودوين ملكاً على الرها وما حولها، واستمرت هذه الإمارة إلى أن أزالها آل زنكي (539هـ/1144 م). (عاشور، 1999 م: ص 120 : 130).

إمارة إنطاكية: كون هذه الإمارة الأمير النرمانى بوهيموند واستقل بها، مستندا على أن احتلالها إنما وقع على يديه نتيجة للمؤامرات التي دبرها مع فيروز الأرمني، وقد استمرت هذه الإمارة قائمة إلى سنة (667 هـ / 1268 م) (عاشور، المرجع نفسه: ص 120: 140).

مملكة بيت المقدس: كانت مملكة بيت المقدس هي أعظم الإمارات الصليبية، ولهذا كان متوليها يلقب بلقب ملك، أما بقية الإمارات فهي تتبع مملكة بيت المقدس، وإن كانت تابعة لا أثر لها في الواقع، وكانت هذه المملكة أعظمها شأنًا، وأوسعها رقعة واستمرت مملكة بيت المقدس في اتساعها إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي فانكشفت على ساحل البحر (طقوش، 2011م: ص 134).

إمارة طرابلس: تكونت سنة (496 هـ / 1109 م) واستمرت الى (688 هـ / 1289 م) تأسست قسمية طرابلس لتصبح الدولة الصليبية الرابعة في المشرق العربي. (عاشور، المرجع نفسه: ص 130).

الخاتمة

ترتب على الحملات الصليبية الأولى نتائج بعيدة المدى في تاريخ الشرق والغرب جميعا، ويهمنا من هذه النتائج ما يلي:

1. أن الأوضاع السياسية في البلدان الإسلامية في الشرق الأدنى تعرضت لتغيرات وتطورات سريعة منذ وصول الصليبيين إلى الشام، وهذه التغيرات والتطورات إنما جاءت إلى حد كبير وليدة الخطر الصليبي، فالصليبيون أنفسهم قضوا على كثير من الإمارات الصغرى التي كانت قائمة في بلاد الشام عند وصولهم إلى تلك البلاد.
2. سبقت الحملات الصليبية محاولات لبعض قادة أوروبا للتوسع على حساب أملاك الإمبراطورية البيزنطية في أوروبا ما يعني إبقاء تلك الأحلام قائمة حتى جاءت الحروب الصليبية.
3. كانت المصالح الشخصية لأغلب القادة الصليبيين هي الدافع الحقيقي للمشاركة في الحملات الصليبية إذ سعوا لإقامة إمارات خاصة بهم وعوائلهم.
4. كانت الصراعات الداخلية بين أمراء الفرنج واضحة خلال الحروب الصليبية لتضارب المصالح الشخصية بينهم.
5. شهدت مواقع عديدة حصول تقارب بين القوى البيزنطية والفرنج، في حين نجدهما في مواقع أخرى يتطاحنون، كذلك الأمر ذاته بين القوى الإسلامية والبيزنطيين

مما يعني أن المصالح هي من تحكم تلك العلاقة لكل طرف وبحسب المرحلة التاريخية.

6. إن إنتصارات الصليبيين على المسلمين، ونجاحهم في تأسيس إمارات في الرها وأنطاكية وطرابلس، فضلاً عن مملكة بيت المقدس كان له أثره السيء، ورد فعله العنيف في العالم الإسلامي الأمر الذي جعل من بعض الزعماء في المشرق الإسلامي إلى القيام بحركة جهاد واسعة ضد الصليبيين.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- باركر ارنت: الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، 1997م.
- 2- الحميدة سالم محمد، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية العامة، ج2، 1990م.
- 3- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط 2، الكويت، ج 2، 1984م.
- 4- رانسيان ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، تر: نور الدين خليل، ج2، 1994م.
- 5- ريموندا جيل، تاريخ غزاة بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، 1989م.
- 6- زكار، سهيل، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج4، 1995م.
- 7- الصفي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764 هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ج5، 2000 م.
- 8- طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ط1، بيروت، لبنان، دار النفائس، 2011م.
- 9- عاشور سعيد عبدالفتاح، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 5، ج1، 1999م.
- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.
- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ج4، 2015م.
- 10- قاسم عبد قاسم، ماهية الحروب الصليبية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث، 1993م.

- 11- محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م.
- 12- معلوف أمين، الحروب الصليبية كما رآها العرب، تر: عفيف الدمشقية، ط 2: بيروت، لبنان، دار الفارابي، 1099م.
- 13- نسيم العرب جوزيف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط 2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1981م.

أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين

دراسة تطبيقية على صندوق الضمان الاجتماعي الأصابع

أ. خالد على ووه

محاضر مساعد بالمعهد العالي للعلوم والتقنية الأصابع

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين دراسة تطبيقية على صندوق الضمان الاجتماعي الأصابع، حيث اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، وتمثل مجتمع الدراسة في جميع العاملين في صندوق الضمان الاجتماعي والبالغ عددهم (62) مفردة، حيث كانت أداة الدراسة الاستبانة، وتوصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج أهمها، وجود أثر ذو دلالة إحصائية لإدارة المعرفة (بأبعادها المختلفة) في أداء العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي، كما خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات أهمها، الاهتمام بإدارة المعرفة والتي أصبحت إحدى الإدارات المهمة للمنظمة بصفة عامة وصندوق الضمان الاجتماعي بصفة خاصة.

الكلمات المفتاحية: إدارة المعرفة، توليد المعرفة، تخزين المعرفة، أداء العاملين.

1-1. المقدمة:

يشهد العالم اليوم الكثير من المتغيرات والتطورات التي تؤثر بشكل مباشر على عمل منظمات الأعمال، حيث أغلب دول العالم قد مر بالتحويلات التي فرضها عصر المعرفة ومجتمعات المعرفة والتي كان لها انعكاساتها بشكل كبير على هذه التطورات، حيث أن إدارة المعرفة تعد من المفاهيم الإدارية الحديثة التي تلقى اهتماماً متزايداً من قبل المهتمين بإدارة الأعمال، إذ تسعى العديد من المنظمات إلى تحويل أعمالها لأعمال ونشاطات قائمة على المعرفة، فتعمل على توجيه استثماراتها تجاه توليد المعرفة والاهتمام بالنشاطات والأفراد. كما تتعلق بإعداد البنية التحتية اللازمة وجلب الوسائل التقنية الحديثة ذات العلاقة بالمعرفة مثل الحواسيب والبرمجيات ووسائل الاتصال الحديثة التي تسهم في زيادة أداء العاملين وتوفير الوقت لإنجاز المهام داخل صندوق الضمان الاجتماعي، إضافة إلى ذلك يجب التركيز على مصادر المعرفة والتسهيل من عمليات نقلها وتخزينها ونشرها، كما إن على إدارة المعرفة أن تتابع عملية تطبيق المعرفة ومعرفة النتائج لإدخال التعديلات اللازمة لتجديد المعلومات التي تزيد من كفاءة الأداء داخل صندوق الضمان الاجتماعي.

2-1. مشكلة الدراسة:

تعد اليوم إدارة المعرفة من الإدارات التي تعتمد عليها المنظمات بشكل كبير وحساس في تحسين أداء العاملين عن طريق تعزيز التعلم والتدريب للعاملين داخل وخارج صندوق الضمان الاجتماعي وكذلك اتخاذ القرارات عن بعد خاصة وان إدارة صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة بنغازي إلا انها تمارس في اتخاذ القرارات الذكية وتحافظ على المعرفة الرئيسية هذا كله له أثر مباشر في أداء العاملين ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي:

ما أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين في صندوق الضمان الاجتماعي؟

3-1. فرضيات الدراسة: تم تقسيم فرضيات الدراسة إلى:

الفرضية الرئيسية الأولى: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ بين إدارة المعرفة وأداء العاملين.

وتنبثق منها الفرضيات الفرعية الآتية:

الفرضية الفرعية الأولى: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ بين توليد المعرفة وأداء العاملين.

الفرضية الفرعية الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ بين تخزين المعرفة وأداء العاملين.

4-1. أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى تحقيق الهدف الرئيسي التالي:

بيان أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين في صندوق الضمان الاجتماعي.

ويندرج من هذا الهدف الاهداف الفرعية التالية:

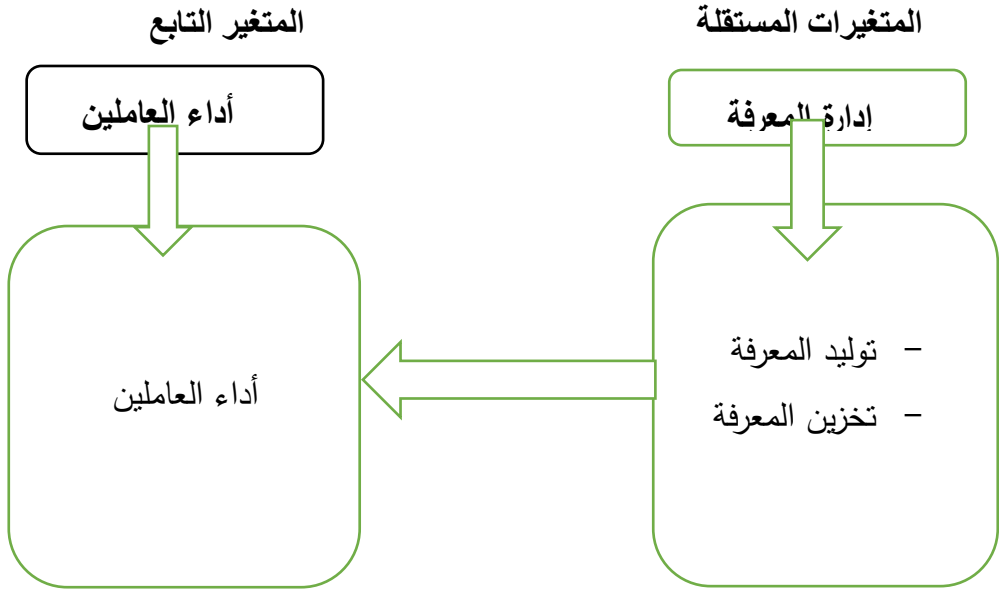
1. قياس أثر توليد المعرفة على أداء العاملين في صندوق الضمان الاجتماعي.
2. قياس أثر تخزين المعرفة على أداء العاملين في صندوق الضمان الاجتماعي.

5-1. أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كون الاهتمام بمفهوم إدارة المعرفة جديداً نظرياً وتطبيقياً. فمن الناحية النظرية، لا يوجد عدد كاف من الدراسات العربية التي تتناوله. كما أن هناك مصطلحات متعددة تتطرق لنفس المفهوم، ولكن من زوايا مختلفة مما يؤدي إلى وجود بعض الخلط والعمومية في تناول المفهوم. ومن ناحية أخرى يؤثر هذا المفهوم في نجاح المنظمات، خاصة في الوقت الحاضر وتمثل أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

1. تساعد إدارة المعرفة في توثيق وتنظيم المعرفة والخبرات داخل صندوق الضمان الاجتماعي.
2. تحسين أداء الصندوق عندما يكون هناك تبادل للمعرفة والخبرات بين الموظفين داخل الصندوق
3. المحافظة على المعرفة المنظمة وتعزيز التعلم التنظيمي داخل الصندوق.
4. تعزيز التعلم التنظيمي باعتبارها عملية مستمرة وضرورية لتطوير الصندوق.

6-1. نموذج الدراسة:



المصدر: من اعداد الباحث.

7-1. مصطلحات الدراسة:

- إدارة المعرفة إجرائيا: ويقصد بها عملية شاملة ومستمرة لتنظيم واستخدام وتوزيع المعرفة والمعلومات داخل المنظمة بحيث تشجع على تبادل المعرفة والتعلم داخل صندوق الضمان الاجتماعي.
- توليد المعرفة: ويصد بها خلق وإنتاج معرفة جديدة داخل صندوق الضمان الاجتماعي من خلال البحث والتدريب والتعلم، وتطوير الأفكار والمفاهيم الجديدة.
- تخزين المعرفة: ويقصد به الاحتفاظ بالمعرفة وتنظيمها بطريقة مرتبة وسهلة لاستخدامها في المستقبل والاستفادة منها في الوقت المناسب.
- أداء العاملين: ويقصد به مدى كفاءة وفاعلية الأفراد في أداء مهامهم وواجباتهم داخل المنظمة. (عباللطيف، عبداللطيف، 2001: ص 33، 34)

8-1. الدراسات السابقة:

- دراسة (الزواهرة، 2023) بعنوان: أثر إدارة المعرفة في ذكاء الأعمال: الدور الوسيط للإبداع في شركة مصفاة البترول الأردنية: هدفت الدراسة إلى قياس أثر إدارة المعرفة بأبعادها (توليد المعرفة، إكتساب المعرفة، تخزين المعرفة، مشاركة المعرفة، تطبيق المعرفة) في ذكاء الأعمال بأبعاده (تحليل البيانات، تفكير النظمي، الشراكة، الرؤية) في شركة مصفاة البترول الأردنية، وكذلك التعرف إلى أثر الإبداع كمتغير وسيط، وتكونت عينة الدراسة من (338) موظفاً، واعتمدت الدراسة المنهج الكمي. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمها وجود أثر ذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $(0.05) \leq a$ لإدارة المعرفة بأبعادها (توليد المعرفة، إكتساب المعرفة، تخزين المعرفة، مشاركة المعرفة، تطبيق المعرفة) في ذكاء الأعمال بأبعاده مجتمعة في شركة مصفاة البترول الأردنية،

تم اقتراح عدد من التوصيات أبرزها ضرورة محافظة شركة مصفاة البترول الأردنية على الأشخاص ذوي الخبرات والمعارف والعمل على الاستفادة من خبراتهم ومعارفهم الضمنية وتحويلها إلى معارف صريحة ليستطيع الجميع الوصول إليها بكل يسر، وضرورة اهتمام شركة مصفاة البترول الأردنية بغرس الرؤية في اذهان موظفيها من خلال تحفيزهم وتمكينهم مما يساهم في تعزيز مستوى ذكاء الأعمال لدى الشركة.

- دراسة (بايلك، وعبدالواحد، 2023)، بعنوان: أثر إدارة المعرفة على عملية صنع القرارات الإدارية: هدفت الدراسة لمعرفة أثر إدارة المعرفة على عملية صنع القرارات الادارية من وجهة نظر موظفي ديوان الترقية والتسيير العقاري بولاية إيليزي. ولتحقيق ذلك، تم استخدام المنهج الوصفي للتعريف بمتغيرات الدراسة والمنهج التحليلي لتحليل الجداول وتفسير النسب والارقام المستنتجة، وتمت الاستعانة باستبيان لغرض جمع البيانات الميدانية من أفراد عينة الدراسة، والتي بلغت 40 موظفاً من مجتمع الدراسة، حيث استرجع 35 استبيان صالح للتحليل. كما تم الاعتماد على برنامج SPSS لاستخراج النتائج. خلصت الدراسة إلى عدم وجود أثر ذو دلالة إحصائية للمعرفة الصريحة والضمنية التي يمتلكها موظفو ديوان الترقية والتسيير العقاري على عملية صنع القرارات الإدارية. وذلك لعدم معنوية كل من المتغيرين عند مستوى 5% إذن فعملية صنع القرارات الادارية تفسره متغيرات أخرى لم تدرج في النموذج.

- دراسة (هزايمة، 2022) بعنوان أثر إدارة المعرفة على الميزة التنافسية من خلال رأس المال البشري في المستشفيات الأردنية الخاصة: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر إدارة المعرفة على الميزة التنافسية من خلال رأس المال البشري في المستشفيات الأردنية الخاصة في إربد. استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للتعامل مع البيانات التي تصف المجتمع المبحوث، وقد تم استخدام الاستبانة في جمع البيانات المتعلقة بمتغيرات الدراسة، حيث تم جمع البيانات المتعلقة بمتغيرات الدراسة وتحليلها بواسطة برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وبرنامج (Smart PIs). (3) قام الباحث باستخدام أسلوب المسح الشامل بحيث تكونت عينة الدراسة من (58) من جميع المديرين الذين يعملون في المستويات الإدارية الثلاثة (العليا، والوسطى، والدنيا) في (7) مستشفيات خاصة في محافظة إربد، ويشكلون ما نسبته (90.6%) من عينة الدراسة. وقد توصلت الدراسة إلى وجود أثر جزئي لإدارة المعرفة بأبعادها (توليد المعرفة، توزيع المعرفة، تطبيق المعرفة) على الميزة التنافسية بأبعادها (تقديم خدمات جديدة، تحسين الجودة، السرعة في تقديم الخدمات) من خلال رأس المال البشري في المستشفيات الأردنية الخاصة في إربد. وأظهرت النتائج أنه لا يوجد تأثير لبعده تخزين المعرفة على الميزة التنافسية من خلال رأس المال البشري في المستشفيات الأردنية الخاصة في إربد. وقد أوصت الدراسة بالاهتمام في مجال تخزين المعرفة إضافة إلى (توليد المعرفة، توزيع المعرفة، تطبيق المعرفة) في المستشفيات الأردنية الخاصة في إربد.

- دراسة (جرادات وأبو سنيينة، 2020)، بعنوان: " أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين": هدفت الدراسة إلى معرفة أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين في شركة أوريدو للاتصالات الخلوية في محافظة بيت لحم، وتم إجراء المسح الشامل لمجتمع الدراسة، والبالغ عددهم (28) موظفاً، من خلال استبانة الدراسة، وكانت نسبة الاستجابة 100%. توصلت الدراسة إلى أنه يوجد أثر لإدارة المعرفة على تعلم الأفراد العاملين في شركة أوريدو للاتصالات الخلوية في محافظة بيت لحم وتكيفهم ورضاهم، حيث جاءت قيمة F المحسوبة للمتغيرات الثلاث أكبر من قيمة F الجدولية. وقد أوصت الدراسة بضرورة استمرار الشركة بالاهتمام بإدارة المعرفة، وتشجيع العاملين على تقاسم المعارف التي يمتلكونها واستخدامها، إذ إن ذلك يفيد في تحسين أداء العاملين بشكل كبير، وكذلك ضرورة اهتمام الشركة بتوفير المعلومات الضرورية واللازمة لكل العاملين فيها من أجل حثهم على اكتشاف معارف جديدة باستمرار.

1-8-1. ما يميز لدراسة الحالية عن الدراسات السابقة:

يتضح من استعراض الدراسات السابقة والادبيات أن بعض الدراسات تناولت إدارة المعرفة بأبعادها المختلفة وفحص علاقته ببعض المتغيرات، وبعضها اهتم بالكشف عن إدارة المعرفة من حيث الخدمات والأخر من حيث الإنتاج، في حين أن أغلب الدراسات تناولت المتغيرات المستقلة بإدارة المعرفة في حين المتغير التابع تنوعت كل دراسة على حدا، بينما البحث الحالي يتميز بأنه يدرس إدارة المعرفة على أداء العاملين، وتأثيراته المباشرة، ولم توجد أي دراسة (على حد علم الباحث) في البيئة الليبية.

2- الإطار النظري للدراسة: إدارة المعرفة

1-2. مفهوم إدارة المعرفة: إن استخدام إدارة المعرفة من الموجودات غير الملموسة، التي تستخدمها المنظمات من أجل المنافسة والبقاء في السوق، وهذا يؤدي الى زيادة أداء العاملين والارتقاء بالمنظمة بصفة عامة، ويعتبر العنصر البشري أيضا مصدرا لإدارة المعرفة، لأن وظيفة الإدارة إرساء المعرفة في كل اداراتها، فقد عرفها (ياسين، 2007: ص17) على " أنها "عملية إنتاج ونشر المعرفة لدى الأفراد والمنظمة وتوظيفها" صنع القرار" بينما في تحسين الأداء والسلع والخدمات التي تقدمها للمنظمة" " ويعرفها(Nonaka,1996: 96)، مفهوم المعرفة على أنها " الإيمان المحقق الذي يزيد من قدرة الوحدة أو الكيان على العمل الفعال." و عرفها (نجم، 1997: 2005) على انها العملية المنهجية لتوجيه رصيد المعرفة وتحقيق رافعتها في المنظمة بطريقة كفوة لا تستطيع المنظمات الأخرى تقليدها لتكون المصدر الرئيسي للربح.

ويمكننا القول بأنها عمليات متتابعة، ومتداخلة مع بعضها البعض، يمكن توليدها وتوزيعها والمشاركة فيها، وتقاسمها، واستخدامها، وتطبيقها،

2-2 أهمية إدارة المعرفة: تكمن أهمية ادارة المعرفة في النقاط الآتية (الزيادات، 2008: ص60):

1. تعد إدارة المعرفة فرصة كبيرة للمنظمات لتخفيض التكاليف ورفع موجوداتها الداخلية لتوليد الإيرادات الجديدة.
2. تعد عملية نظامية تكاملية لتنسيق أنشطة المنظمة المختلفة في اتجاه تحقيق أهدافها.
3. تعزز قدرة المنظمة للاحتفاظ بالأداء المنظمي المعتمد على الخبرة والمعرفة، وتحسينه.

4. تتيح إدارة المعرفة للمنظمة تحديد المعرفة المطلوبة، وتوثيق المتوافر منها وتطويرها والمشاركة بها وتطبيقها وتقييمها.
5. تعد إدارة المعرفة أداة المنظمات الفاعلة لاستثمار رأس مالها الفكري، من خلال جعل الوصول إلى المعرفة المتولدة عنها بالنسبة للأشخاص الآخرين المحتاجين إليها عملية سهلة وممكنة.
6. تعد أداة تحفيز للمنظمات لتشجيع القدرات الإبداعية لمواردها البشرية لخلق معرفة جيدة والكشف المسبق عن العلاقات غير المعرفة والفجوات في توقعاتهم.
7. توفر الفرصة للحصول على الميزة التنافسية الدائمة للمنظمات من تبني المزيد من الإبداعات المتمثلة في طرح سلع وخدمات جديدة.

2-3 أهداف إدارة المعرفة:

تهدف إدارة المعرفة إلى الآتي:

- 1- المحافظة على استمرارية تدفقها داخل المنظمة
- 2- المحافظة على سرعة تواصلها كونيا مع كل جديد على مدار الساعة.
- 3- التدقيق في المعلومات ومصادرهما وجودتها.
- 4- تنظيمها وتبويبها وترتيبها بحيث يسهل استخدامها.
- 5- إعداد الترتيبات اللازمة التي تساعد المنظمة في نقلها والاستفادة منها بشكل مستمر.
- 6- فهمها وتحليلها وتجهيزها للاستخدام.
- 8- إعادة إخراجها في الأوقات المناسبة.
- 9- أرشفتها لسهولة الرجوع إليها والاستفادة منها.

2-4 دورة إدارة المعرفة:

2-4-1 توليد المعرفة: وتشير هذه العملية إلى خلق وإنتاج المعرفة الجديدة من خلال التجربة والبحث والتطوير إضافة إلى التدريب والتعلم، وتتضمن عملية توليد المعرفة داخل المنظمة، اكتشاف الأفكار الجديدة أو المفاهيم الجديدة واستنتاجات تساهم في زيادة الفهم والمعرفة، وتتم عملية توليد المعرفة من خلال الأنشطة والممارسات ومنها البحث والتجربة والتعلم والتدريب، والابتكار والتطوير، وتحسين الأداء ومقارنتها بالنتائج.

ونستنتج إن إدارة المعرفة تساهم بشكل كبير في تطوير المنظمات وتحسن أدائها بصورة مستمرة حتى يمكن ان تقدم المنظمة خدمات أفضل تساهم في حل المشكلات من خلال الخبرة المكتسبة.

2-4-2 تخزين المعرفة: وهي عملية تهدف إلى الاحتفاظ بالمعرفة وتخزينها لكي يسهل عملية الوصول اليها واستخدامها بشكل فعال، ومن أنواع تخزينها قواعد المعرفة مثل تنظيم المعلومات والمعارف حتى يمكن الوصول اليها، وكذلك أنظمة المستندات في شكل الكتروني لتسهيل العثور على البيانات والمعلومات المطلوبة، وكذلك القواعد الأساسية مثل تخزين المعلومات بشكل هيكلي سهل البحث والاستخدام والاسترجاع، وأيضا الشبكات وتوثيق المعرفة المشتركة، ونستنتج من ذلك إن عملية تخزين المعرفة هي عملية تخزين المعرفة بشكل متاح وسهل الاستخدام ويمكن الوصول إليه للأفراد العاملين أو المجتمع.

2-4-3 أداء العاملين:

عُرّف الأداء من الناحية الإدارية كما ورد في معجم المصطلحات الاجتماعية، بأنه "القيام بأعباء الوظيفة من المسؤوليات والواجبات وفقاً للمعدل المفروض أدائه من العامل الكفو المدرب. فقد عرفه (الطائي، 2016: ص176) على انه مجهودات العاملين في سبيل تحقيق أهداف المنظمات، ويتوقف مستوى الأداء على قدرات ومهارات وخبرات العاملين التي تقبع خلف مجموعة من المتطلبات، التي تتضمن: المؤهلات التعليمية، الميول والاهتمامات. وغيرها من العوامل التي تدرج تحت الوصف الوظيفي اللازم لتصميم الوظائف واشتراط توفر المؤهلات اللازمة لتشغيلها. كما يعبر عن مفهوم أداء العاملين عن "الأثر الصافي لجهود الفرد التي تبدأ بالقدرات وإدراك الدور أو المهام والذي يشير إلى درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد (عكاشة، 2008).

3-1 عناصر أداء العاملين:

عناصر أداء العاملين: يتكون الأداء من مجموعة من العناصر أهمها :

- 3-1-1: **جودة العمل:** تتمثل في مدى ما يدرکه الفرد عن عمله الذي يقوم به، وما يمتلكه من رغبة ومهارات، وبراعة وقدرة على التنظيم وتنفيذ العمل دون الوقوع في الأخطاء
- 3-1-2: **السرعة في الانجاز** أي مقدار العمل الذي يستطيع الموظف إنجازَه في الظروف العادية للعمل كمية العمل المنجز ومقدار سرعة هذا الإنجاز

3-1-3: المعرفة والالتزام بمتطلبات العمل: وتشمل المعارف العامة، والمهارات الفنية والمهنية، والخلفية عن الوظيفة والمجالات المرتبطة بها (أبو شرخ، 2010: ص68).

4- الجانب العملي: منهجية الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وذلك نظراً لمناسبة هذا المنهج مع طبيعة وأهدافها، ويقوم المنهج الوصفي التحليلي بجمع وتلخيص الحقائق الحاضرة المرتبطة بمجموعة من الظروف، أو عدد من الأشياء أو أي نوع من الظواهر، ويعمل على استخلاص الدلالات والمعاني المختلفة التي تنطوي عليها البيانات والمعلومات التي يمكن الحصول عليها، وهذا ما يسهل ربط الظواهر ببعض، واكتشاف العلاقة بين المتغيرات، وإعطاء التفسير الملائم لذلك مع إمكانية التنبؤ بمستقبل الظواهر والأحداث التي يدرسها؛ وهو ما يناسب تماماً هذه الدراسة، ويخدم الوصول لأهدافها.

1-4. مجتمع الدراسة:

يشمل مجتمع الدراسة جميع العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي الأصابعه والبالغ عددهم (62) موظف وموظفة، واختار الباحث طريقة المجتمع ككل بطريقة الحصر الشامل، واستخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات والجدول رقم (1) يبين ذلك

جدول رقم (1) يوضح عدد الاستبانات الموزعة

البيان	الاستبانات الموزعة	الفاقد	الغير صالحة للتحليل	الصالحة للتحليل
العدد	62	5	2	55
النسبة	% 100	% 8.5	% 2.00	% 88.55

نلاحظ من الجدول رقم (1) ان عدد الاستبانات التي تم توزيعها على العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي الأصابعه بلغ (62) استبانة أي ما يمثل نسبة (100 %) من مجتمع الدراسة، أما الفاقد التي لم تسترجع فكان عدد (5) استبانات أي ما يمثل (8.5 %) من مجتمع الدراسة، أما الفاقد فكانت عدد (2) استبانة أي ما نسبته (2 %)، أما الاستبانات الصالحة للتحليل بلغت (55) استبانة أي ما نسبته (88.55 %) وهذا يعتبر مؤشر مقبول للدراسة.

4-2. أدوات التحليل المستخدمة:

لتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات التي تم جمعها، تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة من خلال البرنامج الإحصائي SPSS. نبين هذه الأساليب ما يلي:

1. التكرارات والنسب المئوية: لوصف مجتمع الدراسة وعينتها وحساب توزيع إجابات أفراد عينة الدراسة
2. المتوسطات والانحرافات المعيارية: وذلك لمعرفة انحراف إجابات أفراد عينة الدراسة عن متوسطها الحسابي، أما بالنسبة إلى الانحراف المعياري يوضح التشتت في إجابات أفراد عينة الدراسة.

المحور الأول: توليد المعرفة:

جدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة على كل سؤال المحور الأول

ر.م	الفقرة أو العبارة	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية	ترتيب الفقرة	درجة الأهمية
01	يعمل صندوق الضمان الاجتماعي علي صرف المعاشات في حينها.	3.53	0.705	5	موافق
02	تحرص إدارة صندوق الضمان الاجتماعي على توجيه العاملين بالطرق الصحيحة	4.00	0.743	1	موافق
03	تشجع إدارة صندوق الضمان الاجتماعي العمل بروح الفريق.	3.70	0.466	2	موافق
04	تدعم إدارة صندوق الضمان الاقتراحات الجماعية.	3.60	0.855	4	موافق
05	تحفز إدارة الصندوق في المبادرات في اتخاذ القرارات داخل الصندوق	3.20	0.664	6	موافق
06	تقوم إدارة الصندوق بتبادل الأفكار مع الموظفين	3.63	0.480	3	موافق
	المتوسط الكلي لتوليد المعرفة	4.15	0.644		موافق

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على البرنامج الاحصائي spss

نلاحظ من الجدول رقم (2) ان الفقرة رقم (2) والتي تنص على " تحرص إدارة صندوق الضمان الاجتماعي على توجيه العاملين بالطرق الصحيحة" جاءت في المرتبة الأولى حيث كان المتوسط الحسابي (4) وانحراف معياري (0.743) بينما جاءت الفقرة رقم (5) في المرتبة الأخيرة والتي تنص على " تحفز إدارة الصندوق في المبادرات في اتخاذ القرارات داخل الصندوق". وبمتوسط حسابي (3.20) وانحراف معياري (0.644). وهذا يدل على أن صندوق الضمان الاجتماعي دائماً يحرص على تشجيع الموظفين وتحفيزهم من خلال المشاركة في اتخاذ القرار.

المحور الثاني: تخزين المعرفة.

الجدول رقم (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة على كل سؤال المحور الثاني

ر.م	الفقرة أو العبارة	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية	ترتيب الفقرة	درجة الأهمية
07	يعمل صندوق الضمان على اشفة عمله الكترونيا.	3.33	1.028	6	موافق
08	يمتلك صندوق الضمان قاعدة بيانات تسمح له بتخزين كل المعلومات	3.77	0.679	1	موافق
09	يشارك كل الموظفين الجدد في التدريب والتعلم	3.40	0.498	5	موافق
10	يحتفظ الصندوق بكل المعلومات التي تتعلق بالموظفين	3.60	0.855	2	موافق
11	كل المعلومات والبيانات مرتبطة مع الإدارة العليا	3.57	0.626	3	موافق
12	يستخدم الصندوق المواقع الالكترونية في تسهيل تخزين المعلومات	3.43	1.006	4	موافق
	المتوسط الكلي لإجابات المبحوثين لتخزين المعرفة	3.51	0.631		موافق

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على البرنامج الاحصائي spss

نلاحظ من الجدول (3) ان الفقرة رقم (8) في المرتبة الأولى والتي تنص على "يمتلك صندوق الضمان قاعدة بيانات تسمح له بتخزين كل المعلومات" بمتوسط حسابي

أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين دراسة تطبيقية على صندوق الضمان الاجتماعي الأصابعة

(3.77) وبتنحرف معياري (0.670) بينما جاءت الفقرة رقم (7) في المرتبة الأخيرة والتي تنص " يعمل صندوق الضمان على ارشفة عمله إلكترونياً" وبمتوسط حسابي (3.33) وبتنحرف معياري (1.028) وهذا يمكن تفسير أن صندوق الضمان الاجتماعي يحرص بشكل كبير على تخزين كل المعلومات الخاصة بالموظفين ويمكن استخدامها متى يراها ان تقدم إضافة لإنجاز مهام الصندوق.

المحور الثالث: أداء العاملين:

الجدول رقم (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة على كل سؤال المحور الثالث.

ر.م	الفقرة أو العبارة	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية	ترتيب الفقرة	درجة الأهمية
13	اساهم بشكل كبير في إنجاز المهام داخل الإدارة	3.93	0.258	1	موافق
14	اعمل بروح الفريق للمحافظة على وظيفتي	3.53	0.730	4	موافق
15	احرص على المشاركة في كل الدورات التي تزيد من المامي بالوظيفة	3.73	0.828	2	موافق
16	احافظ على الوقت اثناء تكليفي باي عمل	3.70	0.466	3	موافق
17	احترم كل رؤساء الأقسام واحاول ان استفيد من خبراتهم.	3.07	1.015	6	موافق
18	الشعور بالانتماء الى الوظيفة يكسبني ثقة زملائي	3.43	1.006	5	موافق
	المتوسط الكلي لإجابات المبحوثين لأداء العاملين	3.56	0.717		موافق

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على البرنامج الاحصائي spss

الجدول رقم (4) يتضح ان الفقرة (15) والتي تنص بأنه " احرص على المشاركة في كل الدورات التي تزيد من المامي بالوظيفة" وبمتوسط حسابي (3.73) وانحرف معياري (0.828) بينما جاء الفقرة (17) في المرتبة الأخيرة والتي تنص على "احترم كل رؤساء الأقسام واحاول ان استفيد من خبراتهم" بمتوسط حسابي (3.07) وانحرف معياري (1.015) ونستنتج من ذلك ان صندوق الضمان الاجتماعي يولي اهتمامه في الحرص الكامل في مشاركة العاملين في اتخاذ القرار.

3-4: اختبار فرضيات الدراسة: 1-3-4- اختبار الفرضية الفرعية الأولى:

H_0 : لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين توليد المعرفة وأداء العاملين.

وللتحقق من هذه الفرضية استخدام الباحث أسلوب تحليل الانحدار لقياس العلاقة بين توليد المعرفة (كمتغير مستقل)، في أداء العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي (كمتغير تابع) والجدول رقم (5) يبين ذلك:

جدول (5) نتائج تحليل التباين للانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار أثر بعد توليد المعرفة في أداء العاملين في صندوق الضمان الاجتماعي

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	قيمة F الجدولية	مستوى الدلالة	معامل التحديد R^2	معامل الارتباط R
الانحدار	55.576	1	55.576	612.576	3.883	0.000		
الخطأ	20.200	54	0.091				0.733	0.856
المجموع	75.776	55						

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Spss

يوضح الجدول (5) اختبار العلاقة بين بعد توليد المعرفة (كمتغير مستقل)، وبين أداء العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي (كمتغير تابع)، حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي المدونة بالجدول ثبات صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الفرعية الأولى إلى ارتفاع قيم (f) المحسوبة والتي بلغت (612.576)، عن قيمتها الجدولية عند مستوى دلالة (0.05)، ودرجات حرية (1-54) والبالغة (3.993)، ويتضح من نفس الجدول أن قيمة معامل التحديد (R^2) قد بلغت (0.733)، وهذا يعني أن (73.3%) من التغيرات الحاصلة في أداء العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي أي أن بعد توليد المعرفة في هذا النموذج يفسر ما مقداره (73.3%) من التباين في أداء العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي.

مما يدل على أن هناك أثراً هاماً ذو دلالة إحصائية للمتغير المستقل في المتغير التابع، وبملاحظة أن مستوى الدلالة أقل من (0.05)، فإننا نقبل الفرض البديل ($H_1: \beta_1 \neq 0$)، ونرفض الفرض العدم.

4-3-2- اختبار الفرضية الفرعية الثانية:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \leq 0.05)$ بين تخزين المعرفة واداء العاملين في صندوق الضمان الاجتماعي.

وللتحقق من هذه الفرضية استخدم الباحث أسلوب تحليل الانحدار لقياس العلاقة بين تخزين المعرفة (كمتغير مستقل)، في اداء العاملين (كمتغير تابع) والجدول رقم (6) يبين ذلك:

جدول (6) نتائج تحليل التباين للانحدار للتأكد من صلاحية النموذج لاختبار أثر بعد تخزين المعرفة في اداء العاملين

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	قيمة F الجدولية	مستوى الدلالة	معامل التحديد R^2	معامل الارتباط R
الانحدار	65.721	1	65.721	1454.712	3.883	0.000	0.887	0.931
الخطأ	10.075	54	0.045					
المجموع	75.796	55						

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Spss

يوضح الجدول (6) اختبار العلاقة بين بعد تخزين المعرفة (كمتغير مستقل)، وبين اداء العاملين (كمتغير تابع)، حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي المدونة بالجدول ثبات صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الفرعية الثانية إلى ارتفاع قيم (f) المحسوبة والتي بلغت (1454.712)، عن قيمتها الجدولية عند مستوى دلالة (0.05)، ودرجات حرية (1-54) والبالغة (3.993)، ويتضح من نفس الجدول أن قيمة معامل التحديد (R^2) قد بلغت (0.887)، وهذا يعني أن (88.7%) من التغيرات الحاصلة في أداء العاملين يعود إلى أثر بعد تخزين المعرفة، أي أن بعد تخزين المعرفة في هذا النموذج تفسر ما مقداره (88.7%) من التباين في أداء العاملين.

مما يدل على أن هناك أثراً هاماً ذو دلالة إحصائية للمتغير المستقل في المتغير التابع، وبملاحظة أن مستوى الدلالة أقل من (0.05)، فإننا نقبل الفرضية البديلة، ونرفض فرضية العدم ونقر بوجود علاقة خطية ذات دلالة إحصائية بين أثر بعد تخزين المعرفة في أداء العاملين.

4-3-3-اختبار الفرضية الرئيسية:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين إدارة المعرفة وأداء العاملين

للتحقق من هذه الفرضية استخدم الباحث أسلوب تحليل الانحدار لقياس العلاقة بين إدارة المعرفة (كمتغير مستقل)، في أداء العاملين، والجدول رقم (7)، يبين ذلك:

جدول (7) نتائج تحليل التباين للانحدار للتأكد من صلاحية

النموذج لاختبار أثر إدارة المعرفة في أداء العاملين

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	قيمة F الجدولية	مستوى الدلالة	معامل التحديد R^2	معامل الارتباط R
الانحدار	61.129	1	61.129	929.418	3.883	0.000	0.806	0.898
الخطأ	14.667	54	0.086					
المجموع	75.796	55						

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Spss

يوضح الجدول (7) اختبار العلاقة بين إدارة المعرفة (كمتغير مستقل)، وبين أداء العاملين (كمتغير تابع)، حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي المدونة بالجدول ثبات صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الفرعية الرئيسية إلى ارتفاع قيم (f) المحسوبة والتي بلغت (929.418)، عن قيمتها الجدولية عند مستوى دلالة (0.05)، ودرجات حرية (1-54) والبالغة (3.993)، ويتضح من نفس الجدول أن قيمة معامل التحديد (R^2) قد بلغت (0.806)، وهذا يعني أن (80.6%) من التغيرات الحاصلة في أداء العاملين يعود إلى أثر بعد إدارة المعرفة، أي أن إدارة المعرفة في هذا النموذج تفسر ما مقداره (80.4%) من التباين في أداء العاملين، مما يدل على أن هناك أثراً هاماً ذو دلالة إحصائية للمتغير المستقل في المتغير التابع، وبملاحظة أن مستوى الدلالة أقل من (0.05)، فإننا نقبل الفرضية البديلة، ونرفض فرضية العدم ونقر بوجود علاقة خطية ذات دلالة إحصائية بين إدارة المعرفة وأداء العاملين.

5- النتائج والتوصيات:

1-5 النتائج:

من خلال تحليل البيانات ووفقاً لنتائج التحليل الإحصائي Spss، والتي تم جمعها من مجتمع الدراسة، والمتمثل في صندوق الضمان الاجتماعي، فقد تم رفض جميع الفرضيات الصفرية وقبول الفرضيات البديلة للدراسة، ويمكن تلخيص أهم النتائج التي حققتها فيما يأتي:-

1- وجود أثر ذو دلالة إحصائية لبعد السلطة في أداء العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي أي أن التغير الحاصل في المتغير المستقل السلطة مسئول عن تفسير ما قيمته (73.3%) من المتغير التابع أداء العاملين، وهذا يدل على إن صندوق الضمان الاجتماعي يحرص على توليد المعرفة داخل الصندوق.

2- وجود أثر ذو دلالة إحصائية لبعد تخزين المعرفة في أداء العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي أي أن التغير الحاصل في المتغير المستقل تخزين المعرفة مسئول عن تفسير ما قيمته (88.7%) من المتغير التابع أداء العاملين، وهذا يدل على إن صندوق الضمان الاجتماعي يحرص على تخزين المعرفة داخل الصندوق.

3- وجود أثر ذو دلالة إحصائية لإدارة المعرفة في أداء العاملين بصندوق الضمان الاجتماعي أي أن التغير الحاصل في المتغير المستقل إدارة المعرفة مسئول عن تفسير ما قيمته (80.6%) من المتغير التابع أداء العاملين، وهذا يدل على إن صندوق الضمان الاجتماعي يحرص على تخزين المعرفة داخل الصندوق.

4- من خلال تتبع تحليل (أبعاد الدراسة والمتمثلة في توليد المعرفة وتخزين المعرفة) لاحظت الدراسة بأن الأبعاد متفاوتة في التأثير فيما بينها، وأن أكثر العناصر تأثيراً في أداء العاملين (تخزين المعرفة)، كانت بمعامل ارتباط قدره (0.931)، والأقل تأثيراً (توليد المعرفة)، فكان بمعامل ارتباط قدره (0.736) ويعد هذا الأثر مقبولاً من الناحية الإحصائية. كعناصر ذات أهمية لصندوق الضمان الاجتماعي، مما يتطلب الإهتمام والتركيز عليها عند إعداد وتحديث إدارة المعرفة.

5-2 التوصيات:

1. الاهتمام بمجال توليد المعرفة وتوزيع المعرفة وتطبيق المعرفة في صندوق الضمان الاجتماعي، وإعطاء الأولوية لعمليات توليد المعرفة.
2. ضرورة التركيز بشكل دائم ومستمر على تخزين المعرفة لما له من أهمية كبرى للحفاظ على الأرشفة الإلكترونية والمعلومات اللازمة داخل صندوق الضمان الاجتماعي.
3. الاهتمام بإدارة المعرفة والتي أصبحت إحدى الإدارات المهمة للمنظمة بصفة عامة وصندوق الضمان بصفة خاصة.
4. التركيز والاهتمام بالشبكات وخاصة داخل صندوق الضمان الاجتماعي لإمداد المنظمة بالمعلومات في التوقيت المناسب.
5. توصي الدراسة بالتركيز على أبعاد أخرى لم يتطرق لها الباحث تتعلق بإدارة المعرفة.

المراجع:

- الزواهره، ليث، (2023)، أثر إدارة المعرفة في ذكاء الأعمال: الدور الوسيط للإبداع في شركة مصفاة البترول الأردنية، مجلة المثقال للعلوم الاقتصادية والإدارية وتكنولوجيا المعلومات، مجلد 8 عدد 3.
- الزيادات، محمد عواد أحمد، (2008) اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- بابلك، عبدالمالك، عبدالواحد، عبد الحميد، (2023)، أثر إدارة المعرفة على عملية صنع القرارات الإدارية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر.
- جرادات، ناصر محمد، وابوسنية، هاشم محمد، (2020)، أثر إدارة المعرفة على أداء العاملين، مجلد 5 عدد 13 (2020): مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإدارية والاقتصادية، فلسطين.
- عبداللطيف، عبداللطيف، 2001، العلوم السلوكية، الطبعة الرابعة، منشورات جامعة دمشق.
- نجم، نجم عبود، (1997)، إدارة المعرفة المفاهيم والاستراتيجيات والعمليات، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن

- هزايمة، علي احمد، (2022)، أثر إدارة المعرفة على الميزة التنافسية من خلال رأس المال البشري في المستشفيات الأردنية الخاصة، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية، مجلد 6، عدد 20، عزة، فلسطين.
- ياسين، سعد غالب (2007)، إدارة المعرفة: المفاهيم، النظم، التقنيات، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

<https://journals.wise.edu.jo/ojs2020/index.php/mith/index>.

16/09/2023, time,12:30

المراجع باللغة الإنجليزية:

- Nonaka, I. (2005). Knowledge Management: Critical Perspectives on Business and Management, Taylor & Francis, Vol. 2.

الحق في حرمة المسكن في الشريعة الإسلامية

أ. عائشة سعيد على الحاج

المعهد العالي للتقنية الهندسية والصناعية النجيلة

المستخلص:

إن غاية الشريعة الإسلامية هي رعاية مصالح الناس وحفظ النظام وحماية الحقوق، وقد جاءت الشريعة بأحكام كلية صالحة لكل زمان ومكان، وتركت الأحكام التفصيلية لولاة الأمر، أهل الرأي حسب ما يرشد إليه النظر في واقع حياتهم المتجددة. فالقرآن الكريم رسم الخطوط العريضة للمجالات التي تنمو فيها الحياة وتزدهر، فلم يحصرها في نطاق ضيق، ومن ثم جاءت أحكامه متميزة بالشمول، والعموم في التوجيه التشريعي مع المرونة في مواجهة الأحداث بفتح باب الابتكار في حدود الالتقاء مع النص العام (أبو ركة - التنظيم الإداري في الإسلام). لذا نجد أن في حرمة المسكن من الحقوق الأساسية التي أقرتها الشريعة الإسلامية، وتأكدت بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولا شك أن مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ الحقوق ومصالح الناس فمن حق كل فرد مسلم أو ذمي أو معاهد في بلد الإسلام أن يكون له مسكن يأوي إليه ويستتر عورته عن أعين الناس، وأن يكون حرماً آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنتهم. (شلتوت - الإسلام عقيدة وشريعة). إن حرمة المسكن حق من حقوق الإنسان كفلته له الشريعة الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً، وهذا يبين السبق والأصالة الذي يتسم به هذا الدين.

الكلمات المفتاحية: الأسس، المدلول، ضمانات الحرمة في الفقه الإسلامي.

المقدمة

يرتبط الحق في حرمة المسكن ارتباطاً وثيقاً من جهة بالخصوصية فهو جزء لا يتجزأ منها كما يرتبط مباشرة بالإنسان من جهة أخرى، وبالرغم من المحاولات القديمة لإقرار الحق في الحياة الخاصة فإن الحاجة للاعتراف به قد زادت في القرن التاسع عشر، فكلما زاد التقدم العلمي وتشعبت العلاقات وازدهرت وسائل الاتصال والتكنولوجيا أدى ذلك إلى تزايد انتهاكات الحكومات والمؤسسات للحياة الخاصة للأفراد.

ففي المجتمعات البدائية لم تكن هناك ثمة اعتداءات على حرمة الحياة الخاصة للأشخاص علة ذلك الطبيعة الهادئة للأشخاص آنذاك وسهولة وبساطة الحياة؛ ولكن مع تطور الحياة تعرضت حقوق الإنسان بشكل عام للانتهاك بشتى صورته وأشكاله مما دفع الشعوب للمطالبة بحقوقها وحمايتها فنتج عن ذلك صياغة الحقوق في وثائق واتفاقيات ودساتير على المستوى الدولي والمحلي وكفلت لها بعض الحماية وللحق في حرمة المسكن نصيب من هذه التشريعات لما للمسكن من أهمية بوصفه أحد عناصر الحياة الخاصة للإنسان. (المصيلحي، 1988، ومتولي، 1964)

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل عنيت الشريعة الإسلامية بحرمة المسكن كجزء من الخصوصية؟ أم كان ذلك نتاج التشريعات الوضعية؟ وما حكمة الشارع الحكيم في مراعاة حرمة المسكن؟

إن الإجابة على هذا التساؤل ولمعرفة حكمة التشريع الإسلامي في مراعاة حرمة المسكن وخصوصية الإنسان كحق من حقوقه الأساسية يتطلب منا تقسيم الدراسة إلى عدة مطالب ندرس في المطلب الأول الأسس التي يقوم عليها الحق في الحياة الخاصة في الشريعة الإسلامية بشكل عام ونبين في المطلب الثاني ماهية حرمة المسكن وفي الثالث حرمة المسكن وضمائنه في الفقه الإسلامي.

وعلى ضوء ذلك سنعتمد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لما تقتضيه كل جزئية من الجزئيات. وربما يتبادر إلى ذهن البعض أن هذه الدراسة هي عبارة عن ترداد لمن سبقنا إليها، ونعلم أن هناك دراسات سابقة وعديدة لحقوق الإنسان ولها من الجدية والطرافة والعمق ما تُغني القارئ والكاتب عن تلمس دراسة أخرى ولكن لكل باحث جدته ومنهجه وتحليلاته، ولعل هدف هذه الدراسة التذكير بمسيرة هذه الحقوق في ظل الانتهاكات التي تتعرض لها الخصوصية وحرمة المسكن بشكل خاص خاصة بعد تفجير الثورات والحروب التي تخوضها بعض الدول وما ينتج عنها من اختلال في موازين القيم وتلبس في المفاهيم.

المطلب الأول: الأسس التي يقوم عليها الحق في الحياة الخاصة في الشريعة الإسلامية
يقوم الحق في حرمة الحياة الخاصة في الإسلام على أسس متينة، وهي أسس وإن كانت ذات صلة بحقوق الإنسان إلا أن بعضها ألصق بحرمة المسكن، وربما كان مقصوراً عليها دون غيرها لأن هذه الحرمة تعتبر عنصراً هاماً من عناصر الحق في الحياة الخاصة وهذه الأسس تتمثل في النحو التالي:

الفرع الأول: تكريم الله تعالى للإنسان

لقد كرم الله الإنسان وأعلا شأنه على الملائكة فعلمه ما لم تعلمه الملائكة ولأسجدهم له. وهذا التفضيل في التكريم نجده في قوله تعالى { ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً } (سورة الإسراء، الآية 70). والواقع أن هناك العديد من مظاهر التكريم التي اختص بها الإسلام للإنسان دون غيره من المخلوقات ومن أهمها تمييزه بالعقل الذي منحه الله سبحانه وتعالى والذي يعد نعمة ينفرد بها عن سائر المخلوقات وهو وسيلة الإيمان السليم، كما أنعم الله سبحانه على الإنسان بالحرية التي حباه بها ومنحه التحرر فطرة وخلقاً وكان ذلك أساس التكليف الكامل له إذا بلغ راشداً، فالحرية أصل الأصول في الدين الإسلامي (الليبي، ص 122). إضافة الي هذا التكريم خلق الله الإنسان في أحسن هيئة حيث قال: { ولقد كرّمنا بني آدم } ويستفاد من هذه الآية تفضيل الله للإنسان فهو خليفته في أرضه ولقد وضعه في مكانة أفضل من الملائكة (ابن كثير، 1982: ص 217).

الفرع الثاني: الأخلاق الفاضلة

تعد الأخلاق من أهم لأسس التي يقوم عليها الحق في الخصوصية في الإسلام ومرجع ذلك أن الشريعة تقوم على الدين الذي يأمر بمحاسن الاخلاق ويحث على الفضائل ويهدف إلى تكوين الجماعة الصالحة الخيرة التي تسعى إلى بناء مجتمع صالح من خلال إرساء العديد من المبادئ التي تضمن ذلك كمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومبدأ الستر.

الفرع الثالث: الاعتبار الذاتي للإنسان

هناك مجموعة من الأمور التي تشكل الكيان الأدبي أو الاعتبار الذاتي، وهي كرامته وشرفه وعرضه، وغير ذلك من الأشياء التي بها يصبح الإنسان محل شكر أو موضعاً للنقد والذم.

وقد حدد التشريع الإسلامي جرائم العرض وأكد على تحريم الأفعال المكونة لها وضع لها عقوبات للحد منها (وافي، 1979: ص277).

المطلب الثاني: مدلول المسكن والشروط الواجب توافرها فيه

يقول القرطبي: "لما خص الله سبحانه وتعالى ابن آدم الذي كرمه الله وفضله بالمنازل، وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أربابها، أدبهم بما يرجع إلى الستر عليهم لئلا يطلع أحد منهم على عورة" (الجامع لأحكام القرآن، ج12: ص141).

ومن هذا المنطلق أسلط الضوء على المسكن وشروطه:

أولاً: المسكن:

المسكن في اللغة من سكن إليه سكونا أي ارتاح واطمأن، واستقر وهو البيت، والسكن في الدار أي الإقامة بها. والسكن هو البيت، ويطلق على الدار والبيت هو السكن المكان الذي يقام فيه.

وبيت الرجل: عياله البيت هو المسكن سواء كان من شعر أو مدر، وبيت الشعر معروف. وبات بموضع كذا أي صار به سواء كان في ليل أم نهار. ويطلق المسكن على الخص وهو البيت من القصب، كما يطلق على بيوت الخيام والمغارات إذا سكنت بها القباب، وبيوت الانتجاع، والصوف والكتان والأدم (الفيومي - المصباح المنير)

قال تعالى { والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظغنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين } (سورة النحل، الآية 80) ففي هذه الآية ذكر بيوت الإقامة في البادية والتحول من موضع إلى موضع ، وكذلك يدخل في حكم المساكن في العصر الحديث بيوت الرحلات وخيامها والتي يتخذها صاحبها مسكناً له في وقت راحته ونومه (الدغمي - حماية الحياة الخاصة في الشريعة الإسلامية) ومن البيوت الكن: وهو البيت الذي قال فيه الله تعالى { وجعل لكم من الجبال أكنانا } (سورة الحل، الآية 81) ويطلق الكن على كل ما يبرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن (ابن منظور، لسان العرب).

والمسكن كذلك هو مكان يكون معزولاً عن العالم الخارجي مفتوحاً كان أم مغلقاً، ثابتاً أم متحركاً ويكون مخصصاً بصفة مشروعة لسكن شخص أو أكثر، وبصفة مؤقتة، وبطريقة تؤدي إلى إظهار إرادة ساكنيه التي تتعد دخول الغير أو بقاءهم فيه دون إذن.

لذا فإنه لا يشترط في المسكن أن يكون بناء بل يصح أيكون مصنوعاً من الخشب أو الخيام أو الحطب أو الصفيح، وقد يكون منزلاً كوخاً أو شاليهاً وعشة، وقد يكون ثابتاً أو متحركاً لذلك يستوي أن يكون قصراً مشيداً أو خيمة أو عشة أو عربة نوم.

كما أن المكان قد يكون مخصصاً لسكن فرد أو مجموعة من الأفراد (لمزيد التفاصيل راجع راشد- الحماية الجنائية للحق في حرمة المسكن). ومسكن الشخص هو المكان الذي يحتفظ فيه بأسراره بعيداً عن بصر وسمع الآخرين وينطلق الإنسان داخله دون قيود، ويستطيع أن يخلو بنفسه فيه. (الحو، 1986: ص 401)

ويقصد بالمسكن أو المنزل كل مكان مسور يستخدم للإقامة فيه لفترة محددة أو على سبيل الدوام (عبيد، 1985: ص 372).

وقد عرفه فقيه بأنه كل مكان خصصه حائزه لإقامته وسائر مظاهر حياته الخاصة (حسن، 1988: ص 588) كما قيل أن المسكن هو ذلك المكان الذي يقيم فيه بعض الناس، حيث الخلود إلى الراحة والخلوة إلى النفس، ومباشرة مظاهر الحياة الطبيعية كالأكل والراحة والنوم ويشمل ملحقاته التابعة له. والمقصود بالملحقات الخاصة به وهي جزء منه، وهي جزء من الحديقة وما بها من مبان. ومن المقرر قضاء أن ملحقات السكن هي جزء من المنزل، وتشمل الحديقة وما بها من حجرات أو أكشاك أو الجرج، وغير ذلك من المنافع الملحقة بالمسكن. وتتمتع محقات المكان المسكون أو المعد للسكنى بالحماية ذاتها المقررة له، فهذه الملحقات تأخذ حكمه (الشهاوي، 2005: ص165)

إن المسكن هو المكان الذي يعيش ويقيم فيه الإنسان وينتفع باستعماله كيفما يشاء بإرادته المنفردة وبدون تدخل من أحد، ويحتفظ فيه بكل ما يتعلق بخصوصياته.

ثانياً: شروط المسكن

يتعين أن تتوافر عدة شروط في المكان حتى يعد مسكناً ويختلف الفقهاء فيما بينهم بشأن ضرورة توافر الشروط الثلاثة وهي:

أ- أن يكون المكان مخصصاً للسكن بالفعل أي قيام الأفراد بممارسة حياتهم داخله حتى ولو كان غير معد للإقامة فيه ورغم ذلك فهو مسكون بالفعل للإقامة الفعلية هي المعيار والأساس في اعتبار المكان مسكوناً يستطيع الفرد قضاء أوقاته وممارسة حياته داخله بعيداً عن الآخرين ويستوي أن تكون الإقامة دائمة أو مؤقتة طالما أن حائز المسكن يمارس حياته بصورة طبيعية (انظر: رمضان، ص 342).

ب- أن تكون الحيازة مشروعة أي بمعنى أن يكون الحائز قد آلت إليه حيازة هذه الدار بطريق مشروع. ومن ثم فلا تثبت الحرمة لمن اغتصب داراً من صاحب الحق فيها ونص الفقهاء على أن ملك صاحب الدار المغصوبة لم يزل عنها بفعل الغاصب، ولهذا يحق دخولها لصاحبها الشرعي متى شاء بدون إذن، ولا يجوز للغير دخولها بغير إذنه كما لو كانت في يده (الغزالي، ص 209).

ج- أن يكون المقيم بالمسكن حائزاً له سواء كانت هذه الحيازة عن طريق الملكية أو عن طريق الانتفاع به بعقد كالإيجار أو الاستعارة.

المطلب الثالث حرمة المسكن وضمائنه في الفقه الإسلامي

عنيت الشريعة الإسلامية ببسط حمايتها على الحقوق العامة والخاصة وأكدت على ضرورة احترام حق الأفراد في حرمة حياتهم الخاصة وكفلت للإنسان حقه في حرمة مسكنه، فلا يجوز الاعتداء على حرمة ذلك المسكن، ولا يجوز الدخول فيه إلا بإذن صاحبه، وينطلق ذلك الحق في أن يعيش الإنسان آمناً في سكينه بعيداً عن تطفل الآخرين.

إن حقوق الإنسان في الإسلام حقوق شمولية تنبع من أصل العقيدة، ومن التكريم الإلهي للإنسان بالنصوص الصريحة في القرآن الكريم والمنهج القويم في السنة النبوية.

وقد فُرد هذا النص في القرآن الكريم صريحاً واضحاً في نصوص قطعية وذلك في قوله تعالى: {يأيتها الدين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (27) فإن لم تجدوا فيها أحد فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم (28) ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون} (سورة الأعراف: الآية 27-28)

فهذه الآيات الكريمة قررت حرمة المسكن ووضعت ضمانات لحماية هذا الحق فهي تنهي الإنسان من دخول مسكن غيره حتى يستأذنه ويستشعر الترحاب من جانبه، فإن لم يكن كذلك فعليه بالرجوع وعدم الدخول دون أن يترك ذلك أثر في نفسه.

إن هذه الآيات تُبين أن لحرمة المسكن وجهين الاستئذان بدخول المسكن، والاستئذان داخل المسكن فمتى توافرت الشروط اللازمة في المكان حتى يأخذ صفة المسكن، تقرر له حرمة المنصوص عليها شرعاً، ما يتعين على كل من هو أجنبي عليه أن يستأذن في الدخول على أهله قبل الدخول فيه، وعلى طالب الإذن أن يستعلم أهل البيت، ومدى استعدادهم لاستقباله، فيتعين عليه أن يترفق في طلبه، وذلك تنفيذاً للأمر الصادر

من الله تعالى في قوله {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها....} وبذلك يكون الاستئناس أولاً ثم من بعده الاستئذان.

إن الاستئناس تعبير يوحى باللطف في الاستئذان تعرفاً على مدى استعداد أهل البيت للقاء القادم وأنسهم به، وهذا سلوك يترجم ما للآداب الإسلامية من سمو أخلاقي ورفي حضاري.

إن الاستئذان أدب الله به عباده وحثهم على وجوب مراعاته لما فيه من احترام لحرمة الحياة الخاصة للإنسان الصادر عنه الإذن، ولما فيه من خير للشخص المطلوب منه الاستئذان. فالاستئذان على البيوت يحقق لها حرمتها التي تجعل منها مثابة سكناً ويوفر على أهلها الحرج من المفاجأة والضيق بالمباغطة والتأذي بانكشاف العورات.

واستكمالاً لعظمة هذه الحرمة وردت أحاديث كثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تبين ما للمسكن من حرمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ما روي عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من نظر إلى دار جاره فكأنما نظر إلى كوة من نار" (أحمد، 1994: ص385).

وعن عبادة بن الصامت أ الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن الاستئذان في البيوت فقال "من دخلت عينه قبل أن يستأذن ويسلم فلا إذن له وقد عصى ربه" (البخاري الأدب المفرد)، وروي أنس بن مالك - رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: - " أن أعرابياً أتى باب النبي الأمين فجعل عينه على ثقب الباب وأخذ يتلصص، فأراه النبي فأخذ عوداً مدبب الرأس فدفع به من خلال ثقب الباب اتجاه عين الرجل فأحس به ونفكاً بسرعة حتى أخطأ العود عينه ثم قال الرسول لو ثبت لفقات عينك " (البخاري، ص13)، وعن عبد الله بن بشر رضي الله عنه - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا أتى قوماً لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم " (البخاري، 1994: ص315)

وواضح من هذه الأحاديث - وغيرها كثير - تؤكد ما للمسكن من حرمة وحصانة في نظر الإسلام وأنها تحظر وتنتهي الآخرين عن دخول مساكن غيرهم بدون مبرر مشروع، وفي ذلك يقول الماوردي: "وما ينكر من الحقوق المشتركة بين حقوق الله وحقوق الأدميين فكالمنع من لإشراف على منازل الناس ولا يلزم من علا بناؤه أن يستر سطحه وإنما يلزم ألا يشرف على غيره " (الماوردي، 1998: ص256)

ولعل فيما فعله الخليفة عمر بن الخطاب مع الرجل والمرأة خير دليل على عظمة الإسلام في شرعه فقد روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يعس بالمدينة، فسمع صوت رجل وامراه في بيت، فتسور الحائط، فإذا رجل وامراه عندهما زق خمر، فقال له يا عدو الله: اكننت ترى أن الله يسترك وأنت على معصية؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين: " أنا عصيت الله في واحدة وأنت في ثلاث: فإله يقول: { لا تجسسوا } وأنت تجسست علينا، ويقول: { وآتوا البيوت من أبوابها } وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه ويقول: { ولا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها } وأنت لم تفعل ذلك، وقال عمر - رضي الله عنه -: هل عندك من خير إن عفوت؟ قال نعم والله لا أعود، فقال: اذهب فقد عفوت عنك (الصنعاني، 1970: ص 132).

وروي عن عبد الرحمن بن عوف: أنه مر مع عمر بن الخطاب فوجدوا بيت ربيعة بن أمية بن خلف ينبعث منه صوت يدل على الشرب والسكر، ومع ذلك فقد قال لعبد الرحمن: فما ترى؟ قلت: "أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه" قال تعالى: { ولا تجسسوا } فرجع عمر تركهم (العقاد، ص 132)

وروي أن عمر - رضي الله عنه - دخل على فتيه يتعاقرون شراباً ويوقدون في أخصاص (ابن منظور، ص 276). فقال نهيتكم عن المعاقرة، فعاقرتم، ونهيتكم عن الإيقاد في الأخصاص فأوقدتكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين قد نهى الله عن التجسس فتجسست، وعن الدخول بغير إذن فدخلت فقال: هاتان بهاتين، فانصرف ولم يعرض لهم (الصنعاني، ص 231).

ومن هذه المواقف وغيرها الكثير يتبين لنا مدى ما وصلت إليه حرمة المسكن وما حظيت به من اهتمام في الشريعة الإسلامية لذلك يجب أن يكون من أولى مهمات الدولة في الإسلام تحقيق الأمن وحماية الناس، وتحقيق السلامة العامة، وتنفيذ غايات الشريعة الإسلامية.

النتائج:

يمكن إبراز جملة من النتائج التي توضحت بعد دراسة حرمة المسكن في الإسلام وأهم هذه النتائج:

- 1- إن الإسلام هو الدين الحق الذي ينظر إلى الإنسان وإلى حقوقه في هذه الحياة نظرة شاملة تنسجم مع مختلف الأحوال والظروف ومع كل العصور والأزمان.
- 2- إن حرمة المسكن في الإسلام مفصلة تفصيلاً دقيقاً ومكفول لها الحماية الشرعية في كون امتداد أصولها من قاعدة الإيمان والتوحيد.
- 3- من خلال هذه الدراسة يلاحظ المطلع السبق التاريخي للشرعية الإسلامية في مراعاة حقوق الإنسان، ومنها حقه في مسكنه قبل أربعة عشر قرناً وأن هذا الحق يعد من ضمن المبادئ الأخلاقية التي أوجبها على الأفراد.
- 4- أن الحق في حرمة المسكن حق مُعظم ومقدس في نظر الشريعة الإسلامية التي أوجبت حفظه ورعايته وعدم الاعتداء عليه، وهو ما أكدت عليه النصوص الشرعية في القرآن والسنة النبوية.

الهوامش

- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1319) "صحيح البخاري" المطبعة الخيرية.
- البخاري، (1379) الأدب المفرد - الطبعة الثانية، القاهرة.
- اللبيدي حسن صلاح، "الصياغة الأصولية لحقوق انسان" مكتبة حقوق أسيوط، بدون تاريخ.
- الحلو ماجد راغب (1986) "القانون الدستوري" مطبوعات الإسكندرية.
- الدغمي محمد رakan، (1401) حماية الحياة الخاصة في الشريعة الإسلامية، دار السلام القاهرة.
- العقاد عباس محمود "عبقرية عمر" طبعة دار الهلال.
- الغزالي ابي حامد "شرح الوجيز" دار النهضة العربية.
- الفار عبد الواحد محمد (1991) قانون الإجراءات الجنائية في الفكر الوضعي والشريعة الإسلامية "دار النهضة العربية.

- الماوردي علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- القرطبي، محمد بن أحمد (1996) الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حنبل احمد "المسند" (1328) ج2، دار الكتاب العربي.
- ابن منظور محمد، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف.
- حسني محمود نجيب (1988) شرح الإجراءات الجنائية " دار النهضة العربية.
- راشد على (1977) الجرائم التي تحصل لأحاد الناس، مكتبة سيد عبد الله وهبه.
- عبد الحميد عبد العظيم عبد السلام " (2005) حقوق الإنسان وفقاً أحدث الدساتير العالمية والمواثيق الدولية.
- عبيد رءوف (1985) مبادئ الإجراءات الجنائية، دار الجيل للطباعة.
- وافي على عبد الواحد (1979) "حقوق الإنسان في الإسلام"، دار النهضة العربية، الطبعة الخامسة.
- متولي عبد الحميد (1964) "القانون الدستوري" دار المعارف، القاهرة.

تعليل الأحكام الشرعية من منظوريّ: ابن حزم وابن القيم

د. محمد مصباح الأمين عبد الرحمن

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب الاصابعة، جامعة غريان

المستخلص:

إن مسألة القول بالتعليل في أحكامه تعالى من المسائل التي أحدثت جدلاً واسعاً بين الأصوليين: قديماً، وحديثاً، وذهبوا فيه إلى فريقين: الأول: مقرّ بالتعليل، والثاني: ناف له، ولكل منهما أدلته من: المنقول والمعقول، وجاءت مصنفات الجميع معبرة عن ذلك بوضوح، وإن ادّعى كل منهما الإجماع على صحة ما ذهب إليه، فإنه لا إجماع على رأي بعينه في نظر الباحث، وإنما المسألة لا زالت محلّاً للخلاف بين الجميع، ولم يحسم فيها الأمر بعد.

وللخروج من هذا الخلاف، وتقريب وجهات النظر بين المختلفين، جاء فريق ثالث برأي يكاد يكون توافقياً، وأكثر اعتدلاً، مفاده: أن أحكامه تعالى منها: المعلل، ومنها: غير المعلل.

والمتتبع لمنهجية: ابن حزم، وابن القيم، في تعاملهما مع هذه القضية، ومعالجتهما لجزئياتها باعتبارهما يمثلان وجهتي نظر متعارضتين، فإن الأول منهما، وإن كان ظاهرياً متمسكاً بظاهر النص، تاركاً للتأويل، فإنه وجد نفسه مدفوعاً إليه، مما اضطره أحياناً إلى توظيف بعض النصوص في غير ما سيقّت له، بغية الانتهاء إلى إثبات نفي التعليل في أحكامه تعالى، معتمداً الأسلوب الحوارية في طرح قضاياها، وإن غلب عليه التعنيف والقسوة مع مخالفه، بينما كان ابن القيم أكثر تلطفاً، ولينا في تعامله معه خصومه، ولا يأتي على مسألة من مسائل التعليل، ولا يصدر فيها حكماً، إلا وله من المنقول الصحيح، أو المعقول الصريح، ما يعزز ما ذهب إليه.

الكلمات المفتاحية: ابن القيم، ابن حزم، أحكام، تعليل، العلة، المتلقّي، الخلاف، خصومه، مخالفوه.

المقدمة:

تعد مسألة القول بتعلييل أحكام الشرع من عدمه من المسائل التي أثارت خلافا عميقا بين العلماء: متقدمين منهم، ومتأخرين، حيث تباينت فيها الآراء، وتدافعت بخصوصها الأدلة، وقد حشد كل فريق منهم ما لديه من وسائل، وجمع ما توافر له من الأدلة: منقولها ومعقولها في مواجهة خصومه؛ لإثبات صحة ما ذهب إليه، وإن ظلت المسألة محلا للخلاف بين الجميع.

أهمية الموضوع: تتجلى أهمية هذا البحث في كونه دراسة مقارنة بين علمين من أعلام الفقه وأصوله، من وجهتين مختلفتين: بيئية واتجاهها، يمثل الأولى: ابن حزم الظاهري الأندلسي ت456هـ، والثانية: ابن القيم الحنبلي المشرقي ت751هـ، في مسألة من المسائل الأصولية ذات الخلاف العميق بين الأصوليين والفقهاء: قديما وحديثا، وهو ما يجعل من هذا الموضوع مادة خصبة للبحث والدراسة.

أهداف البحث: الوقوف على حقيقة التعلييل في أحكام الشرع، وموقف العلماء منه، بخاصة ابن حزم، وابن القيم باعتبارهما يمثلان وجهتي نظر متباينتين بخصوص التعلييل، وبيان راجح الآراء في تلك المسألة.

أسباب الاختيار: إن ما شجع الباحث على اختيار هذا الموضوع: ثراء أغلب مؤلفات هذين الفقيهين بمناقشة القضايا المتعلقة بالتعلييل في أحكام الشرع، ومحاولة إبراز بعض من جهودهما في نفي التعلييل في أحكامه تعالى، أو إثباته، وقوة الأدلة لدى كل منهما، ومدى التزامهما بذلك عند التطبيق.

التساؤلات: ما موقف ابن حزم وابن القيم من قضية القول بالتعلييل في أحكام الشرع؟ وما الذي شجع كلا منهما على موقفه؟ وعلام استند كل منهما في إثبات سلامة رأيه؟ وما الآثار التي ترتبت على ذلك؟ وأيهما كان أقرب إلى الصواب في نظر الباحث؟ ولماذا؟.

المنهج المتبع في الدراسة: لما كان موضوع الدراسة مقارنة بين: علمين من أعلام الفقه وأصوله؛ فإنه من الطبيعي أن تسير في نطاق المنهج المقارن، يتقدمه المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي.

تعلييل الأحكام الشرعية من منظور ابن حزم وابن القيم

مفهوم التعلييل:

لغة: يقال: عل يعل وأعله: سقاه ثانية، وتعلل بالأمر: تشاغل، وتعلل به، تلهى به، وهذه علة لهذا، أي: سبب له، والشيء بين علته، وأثبتته، وقيل: هو إظهار علية الشيء، سواء كانت تامة، أو ناقصة (الزبيدي: د، ت، 44/30) يقول الجرجاني: " والصواب أن التعلييل، هو: ثبوت تقرير المؤثر لإثبات الأثر " (الجرجاني، ط1، 1403هـ/1983م. 61/1) والمعاني الأخيرة هي المناسبة لمعنى التعلييل عند الأصوليين؛ لأن معنى التعلييل عندهم: بيان علل الأحكام.

اصطلاحاً: يقصد به "بيان العلل، وكيفية استخراجها بأن يبحث المجتهد في الحادثة المستجدة عن معنى يصلح مناطاً لحكم شرعي يحكم به بناء على ذلك المعنى" (شليبي، ط، 1401هـ/1981م: ص12).

الآراء الأصولية في التعلييل:

أثارت مسألة تعلييل أحكامه تعالى جدلاً واسعاً بين علماء الشريعة: متقدمين منهم، ومتأخرين، تجاذبت فيها الآراء، وتدافعت بخصوصها الأدلة؛ لذا ظلت محلاً للخلاف بين رجال الفقه وأصوله، وإن كان الأغلب على القول بالتعلييل، وبيان ذلك: فقد ذهب فريق منهم إلى القول بالتعلييل في أحكام الشرع، وإليه ذهب أكثر الأصوليين والمتكلمين، فقالوا: إن أحكامه تعالى كلها لحكم مقصودة، وهذا " اختاره الطوفي، والشيخ تقي الدين، وابن القيم، وابن قاض الجبل، وحكاه عن إجماع السلف، وهو مذهب الشيعة والمعتزلة" (ابن النجار، ط2، 1418هـ/1997م. 312/1) لكن هذا الرأي يقابله آخر على خلافه، حيث ذهب فريق آخر إلى إنكار التعلييل في أحكام الشريعة، وأصحاب هذا الرأي رأوا أن أحكامه تعالى صادرة بمحض المشيئة، فقالوا: " فعله تعالى وتقدس، وأمره لا لعله، ولا لحكمة، وإليه ذهب كثير من الأحناف، يقول ابن النجار: " اختاره الكثير من أصحابنا، وبعض المالكية، والشافعية، وقاله الظاهرية، والأشعرية والجهمية" (ابن النجار، ط2، 1418هـ/1997م: 312/1).

وخروجاً من الخلاف جاء فريق ثالث برأي يكاد يكون توافيقاً مفاده: تقسيم أفعال الله تعالى إلى قسمين: معلل، وغير معلل "فجوزت طائفة الأمرين، قال الشيخ تقي الدين: لأهل السنة في تعلييل أفعال الله تعالى، وأحكامه قولان، والأكثر على التعلييل" (ابن النجار، ط2، 1418هـ/1997م: 313/1).

وفي محاولة توفيقية من بعض العلماء لدفع التعارض الحاصل بين هذه الآراء المختلفة في هذه المسألة، وتقريب وجهات النظر بين المختلفين فيها، فإن صاحب كتاب: (تيسير التحرير) حاول رفع الخلاف بين الفريقين، وتضييق الهوة بينهما، بقوله: " والأقرب إلى التحقيق أن الخلاف لفظي مبني على معنى الغرض، فمن فسره بالمنفعة العائدة إلى الفاعل، قال: لا تعطل، ولا ينبغي أن ينازع في هذا، ومن فسره بالعائدة على العباد، قال: تعطل، وكذلك ينبغي ألا ينازع فيه" (أمير باد شاه، د، ت: 304/3) وتأوله من المتأخرين: ابن عاشور ت1393هـ: بأنه خلاف لفظي، بقوله: " والمسألة مختلف فيها بين المتكلمين اختلافا يشبه أن يكون لفظيا؛ فإن جميع المسلمين اتفقوا على أن أفعال الله تعالى ناشئة عن إرادة واختيار، وعلى وفق علمه، وأن جميعها مشتمل على حكم ومصالح... وإنما الخلاف في أنها أتوصف بكونها أغراضا، وعلا لا غائية أم لا؟ " ثم نبه إلى أن المنكرين قد اضطروا إلى هذا الإنكار؛ فرارا من المقولات والالتزامات الاعتزالية التي تجعل القول بالتعليل مقدمة للقول بوجوب الصلاح، والأصلح على الله " (ابن عاشور: 1984م: 379/1) ومن بعده البوطي ت1435هـ الذي ذهب إلى تخريج آخر مفاده: إن التعليل المقصود في علم الكلام هو غير التعليل الأصولي الفقهي؛ ولهذا فالتعليل المنفي هناك هو غير المثبت هنا، فقال: " فالعلة التي يتحدثون عنها في علم الكلام هي العلة العقلية التي يقصدها الفلاسفة، وهي ما يوجب الشيء لذاته... ولا ريب أنه لا يصح أن ينسب هذا التعليل إلى أفعال الله تعالى بأي حال... أما مراد أهل السنة بالعلة التي يثبتونها للأحكام في بحث الأصول فهو: العلة الجعلية التي تبدو لنا كذلك، إذ جعلها الله تعالى موجبة لحكم معين، بمعنى: أنه: أناط وجوب ذلك الحكم بوجوبها" (البوطي: د، ت: 96) وانتهى إلى القول: " إذا فليس تناقض بين كلا مذهبيهم في كل من المبحثين" (البوطي: د، ت: 98) لكن الباحث لا يرى ضرورة لهذه التخريجات والتأويلات؛ لأن عبارات نفاة تعليل الأحكام الشرعية صريحة في دلالاتها، ولا تحتاج إلى هذه التأويلات والتخريجات.

أولا: موقف ابن حزم من التعليل:

أما عن موقف ابن حزم فهو من أكثر العلماء شهرة في نفي التعليل في أحكام الشرع، وأشدهم استماتة في الدفاع عن هذا الرأي في وجه خصومه، فخصص للحديث فيه بابا من كتابه: الإحكام تحت عنوان: "في إبطال القول بالعلل في جميع أحكام الدين" نفى فيه كون الأحكام الشرعية معللة، وأبطل القول بذلك، وأكد أن هذا رأي مذهبه الظاهري،

فقال: "وقال أبو سليمان، وجميع أصحابه رضي الله عنهم لا يفعل الله شيئا من الأحكام وغيرها لعلة أصلا بوجه من الوجوه..." (ابن حزم: د، ت: 583/8).

ولم يخف ابن حزم انتماءه إلى المذهب الظاهري، واعتزازه به، وإقراره بأن هذا ما يدين به مع دعوة مخالفيه إلى الأخذ به مقدما هذا الرأي يقينا غير قابل للشك، وذلك من خلال قوله: "وهذا هو ديننا الذي ندين به، وندعو عباد الله تعالى إليه، ونقطع على أنه الحق عند الله تعالى" (ابن حزم: د، ت: 583/8).

والأخطر من هذا كله أنه ادعى الإجماع على نفي التعليل في الأحكام الشرعية؛ ليضفي على رأيه هذا نوعا من القبول، ويجر القارئ إلى التسليم به، فقال: "قد ثبت الإجماع على صحة قولنا، وعلى إبطال التعليل... ولو كان التعليل حقا ما جاز وجود الإجماع بخلافه" (ابن حزم: د، ت: 583/8) وهذا ليس صحيحا لورود القول بخلافه، وهو ما أكده عدد من العلماء منهم: الشاطبي الذي قال: "والإجماع على أن الشارع يقصد بالتكليف المصالح على الجملة" (الشاطبي: ط1، 1417هـ، 1997م. 218/2) ومن بعده الأمدي ت631هـ بقوله: "إن أئمة الفقه مجمعون على أن أحكام الله تعالى لا تخلو من حكمة، ومقصود" (الأمدي: د، ت: 285/3).

لكن الباحث يرى ادعاء كلا الفريقين الإجماع على صحة ما ذهب إليه بخصوص هذه المسألة لا يمكن قبوله، ولا التسليم به؛ لأنه لا إجماع فيها على رأي بعينه، وإنما هي محل خلاف، وهو ما أكده السبكي بقوله: "وقد ادعى بعضهم الإجماع على أن الأحكام مشروعة لمصالح العباد، قال: وذلك بطريق الوجوب عند المعتزلة، أو الإحسان عند الفقهاء من أهل السنة، وهذه الدعوى باطلة؛ لأن المتكلمين لم يقولوا بتعليل الأحكام بالمصالح لا بطريق الوجوب، ولا الجواز، وهو اللائق بأصولهم، وكيف ينعقد الإجماع مع مخالفة جماهير المتكلمين، والمسألة من مسائل علمهم؟..." (السبكي: 1416هـ/1995م : 62/3).

وأمام تباين هذه النقولات بخصوص هذه المسألة ما يجعل القطع بالإجماع على رأي بعينه أمرا غير مقبول، ولا يمكن التسليم به؛ إذ إنه لا إجماع فيه على رأي بعينه، وإنما المسألة محل خلاف بين الأصوليين، وإن كان الأغلب على القول بالتعليل؛ لذا يمكن القول: إن المسألة لازالت تتجاذبها الآراء، وتتدافع بخصوصها الأدلة، ولم يحسم فيها الأمر بعد، ويبقى باب الاجتهاد فيها مفتوحا، وإن ظل الراجح في نظر الباحث القول بالتعليل في أحكامه تعالى، وهو ما عليه أغلب علماء الشريعة.

ويزكي ابن حزم مذهبه الظاهري، ويعددهم أصحاب حق في هذا بقوله: "أصحاب الظاهر فثبتوا على الجادة المثلى، وتبرؤوا إلى الله تعالى من أن يتعقبوا عليه أحكامه،

أو أن يسألوه لم فعل كذا؟ أو أن يتعدوا ... " (ابن حزم: د، ت: 606/8) وزيادة في تعزيز موقفه الرافض للتعليل، ساق عددا من العبارات وإن جاءت متنوعة في ألفاظها، فإنها اتحدت في مضمونها من ذلك قوله: " فاعلم الآن أن العلل كلها منفية عن أفعال الله تعالى، وعن جميع أحكامه البتة " (ابن حزم: د، ت: 606/8) وقوله: " واعلم أن الأسباب كلها منفية عن أفعال الله تعالى كلها، وعن أحكامه " (ابن حزم: د، ت: 606/8) وقوله في المحلى: "فمن رد إلى قياس، أو تعليل يدعيه ... فقد خالف أمر الله تعالى المعلق بالإيمان، ورد إلى غير من أمر الله تعالى بالرد إليه، وفي هذا ما فيه" (ابن حزم: د، ت: 78/1).

ويمكن أن يتوجه إنكاره للتعليل بنزعه إلى التمسك بظواهر النصوص، وفيه القياس الذي تعد العلة إحدى ركائزه؛ إذ إنه من أهل الظاهر الذي يتمسكون بظواهر النص، ولا يقولون بالتأويل، وهو ما لم يخفه ابن حزم حين زكى مذهبه، وأكد أن اتباعه على الجادة، ولعل هذا ما دفعه إلى إنكار صحة ما روي عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من تعليلات بقوله: "أن جميع الصحابة رضي الله عنهم، أولهم عن آخرهم، وجميع التابعين أولهم عن آخرهم، وجميع تابعي التابعين، أولهم عن آخرهم، ليس منهم أحد قال: إن الله تعالى حكم في شيء من الشريعة لعلة" (ابن حزم: د، ت: 602/8) ولكن قوله هذا لا يقوى أمام كثرة تواتر المروي عنهم من أخذهم بالتعليل في أحكام الشرع.

ويحذر مخالفه من أن قولهم بالتعليل يفتح الباب إلى ابتداء العلل في الأحكام بقوله: " واعلم: أنه لا يمكن أحدا منهم أن يدعي علة في شيء من الأحكام إلا أمكن لخصمه أن يأتي بعلة أخرى يدعي أن ذلك الحكم إنما وجب لها، وهذا ما لا مخلص لهم منه" (ابن حزم: د، ت: 600/8) وهو بهذا يسد باب البحث عن علل الأحكام أمام مجتهدى الأمة.

وجريا وراء إنكار التعليل يزيد من تضيقه على الباحثين عن حجج الشريعة، وعلل أحكامها، فيحرم، ويفسق كل تساؤل عن مقصد الشرع، وأسرار الشريعة فيقول: "وقد قال الله تعالى واصفا لنفسه {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: 23] فأخبر تعالى بالفرق بيننا وبينه، وأن أفعاله لا يجزيء فيها لِمَ، وإذا لم يحل لنا أن نسأله عن شيء من أحكامه تعالى، وأفعاله لِمَ كان هذا؟ فقد بطلت الأسباب جملة، وسقطت العلل البتة " (ابن حزم: د، ت: 605/8: 606) وزيادة في التضيق على خصومه يضع السؤال عن العلل، والبحث عنها في صورة منفرة للعقول حيث عدده من عمل إبليس ووسوسته بقوله: " القياس، وتعليل الأحكام دين إبليس، وأنه مخالف لدين الله تعالى ...

ونحن نبرأ إلى الله تعالى من القياس في الدين، ومن إثبات علة لشيء من الشريعة " وسمى ذلك: (بالقضية الملعونة) بقوله: "ونصب، أي: إبليس، لهم الحبال، ووسوس لهم القول بالعلل في الأحكام، فوقعوا في القضية الملعونة التي ذكرنا " وحاول جاهدا إقناع خصومه برأيه، فنفرهم من القول بالتعليل، وبالغ في ذمه، ونعت القائلين به بالعصيان لله تعالى فقال: " قوله تعالى { إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ } [هود: 107] وقوله تعالى { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء: 23] وهذه كافية في النهي عن التعليل جملة، فالمعلل بعد هذا، عاص لله " (ابن حزم: د، ت، 614/8) وختم حديثه بالتهم على مخالفيه، وتوجه إليهم بنقده اللاذع، ونعتهم بالسخف، والمجون نافيا عنهم سلامة عقولهم بقوله: "ومن تأمل كتب متأخريهم، ومناظراتهم، وتكلفهم إخراج العلل لكل حكم مختلف فيه، أو مجتمع عليه في الشريعة، كان فيه نص يعرفونه، أو لم يعرفوا فيه نصا، رأى كلاما لا يأتي بمثله سالم لدماع أصلا إلا أن يكون سالكا سبيل المجون، والسخافة." (ابن حزم: د، ت، 621/8)

تبريراته:

وفي محاولة منه لتعزيز موقفه هذا أمام خصومه، وإضفاء نوع من القبول على رأيه في التعليل يسوق جملة من التبريرات يرى فيها دعما لرأيه، ولو كانت غير منطقية، ولا مقبولة، منها: إرجاع سبب وقوع مخالفيه في القول بالتعليل إلى الاشتراك اللفظي في اللغة الذي قد يوهم السامع، ويؤدي به إلى الخطأ، والوقوع في الخطأ، بسبب سوء الفهم، فقال: " والأصل في كل بلاء وزعماء تخليط وفساد اختلاط أسماء، ووقوع اسم واحد على معاني كثيرة، فيخبر المخبر بذلك الاسم، وهو يريد أحد المعاني التي تحته، فيحمله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء، والإشكال" (ابن حزم: د، ت: 604/8).

ويحاول إيجاد تعريفات لبعض المصطلحات ذات العلاقة بمسألة التعليل؛ لتكون إلى جانبه، فأتى على العلة فعرّفها، بقوله: "هي اسم لكل صفة توجب أمرا ما إيجابا ضروريا، والعلة لا تفارق المعلول البتة" (ابن حزم: د، ت: 603/8) ومفهوم العلة هذا عند ابن حزم، الجميع متفق على إنكاره، أعني: أهل السنة، وأما التعليل كما يقصده أهل السنة، فإن ابن حزم يعترف بقدر منه، ولكنه لا يسميه: سببا؛ لذا يأتي على تعريف السبب بقوله: "السبب فهو كل أمر فعل المختار فعلا من أجله لو شاء لم يفعله... وليس السبب موجبا للشيء المسبب منه ضرورة" (ابن حزم: د، ت: 603/8) فالفرق عنده بين العلة والسبب: أن العلة موجبة ضرورة لمعلولها، بينما السبب لا إيجاب فيه، ولا

اضطرار، فيبقى فاعل السبب مختاراً، إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل و إن وجد السبب، فهو يقر بأن الشارع ربط بعض الأحكام بأسباب، لكن اعترافه بهذا النوع من السببية بين: الأحكام وأسبابها ليس على إطلاقه، بل قيده بشروط، وهو ما جعل الفرق بينه، وبين جمهور العلماء واضحاً، ويمكن إجمال تلك القيود في: " أن هذه الأسباب لا يجوز أن يقال بشيء منها إلا إذا جاء منصوصاً عليه صراحة، لا اجتهاد، ولا استنباط فيه، كما أن هذه الأسباب المنصوصة لا يجوز تعديها إلى غير محل النص، أي: لا يجوز القياس عليها، وهذا الربط المنصوص بين، بعض الأحكام، وبعض الأسباب، ليس وراءه حكمة، أو غرض أي: ليس فيه قصد إلى جلب مصلحة، أو دفع مفسدة..." (ابن حزم: د، ت، 603/8).

وأتى على الغرض فعرّفه بقوله: "وأما الغرض فهو الأمر الذي يجري إليه مفاعل، ويقصده، ويفعله" (ابن حزم: د، ت، 603/8) فهو يقصد: إنه إذا كانت بعض الأحكام الشرعية لها أسباب، والأحكام مسببات لها، فإن بعض هذه المسببات قد يكون للشارع فيها أغراض يرمي إلى تحقيقها من خلال المسببات أي: أن لها أهدافاً، ومقاصد، وكأن ابن حزم بهذا يقترب من الجمهور، ولكن تحت ضغط نزعة الظاهرية يعود إلى تضيق ذلك، فيقيده بقوله: "وأما الغرض في أفعاله تعالى وشرائعه فليس هو شيئاً غير ما ظهر منها فقط" (ابن حزم: د، ت، 606/8) فهو يعني: أنه ليست هناك أغراض، أو مقاصد يتوصل إليها عن طريق التدبير، والاستنباط، أو عن طريق الاستقراء، ويحصر هذه الأغراض في الآخرة، فيقول: يراجع: "وأما الغرض في أفعاله تعالى وشرائعه فليس هو شيئاً غير ما ظهر منها فقط، والغرض في بعضها أيضاً أن يعتبر بها المعتبرون، وفي بعضها أن يدخل الجنة من شاء إدخاله فيها، وأن يدخل النار من شاء إدخاله فيها." (ابن حزم: د، ت، 606/8، 07) ثم يعود مستدركا لينفي الأسباب، والأغراض في أحكام الله، وأفعاله، فيقول: " وكل ما ذكرنا من غرضه تعالى في الاعتبار، ومن إدخاله الجنة من شاء، ومن إدخاله النار من شاء، وتسببها ما شاء لما شاء، فكل ذلك أفعال من أفعاله، وأحكام من أحكامه لا سبب لها أصلاً، ولا غرض له فيها البتة غير ظهورها وتكوينها فقط { وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ } الأولولاً أنه تعالى نص على أنه أراد منا الاعتبار، وأراد إدخال الجنة من شاء، ما قلنا به " (ابن حزم: د، ت، 607/8) ويقر بوجود العلة، لكنه يفرق بين نوعيها: المنصوص عليه، والمستنبط، فيقول: " ولسنا ننكر وجود أسباب لبعض أحكام الشريعة، بل نثبتها، ونقول بها، لكننا نقول: إنها لا تكون أسباباً إلا حيث جعلها الله تعالى أسباباً، ولا يحل أن يتعدى بها المواضع التي نص فيها على

أنها أسباب لما جعلت أسبابا له" (ابن حزم: د، ت، 602/8) فهو يقول: بالعلة القاصرة، وهو ما يعرف عنده بالسبب، ويقبل بها في الموضوع الذي وردت فيه فقط: فيقول: "ولسنا ننكر أن يكون الله تعالى جعل بعض الأشياء سببا لبعض ما شرع من الشرائع، بل نقر بذلك، ونثبته حيث جاء به في النص" (ابن حزم: د، ت، 583/8) ويرد الثانية: وهي المستنبطة، وبعدها: تقولوا على الله تعالى متأثرا في هذا بإمام مذهبه داود الظاهري الذي قال: " فإذا نص الله تعالى أو رسوله ρ على أن أمر كذا، لسبب كذا، أو من أجل كذا، ولأن كان كذا، أو لكذا فإن ذلك كله ندري أنه جعله الله أسبابا لتلك الأشياء في تلك المواضع التي جاء النص بها فيها، ولا توجب تلك الأسباب شيئا من تلك الأحكام في غير تلك المواضع البتة" (ابن حزم: د، ت، 583/8) وأتى على مصطلح العلامة فعرّفه بقوله: " فهي صفة يتفق عليها الإنسانان، فإذا رآها أحدهما علم الأمر الذي اتفقا عليه" (ابن حزم: د، ت، 603/8) لينتهي إلى أنه قد حسم الأمر في بيان الفرق بين: العلة والسبب، وأنهما مختلفان في المعنى، وأن القول بالعلل في الأحكام يجعلنا نقول: بوجود الأصلح عليه سبحانه وتعالى، وأن القول بالعلل المستنبطة تقولوا وافترأ على الله ورسوله، بقوله: "وإذ قد بينا هذه الأسماء الأربعة، وهي: العلة والغرض والسبب والعلامة، وبيننا أن معانيها مختلفة، وأن مسمياتها شتى، وحسمنا داء من أراد إيقاع اسم العلة في الشريعة على معنى السبب، فيخرج بذلك إلا ما لا يحل اعتقاده من أن الشرائع شرعها الله تعالى لعلل أو جبت عليها أن يشرعها، أو إلى الفرية على الله تعالى في الإدعاء أنه شرع عللا لم ينص عليها هو تعالى، ولا رسوله، ولا أدنا بها" (ابن حزم: د، ت: 605/8) وينتهي إلى نتيجة مفادها: "وجملة القول إن كل شيء نص الله تعالى، ورسوله ρ ، فهو حق، وكل ما أوردوه بأرائهم مما ليس في كتاب الله تعالى، ولا في سنة رسوله، فهو باطل، وإفك ووهم" (ابن حزم: د، ت: 596/8).

موقفه من حجج مخالفيه:

استهل ابن حزم كلامه بتعهده بإيراد حجج مخالفيه واصفا إياها بأنها مجرد تمويه، وشغب فاسد، وبالرد عليها بالبراهين في ثقة تامة بأنه على صواب فيما ذهب إليه فقال: "ونحن إن شاء الله تعالى موردون مشاغب أصحاب العلل على حسب ما التزمنا لجميع خصومنا، ومبينون بحول الله واهب القوة لا إله إلا هو وعونه لنا إن شاء الله تعالى تمويههم بها، وحل شغبهم الفاسد، ثم موردون البراهين الضرورية الصادقة عن إبطال العلل جملة" (ابن حزم: د، ت: 588/8) فأتى على عدد من حججهم، وتولاه بالعرض والتحليل، والمناقشة والرد، مقتصدا في مواضع، مسهبا في آخر، وفي كل مرة ينتهي

إلى إبطالها من وجهة نظره، وسأكتفي ببعض منها، من ذلك: قوله: "واحتجوا بقوله تعالى: { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ } (الحشر: 7) وهذا أيضا لا حجة لهم فيه، والقول في هذه الآية كالقول في الآية التي ذكرنا أنفا، ولا فرق؛ لأننا قد وجدنا أموالا كثيرة لم تقسم هذه القسمة، بل قسمت على رتبة أخرى، فلو كان عليه قسمة هذا الذي أفاء الله تعالى على رسوله ρ إنما هي ألا يكون دولة بين الأغنياء، لكان ذلك أيضا علة في قسمة سائر الأموال من الغنائم وغيرها كذلك، فبطل ما توهموا، وصح أن الله تعالى أراد فيما أفاء الله تعالى على رسوله ρ من أهل القرى مما لو يوجف عليه بخيل، ولا ركاب خاصة، ألا يكون دولة بين الاغنياء منهم، فلا يتعدى بهذا الحكم هذا الموضوع، وإلا حيث نص الله تعالى عليه أيضا في قسمة خمس الغنائم، ولا مزيد، وهذا قولنا لا قولهم في إجراء العلل، وبالله تعالى نتأيد" (ابن حزم: د، ت، 590/8) وهذا يعني عنده قصر العلة على موضع ورودها، ولا يتعدى بها إلى غيره، وهو ما عبر عنه بقوله: "فصح قولنا: إن الأسباب لا يتعدى بها المواضع التي نص الله تعالى ورسوله ρ عليها، ولا يوجب في كل مكان الحكم الذي وجب من أجلها في بعض الأماكن، وسقط قولهم سقوطا لا إشكال فيه" (ابن حزم: د، ت، 594) وانتهى به إلى القطع بقصر السبب على محل وروده، وهو ما يعرف بالعلة القاصرة، وذلك من خلال قوله: "صح قولنا: إن الشيء إذا جعله الله سببا لحكم ما في مكان ما فلا يكون سببا إلا فيه وحده، لا في غيره، فهذا كل ما راموا تبديله من وجهه من آيات القرآن، وقد أريناهم بعون الله تعالى أنه كله حجة عليهم، مبطل لقولهم بالتعلييل الموجب عندهم للقياس" (ابن حزم: د، ت، 594/8) ويزيد من توسعه في هذا فيخصص له فصلا بعنوان: (في إبطال القول بالعلل) ساق فيه أدلته في وجوه خصومه مستهلا حديثه بقوله: "ونحن... شارعون في إبطال القول بالعلل في شيء من الشرائع" (ابن حزم: د، ت: 601/8) وينوع في طريقة دحضه لحجج مخالفيه، فيعرض قضاياها في أسلوب حوار في صورة سؤال وجواب، يكون فيها سائلا ومجيبا في الوقت نفسه، ومن أمثلة ذلك قوله: "فيقال لمن قال: إن أحكام الشريعة إنما هي العلل، أخبرونا عن هذه العلل التي تذكرون أهي من فعل الله تعالى وحكمه؟ أم من فعل غيره، وحكم غيره؟ أم لا من فعله تعالى، ولا من فعل غيره؟ ولا سبيل إلى قسم رابع أصلا" (ابن حزم: د، ت: 601/8) وقال: "واحتجوا بقوله تعالى: { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } النساء 160، وهذه حجة عليهم لا لهم؛ لأننا نحن نظلم من بكرة إلى المساء، ولم يحرم علينا طيبات أحلت لنا، فصح أن

الظلم ليس علة في تحريم الطبييات، ولا سببا له إلا حيث جعله الله تعالى بالنص سببا له فقط، لا فيما عدا ذلك المكان البتة" (ابن حزم: د، ت: 605/8)

ويطرح مسألة التعليل في شكل مقدمة، ويرتب عليها نتائج؛ ليصل من خلالها إلى غايته فيقول: "وإذا لم يحل لنا أن نسأله عن شيء من أحكامه تعالى وأفعاله لم كان هذا؟ فقد بطلت الأسباب جملة، وسقطت العلل البتة إلا ما نص الله تعالى عليه أنه فعل أمرا كذا لأجل كذا" (ابن حزم: د، ت، 597/8) ويؤخذ من هذا أنه يقبل بالعلة الظاهرة المنصوص عليها، ولا يعتد بالمستنبطة اجتهادا، وهو ما أكدته في أكثر من موضع من كتابه، فيحكم على العلل التي قال بها مخالفوه بأنها محض افتراءات كاذبة، حيث قال: "هذه صفة عللهم المقتراة الكاذبة، وهذا ما جاء به النص، فصح أنه لا يحل لأحد تعليل في الدين، ولا القول: بأن هذا سبب هذا الحكم إلا أن يأتي به نص فقط" (ابن حزم: د، ت، 597/8).

أدلته في نفي التعليل:

بعد أن استعرض ابن حزم أدلة مخالفيه على القول بالتعليل، وتوسع في مناقشتها، وحاول دحضها، ولو كان على حساب النص، انتقل إلى إيراد أدلته على نفي التعليل في أحكامه تعالى، فخصص فصلين: الأول: بعنوان: فصل في إبطال القياس، والثاني: بعنوان: فصل فيما ورد من القرآن من النهي عن القول بالعلل، افتتح حديثه بخاتمة ما توصل إليه عند مناقشته لحجج مخالفيه، فقال: "هذا كل ما شغبوا به قد بينا عواره، ولا حاضمه... ونحن الآن... شارعون في إبطال القول بالعلل في شيء من الشرائع" (ابن حزم: د، ت، 601/8).

ثم شرع في سوق ما رآه داعما لرأيه، فبدأ في طرح المسألة بطريقة حوارية في صورة سؤال وجواب، كان فيها سائلا ومجيبا، من ذلك قوله: "فيقال لمن قال: إن أحكام الشريعة إنما هي لعل، أخبرونا عن هذه العلل التي تذكرون أهي من فعل الله تعالى وحكمه، أم من فعل غيره، وحكم غيره؟ أم لا من فعله تعالى، ولا من فعل غيره؟ ولا سبيل إلى قسم رابع أصلا، فإن قالوا: من فعل غير الله، ومن غير حكمه، جعلوا ههنا خالفا غيره، وفاعلا للحكم غيره، وجعلوا فعل ذلك الفاعل موجبا على الله تعالى أن يفعل ما فعل، وأن يحكم بما حكم به، وهذا شرك مجرد، وكفر صريح، وهم لا يقولون ذلك، فإن قالوا: ليست من فعله، ولا من فعل غيره، أوجبوا أن في العالم أشياء لا فاعل لها، أو أنهم هم الحاكمون على الله تعالى بها، وهم الذين يطلون ويحرمون، ويقضون على الباري عز وجل، وهذا كفر مجرد، ومذهب أهل الدهر، وهم لا يقولون ذلك، فإن قالوا:

بل هي من فعل الله عز وجل، وحكمه، قلنا لهم: أخبرونا عنكم أفعالها الله تعالى لعلها أم فعلها لغير علة؟ فإن قالوا: فعلها تعالى لغير علة، تركوا أصلهم، وأقروا أنه تعالى يفعل الأشياء لا لعل، أو قيل: لهم أيضا ما الذي أوجب أن تكون الأحكام الثواني لعل، وتكون الأفعال الأول التي هي علل هذه الاحكام لا لعل؟ وهذا تحكم بلا دليل، ودعوى ساقطة لا برهان عليها، وإن قالوا: بل فعلها تعالى لعل آخر، سئلوا في هذه العلة أيضا كما سئلوا في التي قبلها، وهكذا أبدا فلا بد لهم ضرورة من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما ان يفتقروا في أفعال ما، فيقولون: إنه فعلها لغير علة، فيكونون بذلك تاركين لقولهم الفاسد: إنه تعالى لا يفعل شيئا إلا لعل، أو يقولون بمفعولات لا نهاية لها، وبأشياء موجودة لا أوائل لها، وهذا كفر وخروج عن الشريعة بإجماع الأمة، وقبح الله قولاً لا يضطر قائله إلى مثل هذه... فبطل قولهم في العلة، وصح قولنا: إن الله تعالى يفعل ما يشاء لا لعل أصلاً بوجه من الوجوه بهذا البرهان الضروري الذي لا انفكك عنه" (ابن حزم: د، ت، 601/8).

وينتهي إلى عدم إقراره بعلية أفعاله تعالى، وزيادة في تأكيد صحة قوله يسوق شاهداً آخر فيقول: "إن الشدة، والإسكار لو كانا علة لتحريم كانت الخمر حراماً مذ خلقها الله تعالى، فالخمر لم تنزل مذ خلقها الله تعالى شديدة مسكرة، وقد كانت حلالاً في الإسلام سنين، وهي على الصفة، هي الآن لم تبدل، ولا حدثت لها حال لم تكن قبل ذلك، فبطل بهذا أن تكون الشدة علة التحريم" (ابن حزم: د، ت، 609/8) انتقل بعدها إلى إيراد عدد من الآيات يراها شاهدة له، فيستهل حديثه بقوله: " ونحن موردون إن شاء الله تعالى ما في القرآن من النهي عن القول بالعلل في أحكام الله عز وجل وشرائعه فكتاب الله تعالى هو الحق " (ابن حزم: د، ت، 613/8) ثم يورد قوله تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } الأنعام: 107، وقوله تعالى: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ { (الأنبياء: 23)، ويعقب بقوله: " وهذه كافية في النهي عن التعليل جملة، فالمعلل بعد هذا عاص الله عز وجل، وبالله نعوذ من الخذلان " (ابن حزم: د، ت، 614/8) ويورد قوله تعالى: { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } النساء 160، ثم يعقب عليه بقوله: " فهم ظلموا فحرمت عليهم، ونحن نظلم فلم تحرم علينا الطيبات التي أحلت لنا، وقال الله إننا سنركب سنن أهل الكتاب لو دخلوا جحر ضب لدخلناه، فصح أننا ظلمنا كظلمهم، ولم يحرم علينا ما حرم عليهم، فبطل التعليل جملة؛ إذ لو كان ظلمهم علة التحريم، لوجب أن يكون ظلمنا علة فينا لمثل ذلك، فلما لم يكن هذا كذلك، علمنا أن الله تعالى جعل ظلمهم سبباً لأن حرم عليهم ما حرم، ولم يجعل ظلمنا سبباً لأن يحرم علينا مثل ذلك، فصح أنه

يفعل ما يشاء في مكان ما من أجل شيء ما، ولا يفعل ذلك في مكان آخر من أجل مثل ذلك الشيء بعينه، وهذا بطلان ما ادعاه خصومنا من علل القياس نصا " (ابن حزم: د، ت، 615/8) وأورد قوله تعالى: { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } (طه: 12)، ثم عقب عليه بقوله: " فكان كون موسى عليه السلام بالوادي المقدس سببا لخلع نعليه، ونحن نكون بذلك الوادي، وبكل مكان مقدس كمكة، والمدينة، وبيت المقدس، ولا يلزمنا خلع نعالنا، ولو كان دخول الوادي المقدس علة للخلع للزمنا ذلك " (ابن حزم: د، ت، 621/8).

ثانيا: ابن القيم:

أما ابن القيم فقد انحاز إلى صف القائلين بالتعليل، مقرا بقيمة هذا العلم، ومكانته بين علوم الشريعة، فعده من أشرف فروعها، وأنه على نوعين: الواضح الجلي، وهو: ما كان في متناول عوام الأمة، وخفي لا يدرك كنهه إلا خواصها، بقوله: " فإن إدراك الصفة المؤثرة في الأحكام على وجهها، ومعرفة المعاني التي علق بها الأحكام، من أشرف العلوم، فمنه الجلي الذي يعرفه أكثر الناس، ومنه الدقيق الذي لا يعرفه إلا خواصهم " (ابن القيم: 1973م. 47/2) وقطع بأن الشارع قد بين علل الأحكام، وحكمها على تنوعها، بقوله: " لهذا يذكر الشارع العلة، والأوصاف المؤثرة، والمعاني المعتمدة في الأحكام القدريّة، والشرعية، والجزائية؛ ليدل بذلك على تعلق الحكم بها أين وجدت، واقتضائها لأحكامها، وعدم تخلفها عنها إلا لمانع يعارض اقتضاءها، ويوجب تخلف أثرها عنها " (ابن القيم: 1973م، 196/1).

وفي وقت اكتفى فيه ابن حزم بتخصيص بايين من كتابه: (الإحكام) لمعالجة المسألة، مع تعرضه لبعض جزئياتها الفقهية في كتابه المحلى، فإن ابن القيم كان أكثر توسعا في العرض، وأشد عمقا في التحليل، وأقوى حجة في الاستدلال، فخصص لها مساحة في أغلب مصنّفاته، إن لم يكن في جميعها، بخاصة كتابيه: (شفاء العليل) الذي كان الأوفر حظا من غيره، حيث خصص منه بايين بعنوان: في استيفاء شبه النافين للحكمة، والتعليل، وذكر الأجوبة عنها) أتى فيهما على عرض شبه نفاة التعليل وأدلتهم، وتولاه: تحليلا ومناقشة، وأبطل المخالف منها لما عليه أهل السنة، وكذلك كتابه: (إعلام الموقعين) حيث خصص فيه فصولا تحت عناوين متنوعة منها: هل تحيط النصوص بحكم جميع الحوادث؟ " و" جاء القرآن بتعليل الأحكام " و" الرد على الفرق الثلاث... إلخ، وجاء باقي حديثه عن هذه المسألة موزعا تحت عناوين متنوعة في مصنّفاته الأخر، منها: كتابه: مفتاح السعادة، ومدارج السالكين، والصواعق المرسلّة، وزاد

المعاد، وغيرها، وهو ما يستفاد من إحالته للقارئ في بعض المواضع لتلك المصنفات عند حديثه فيما يخص هذه المسألة، من ذلك قوله: " ولهذا الأصل لوازم وفروع كثيرة فاسدة، وقد ذكرناها في كتابنا الكبير المسمى، مفتاح دار السعادة ومطلب أهل العلم والإرادة، وبيننا فساد هذا الأصل من نحو ستين وجهاً، وهو كتاب بديع في معناه... وذكرناه أيضاً في كتابنا المسمى: سفر الهجرتين وطريق السعادتين" (ابن القيم: ط3، 1416هـ/1996م. 112/1) وكذلك قوله: "وقد بينا فساد قولهم هذا... في كتابنا المسمى: قرة عيون المحبين، وروضة قلوب العارفين" (ابن القيم: ط3، 1416 هـ /1996م: 113/1) إلا أن هذا التوسع والشمولية في معالجته للمسألة، وإن ميزه عن أغلب سابقه ممن تناولوا هذا الموضوع بالبحث والدراسة، وأكد تفوقه على أكثرهم، إلا أن الطريقة التي سلكها في المعالجة قد ترتب عليها تكرار كلامه فيها، وهذا قد يكون سبباً في إرباك القارئ، وتشنت ذهنه، وهو ما تنبه إليه ابن القيم نفسه، وأقر به، وحاول تبريره بالحاجة والضرورة، بقوله: " ولا يستكثر تكرار هذا الكلمات من يعلم شدة الحاجة إليها، وضرورة النفوس إليها، فلو تكررت فالحاجة إليها في محل الضرورة " (ابن القيم: ط2، 1394هـ. 112/1).

وقد حاول في أغلب مصنفاته استفراغ جهده في معالجة كليات هذه المسألة وجزئياتها، مقتصداً في مواضع، مسهباً في آخر، جامعاً في منهجيته بين: الوصف والتحليل، وقد حاول دفع شبه مخالفيه، وإبطالها من وجهة نظره، وفي كل مرة ينتهي إلى إثبات وقوع التعلييل في أحكامه تعالى، جامعاً ما لديه من آليات وأدلة: نقلية وعقلية؛ في محاولة منه لإقناع خصومه للأخذ بالتعلييل، فكان أكثر توسعاً من سابقه في العرض، وأدق عمقا في التحليل، وأقوى حجة في الاستدلال، وإن تقاربا في منهجية البحث والدراسة.

وقد وضع للتعلييل تعريفاً مختصراً، فقال: " والتعلييل وصف مناسب لا يقبل الإلغاء، ولا المعارضة" (ابن القيم: 1973م. 357/2) وعزز من أهميته، وأثره في بناء الأحكام، فجعله قائماً مقام الشرط، فقال: " والتعلييل يجري مجرى الشرط " (ابن القيم: 1973م، 11/4) وفي الوقت نفسه حذر من خطورته؛ إذ إن عقول الأصوليين والفقهاء، قد تحيرت فيه، فتباينت آراؤهم بخصوصه، فقال: "وهو الموضع الذي حير الألباب، والعقلاء، وافترق الناس لأجله فرقا شتى" (ابن القيم: د، ت، 284/1) وانطلق من حقيقة مسلم بها لدى القائلين بالتعلييل، أن الوحي بنوعيه يصرح بالتعلييل في مواضع كثيرة، وبطرق متنوعة، وإن صعب حصرها، بقوله: " القرآن وسنة رسول الله مملوآن من

تعليل الأحكام بالحكم والمصالح، وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن، والسنة في نحو مائة موضع، أو مائتين لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة" (ابن القيم: د، ت، 22/2).

ويقر أن أحكام الشريعة غايتها جلب مصالح الخلق، ودفع المفسد عنهم، وهو ما لا ينكره إلا من لم يتدبر معاني النصوص القرآنية، فقال: "فالقرآن مملوء من أوله إلى آخره بذكر حكم الخلق والأمر، ومصالحهما ومنافعهما، وما تضمناه من الآيات الشاهدة الدالة عليه، ولا يمكن من له أدنى اطلاع على معاني القرآن إنكار ذلك" (ابن القيم: د، ت، 23/2) وأن تحصيلها للخلق، هو من وجوه بر الله بعباده، وإحسانه إليهم، ورأها تفضلا منه، وإحسانا، لا واجبا عليه، مبينا مراتب المصالح المطلوب تحصيلها: تقديما وتأخيرا، إذا تزامت، وكذلك المفسد المأمور اجتنابها إذا تزامت، وهذا أمره لا يدركه إلا من تضرع في علوم الشريعة، فقال: " وهذا شأن الحكيم اللطيف الخبير البر المحسن، وإذا تأملت شرائع دينه التي وضعها بين عباده، وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة، أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزامت قدم أهمها وأجلها، وإن فاتت أدناها، وتعطيل المفسد الخالصة، أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزامت عطل أعظمها فسادا، باحتمال أدناها، وعلى هذا وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه دالة عليه، شاهدة له بكمال علمه، وحكمته، ولطفه بعباده، وإحسانه إليهم، وهذه الجملة لا يستريب فيها من له ذوق من الشريعة، وارتضاع من ثديها، وورود من صفو حوضها" (ابن القيم: د، ت، 22/2).

ونبه إلى حقيقة تضافر القرآن والسنة في لفت انتباه الخلق إلى وجوه الحكم التي قصد الشارع تحصيلها لهم في شتى أوامره ونواهيه، فقال: " والقرآن وسنة رسول الله مملوآن من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح، وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع، أو مائتين لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة... " (ابن القيم: د، ت، 22/2).

وكي يزيد من الترغيب في الإقرار بالتعليل، ينتهي إلى توجيه القارئ — وإن كان بطريقة غير مباشرة — إلى أن نصوص الشريعة ناطقة بالتعليل، بقوله: " وجميع مسائل الشريعة كذلك آيات بينات، ودلالات واضحات، وشواهد ناطقات، بأن الذي شرعها له

الحكمة البالغة، والعلم المحيط، والرحمة، والعناية بعباده، وإرادة الصلاح لهم، وسوقهم بها إلى كمالهم، وعواقبهم الحميدة " (ابن القيم: د، ت، 24/2).

وحتى يعزز من ثقة المتلقي في هذه الحقيقة، ويجعله أكثر اطمئنانا إليها، لفت انتباهه إلى ضرورة تأمله النصوص الشرعية، ففيها الدلالة: تصريحاً وتلميحاً، على أن ما حوته من أوامر ونواه، فالحكمة والمصلحة مقصد من مقاصدها، وهو ما عناه بقوله: " وإذا تأملت الشريعة التي بعث الله بها رسوله حق التأمل، وجدتها من أولها إلى آخرها شاهدة بذلك، ناطقة به" (ابن القيم: د، ت، 23/2) ثم أتى على بيان الصلة الوثيقة بين: العلة والحكمة، فقال: " لهذا يذكر الشارع العلة، والأوصاف المؤثرة، والمعاني الاعتبارية في الأحكام القدريّة، والشرعية والجزائية؛ ليدل بذلك على تعلق الحكم بها أين وجدت، واقتضائها لأحكامها، وعدم تخلفها عنها إلا لمانع يعارض اقتضاءها، ويوجب تخلف أثرها عنها" (ابن القيم: 1973م، 96/1).

وفي وقت توقف فيه ابن حزم بالعلة عند محل ورودها، ولم يتعد بها إلى موضع آخر، وهو ما يعرف عند الأصوليين: بالعلة القاصرة، فإن ابن القيم لا يرى ذلك، وذهب إلى القول بتعديتها، وهو ما يعرف: بالعلة المتعدية، مستندا إلى فعله ρ ، وهو ما يؤخذ من قوله: " وقد ذكر النبي ρ علل الأحكام والأوصاف المؤثرة فيها؛ ليدل على ارتباطها بها، وتعديها بتعدي أوصافها وعللها" (ابن القيم: 1973م، 198/1) وأورد لذلك شواهد، منها: أن النبي ρ قال له عمر: (صنعت اليوم يا رسول الله أمراً عظيماً، قبلت وأنا صائم، فقال له رسول الله ρ : أرأيت لو تمضت بماء، وأنت صائم؟ فقلت: لا بأس بذلك، فقال رسول الله ρ : فصم) وعقب بقوله: " ولولا... أن المعاني، والعلل مؤثرة في الأحكام: نفيًا وإثباتًا، لم يكن لذكر هذا التشبيه معنى، فذكره؛ ليدل به على أن حكم النظير حكم مثله، وأن نسبة القبلة التي هي وسيلة إلى الوطء، كنسبة وضع الماء في الفم الذي هو وسيلة إلى شربه، فكما أن هذا الأمر لا يضر، فكذلك الآخر" (ابن القيم: 1973م، 198/1).

أدلته في إثبات التعليل:

أكد ابن القيم تضافر الوحي بنوعيه: المتلو وغير المتلو في إثبات حقيقة تعليل أحكامه تعالى، فقال: " أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى، ومصلحة، وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة، لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه، وكلام رسوله ρ على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها" (ابن القيم: ط،

1398هـ/1978م، 1/190) ولينبه على الترابط الوثيق بينهما، ويجعل المتلقي على يقين من ذلك، أحاله إلى مكان وجود ذلك، وأمره بالتفكير والتدبر فيه، بقوله: "والقرآن وسنة رسول الله مملوآن من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح، وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الإحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة" (ابن القيم: د، ت، 2/22) وليجعل اليقين بتعليل الأحكام الشرعية قاطعا، ويدفع إلى الأخذ به، مع قيد التروي، والتأمل في فهم النصوص، ينتقل إلى الاستدلال على ذلك من القرآن الكريم، محيلا إياه على مواضعها، مفصلا القول في مسلك القرآن في بيان علل أحكامه، وهو ما يعرف: بمسلك النص، فقال: "وقد جاء التعليل في الكتاب العزيز بالباء تارة، وباللام تارة، وبأن تارة، وبمجموعهما تارة، وبكي تارة، ومن أجل تارة، وترتيب الجزاء على الشرط تارة، وبالفاء المؤذنة بالسببية تارة، وترتيب الحكم على الوصف المقضي له تارة، وبلما تارة، وبأن المشددة تارة، وبلعل تارة، وبالمفعول له تارة " (ابن القيم: 1973م، 1/197) وأورد لذلك شواهد منها: قوله: " واللام كقوله: { ذَلِكَ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (المائدة: 97)، وأن كقوله: { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا } (الأنعام: 156)، ثم قيل: التقدير لئلا تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا، وأن واللام كقوله: { لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُلِ } (النساء: 165)، وغالب ما يكون هذا النوع في النفي فتأمله" (ابن القيم: 1973م، 1/197).

وانتقل بالمتلقي إلى الاستدلال من السنة، مبينا وجهها من وجوه بيانها للقرآن، فقال: إن "النبى ρ أول من بين العلل الشرعية، والماخذ، والجمع والفرق، والأوصاف المعتبرة، والأوصاف الملغاة" (ابن القيم: د، ت، 4/127) مؤكدا أنه ρ قد بين العلاقة الوثيقة بين: العلة والحكمة، واستشهد لذلك، فقال: "وقد ذكر النبي ρ علل الأحكام والأوصاف المؤثرة فيها ليدل على ارتباطها بها، وتعيدها بتعدي أوصافها، وعللها كقوله: ... (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر) (البخاري: 1ط، 1422هـ، 8/54) وقوله: (إنما نهيتكم من أجل الدافة) (مسلم: د، ت، 3/1561) ... " (ابن القيم: 1973م، 1/152) ويكشف عن طريقته ρ في تقريب الأحكام وعللها، وحكمها إلى الأذهان بذكر نظائرها، فقال: "وقد قرب النبي ρ الأحكام إلى أمته بذكر نظائرها، وأسبابها، وضرب لها الأمثال" (ابن القيم: 1973م، 1/198) واستشهد لذلك، بقول عمر للنبي ρ: (صنعت اليوم يا رسول الله أمرا عظيما، قبلت وأنا صائم، فقال له رسول الله ρ: أرأيت لو

تضمنت بماء وأنت صائم؟ فقلت: لا بأس بذلك، فقال رسول الله ﷺ (فصم) (النسائي: ط1، 1421هـ/2001م. 293/3) وعلق على ذلك بقوله: "ولولا... أن المعاني والعلل مؤثرة في الأحكام: نفيًا وإثباتًا لم يكن لذكر هذا التشبيه معنى، فذكره؛ ليدل به على أن حكم النظر حكم مثله" (ابن القيم: 1973م، 1199) وأورد عددا من أحاديثه ﷺ الدالة على تعليله للأحكام، منها: قوله: "(إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) (المقدسي: ط3، 1420هـ/2000م، 118/12) ذكره تعليلا لنهيه عن نكاح المرأة على عمتها وخالتها" (ابن القيم: 1973م، 198/1) ثم انتقل إلى الاستدلال من أفعال الصحابة، فقال في مسألة جواز إجارة الأشجار، أو عدم جوازه، فقال بعد أن نقل رأي شيخه ابن تيمية القاضي بالجواز: "وبه يتبين أن الصحابة أئمة، وأعلمهم بالمعاني المؤثرة في الأحكام، ولم ينكر أحد من الصحابة على عمر رضي الله عنه، فهو إجماع منهم" (ابن القيم: ط2، 1395هـ/1975م، 7/2، 8) واستند إلى الإجماع على تعليل أحكامه تعالى، مع الإشارة إلى أنه لا تعارض بين: المنقول الصحيح، والمعقول الصحيح، فقال: "وعليه سلف الأمة، وأئمتها، والفقهاء المعتبرون من إثبات الحكم، والأسباب، والغايات المحمودة في خلقه سبحانه، وأمره، وإثبات لام التعليل، وباء السببية في القضاء، والشرع كما دلت عليه النصوص مع صريح العقل، والفطرة، واتفق عليه الكتاب والميزان" (ابن القيم: 1973م، 336/1) وقوله في موضع آخر: "وأهل التحقيق من الأصوليين، والفقهاء، والمتكلمين فيثبتون... الحكمة المقصودة بالفعل في أفعاله تعالى، وأوامره" (ابن القيم: د، ت، 43/2).

واستدل من جهة المعقول فقال: "فلو كانت أفعاله معطلة عن الحكم والغايات المحمودة، لزم النقص، وهو محال، وإلا فالحق أن جميع أفعاله، وشرعه لها حكم، وغايات لأجلها شرع، وفعل، وإن لم يعلمها الخلق على التفصيل، فلا يلزم من عدم علمهم بها انتفاؤها في نفسها" (ابن القيم: ط 1398هـ/1978م، 214/1) وقوله في موضع آخر: "أن يقال: العقل الصريح يقضي بأن من لا حكمة لفعله، ولا غاية يقصدها به، أولى بالنقص ممن يفعل لحكمة كانت معدومة، ثم صارت موجودة في الوقت الذي اقتضت حكمته إحداث الفعل فيه، فكيف يسوغ لعاقل أن يقول: فعله للحكمة يستلزم النقص، وفعله لا حكمة لا نقص فيه؟" (ابن القيم: ط 1398هـ/1978م، 209/1) وفي باب رده على نفاة التعليل، قال: "إن إثبات الحكمة كمال كما تقدم تقريره، ونفيه نقص، والأمة مجمعة على انتفاء النقص عن الله، بل العلم بانتفائه عن الله تعالى من أعلى العلوم

الضرورية المستقرة في فطر الخلق، فلو كانت أفعاله معطلة عن الحِكم، والغايات المحمودة، لزم النقص، وهو محال " (ابن القيم: ط 1398هـ/1978م، 207/1).

موقفه من مخالفه:

استمات ابن القيم في الدفاع عن رأيه في إثبات التعليل في أحكامه تعالى، وأفرد له مساحة واسعة في أغلب مصنفااته، حاول فيها قطع السبيل على منكريه، وإثبات أن الحكمة، والتعليل تنزل منزلة الحاجة والضرورة، وهو ما دفعه إلى تأليف كتابه: (شفاء العليل) وقد صرح بذلك في مقدمته، بقوله: "ولما كانت معرفة الصواب... والحكمة والتعليل واقعة في مرتبة الحاجة، بل في مرتبة الضرورة، اجتهدت في جمع هذا الكتاب، وتهذيبه وتحريره، وتقريبه... وسميته: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل" (ابن القيم: ط 1398هـ/1978م، 5/1) عرض فيه شبهة نفاة الحكمة والتعليل، وتولاها: شبهة شبيهة، عرضا وتحليلا، ومناقشة، وتوسع في هذا، جامعا ما توافر لديه من آليات: نقلية وعقلية؛ لإبطال تلك الشبه (ابن القيم: ط 1398هـ/1978م، 206/1) فاستهل حديثه بنفي العبث عنه تعالى في خلقه، وأن القرآن والسنة شاهدان باستحالة ذلك عليه، فقال: " أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئا عبثا، ولا لغير معنى، ومصلحة، وحكمه هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة، لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه، وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها " (ابن القيم: ط 1398هـ/1978م، 190/1).

وزاد هذا الأمر بيانا في كتابه أعلام الموقعين حيث فصل القول في الفرق المنكرة للتعليل، وجعلها ثلاثا، فقال: " والناس انقسموا في هذا الموضوع إلى ثلاث فرق: فرقة قالت: إن النصوص لا تحيط بأحكام الحوادث... الثانية: زعموا أن الشارع لم يشرع شيئا لحكمة أصلا، ونفوا تعليل خلقه وأمره... الثالثة: نفوا الحكمة والتعليل والأسباب " (ابن القيم: 1973م، 33/1) وأتى على أقوال كل فرقة منها، وكفاها تحليلا ومناقشة، وإبطالا، من ذلك اتيناه على أحد استدلالاتهم على نفي التعليل والحكمة، وهو قوله تعالى: { لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } متساؤلا عن محل الاستدلال فيه، فقال: " فأين في هذا ما يدل على إبطال التعليل بوجه من الوجوه؟ ولكن أهل الباطل يتعلقون بألفاظ نزلوها على باطلهم لا تنزل عليه، وبمعان متشابهة يشتهب فيها الحق بالباطل، فعمدتهم المتشابهة من الألفاظ، والمعاني، فإذا فصلت، وبينت، يتبين أنها لا دلالة فيها " (ابن القيم: ط 1398هـ/1978م، 26/7) وانتهى إلى أنه لا دلالة في الآية على ما قصده هؤلاء، ونبه

إلى أن أصحاب هذا القول قد حاولوا الاستفادة من متشابه القرآن؛ ليصلوا من خلاله إلى مقصدهم، بتأويلات باطلة لا يثبتها نقل، ولا يقر بها عقل، فقال: " فالطوائف الثلاث محجوبون عنهم بما عندهم من الشبه الباطلة، والقواعد الفاسدة، ما عندهم وراء ذلك شيء، قد فرحوا بما عندهم من المحال، وقنعوا بما ألفوه من الخيال، ولو علموا أن وراءه ما هو أجل منه، وأعظم لما ارتضوا بدونه، ولكن عقولهم قصرت عنه، ولم يهتدوا إليه بنور النبوة، ولم يشعروا به، ليجتهدوا في طلبه" (ابن القيم: ط3، 1416هـ/1996م، 11/1) ويخرج من هذا بحكم مفاده أنهم بمنأى عن أهل السنة، موضحا موقف السلف من هذه الأقوال، وأصحابها، بقوله: "من تأمل كلام سلف الأمة، وأئمة أهل السنة رآه يمكر قول الطائفتين المنحرفتين عن الوسط" (ابن القيم: 1973م، 336/1) وانتهى إلى أن جميع أقوالهم مردودة بالنقل والعقل، وأن الحق ما عليه أهل الحق، وهم سلف الأمة، بقوله: " النصوص مبطلّة لقول هؤلاء، كما هي مبطلّة لقول أولئك، وأدلة المعقول والفترة أيضا تبطل قول الفريقين، وتبين لمن له قلب ولب مقدار قول أهل السنة، وهم الفرقة الوسط" (ابن القيم: ط3، 1416هـ/1996م، 116/1).

ثم مدح أهل السنة، وأثنى عليهم، ونعتهم بأنهم أهل عقول راجحة، وزكاهم، قائلا: " الصنف الرابع: فهم الطائفة المحمدية الإبراهيمية، أتباع الخليلين، العارفون بالله وحكمته في أمره وشرعه وخلقه، وأهل البصائر في عبادته، ومراده بها" (ابن القيم: ط3، 1416هـ/1996م، 117/1) وأكد أنها طائفة مقرة بالحق؛ إذ إنها وافقت الآخرين فيما كان موافقا للحق، وطرحت عليهم ما كان خلافه، مقارنا بينها وبين غيرها من الأخر الضالة بقوله: " فهدى الله الطائفة الرابعة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه... فأمّنوا بالكتاب كله، وأقرّوا بالحق جميعه، ووافقوا كل واحدة من الطائفتين على ما معها من الحق، وخالفوهم فيما قالوه من الباطل... فهذه الطائفة هم أهل البصر التام، والأولى لهم العمى المطلق، والثانية، والثالثة كل طائفة منهما لهم عين عمياء..." (ابن القيم: ط2، 1394هـ، 112/1).

ويبدو أنه استشعر التطويل الممل في هذا، فحاول تداركه، فعاد وضيق دائرة الخلاف، فحصره في فرقتين اثنتين بضم إحداهم إلى الأخرى، وذلك أثناء حديثه عن القياس، إذ إن العلة والحكمة من مرتكزاته، فقال: " فإن الناس فيه: طرفان ووسط، فأحد الطرفين من ينفي العِلل والمعاني والأوصاف المؤثرة... ولا يثبت أن الله سبحانه شرع الأحكام لعلل ومصالح، وربطها بأوصاف مؤثرة فيها مقتضية لها طردا وعكسا... وقوم أفرطوا فيه، وتوسعوا جدا، وجمعوا بين الشيبين اللذين فرق الله بينهما بأدنى جامع من

شبهه، أو طرد، أو وصف يتخيلونه علّةً يمكن أن يكون علتها، وأن لا يكون، فيجعلونه هو السبب الذي علق الله ورسوله عليه الحكم بالخرص، والظن، وهذا هو الذي أجمع السلف على ذمه " (ابن القيم: 1973م، 200/1) ويقصد بهذا أن العلماء قد انقسموا في هذا إلى ثلاث فرق: الأولى: فرطوا في ذلك، فتركوا القول بالتعليل في أحكام الله، والثانية: أفرطوا فيه، فتوسعوا فيه، حتى أدخلوا فيه ما ليس منه، وفرقة توسطت فلا فرطت، ولا أفرطت فيه، ويعني بهم: علماء سلف الأمة، وينبه إلى خطورة الاضطراب الحاصل بين العلماء في هذه المسألة، وأثره على المتلقي، فيقول: " وطالب الحق إذا رأى ما في هذه الأقوال من الفساد والتناقض والاضطراب، ومناقضة بعضها لبعض، ومعارضة بعضها لبعض، بقي في الحيرة، فتارة يتحيز إلى فرقة منها، له ما لها، وعليه ما عليها، وتارة يتردد بين هذه الفرق... وتارة يلقي الحرب بينهما، ويقف في النظارة " (ابن القيم: 1973، 336/1) وأرجع السبب في هذا إلى: " خفاء الطريقة المثلى، والمذهب الوسط الذي ... عليه سلف الأمة، وأئمتها، والفقهاء المعترفون من إثبات الحكم، والأسباب، والغايات المحمودة في خلقه، وأمره " ابن القيم: 1973م، 336/1) وحذر من مخاطر العدول عن اعتبار التعليل في أحكامه تعالى، بقوله: " فمن أهدر الأمارات والعلامات في الشرع بالكلية، فقد عطل كثيرا من الأحكام، وضيع كثيرا من الحقوق " (ابن القيم: د، ت، 145/1) وحتى يجعل المتلقي على بينة من هذا الخلاف، والتعامل معه وفق معطيات: النقل والعقل، أتى بتخريج شيخه ابن تيمية مفاده أن لفظ الشرع في عصره — أي: عصر المؤلف: " صار لفظ غير مطابق لمعناه الأصلي، بل لفظ الشرع في هذه الأزمنة ثلاثة أقسام: الشرع المنزل: وهو الكتاب والسنة، واتباع هذا الشرع واجب... الثاني: الشرع المُتأول: وهو مورد النزاع، والاجتهاد بين الأئمة... والثالث: الشرع المبدل: مثل ما يثبت بشهادات الزور، ويحكم فيه بالجهل والظلم، أو يؤمر فيه بإقرار باطل؛ لإضاعة حق " (ابن القيم: د، ت، 5/1).

موقفهما من المصلحة وأثرها في الأحكام

أولا: ابن حزم:

ويقودنا الحديث هنا إلى التطرق إلى مسألة أخرى ذات علاقة وثيقة بمسألة التعليل، وهي: المصلحة التي تعد هي الأخرى محل خلاف (ابن النجار: ط2، 1418هـ/1997م، 433/4) ومع أن التفرد بالأخذ بها منسوب إلى المالكية دون غيرهم، فإن عددا من العلماء لا يرون ذلك صحيحا، وإنما هي في جميع المذاهب (القرافي: ط1، 1393هـ/1973م، 394/1) وإن كان المالكية أكثر اشتهاها بها.

وابن حزم لا يقر بها دليلا على الأحكام لا بالاستقلالية، ولا بالتبعية، ولعل هذا ما شجعه على إنكار التعليل، وقاده إلى توظيف عدد من الآيات القرآنية في غير ما سبقت له حتى يجعلها إلى جانبه؛ ليصل من خلالها إلى إثبات عدم تعلق أفعاله تعالى بالمصالح، من ذلك قوله: "أما قولهم: إنه تعالى يفعل الأشياء لمصالح عباده، فإن الله تعالى أكذبهم بقوله: { وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } [الإسراء: 82] فليت شعري أي مصلحة للظالمين في إنزال ما لا يزيدهم إلا خسارا؟ بل ما عليهم في ذلك إلا أعظم الضرر، وأشد المفسدة، ولقد كان أصلح لهم لو ينزل، وما أراد الله تعالى بهم مصلحة قط" (ابن حزم: د، ت، 624/8).

ويطرح المسألة في شكل سؤال وجواب فيقول: " ألمصلحة جميع عباده فعل تعالى ما فعل أم لمصلحة بعضهم؟ فإن قالوا: لمنفعة جميعهم كابروا، وأكذبهم العيان؛ لأن الله تعالى لم يبعث قط موسى عليه السلام لمنفعة فرعون، ولا لمصلحته، ولا بعث محمدا p لمنفعة أبي جهل، ولا لمصلحته، بل لمضرتهما؛ وفساد آخرتهما ودياهما، وهكذا القول في كل كافر لو لم يبعث الله من كذبوه من الأنبياء لكان أصلح لديناهم وآخرتهم، وأيضا فلا شيء في العالم فيه مصلحة لإنسان إلا وفيه مضرة لآخر، فليت شعري ما الذي جعل الصلاح على زيد بفساد عمرو وحكمه، وكل من فعل هذا بيننا، فهو سفيه، بل هو أسفه السفهاء، والله تعالى يفعل كل ذلك، وهو أحكم الحكماء فيلزمهم على قياسهم الفاسد، وأصلهم الفاضح، أن يسفها ربهم تعالى؛ لأنه عز وجل يفعل ما هو سفه بيننا لو فعلناه نحن " (ابن حزم: د، ت، 625/8).

ويوظف قوله تعالى: { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } (البقرة:7)، وقوله تعالى: { وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } الأنعام: 25 لتحقيق مقصده في نفي المصلحة فقال: " فليت شعري أي صلاح إرادة الله تعالى لمن ختم على قلبه، وجعل في أذنيه وقرا عن قبول الحق؟ نعوذ بالله من أن يريد منا ما أراد بهؤلاء، ونقول لمن قال: إنه تعالى أراد صلاحهم: أن يدعو ربه أن يريد به من الصلاح ما أراد بهم " (ابن حزم: د، ت، 627/8) وانتهى إلى إبطال القول بإرادة الله تعالى من فعله الصلاح، فجعل ذلك في شكل مقدمة بنى عليها نتيجة مفادها: إن أفعاله وأحكامه، وفق مشيئته: نفعا وضرا، فقال: " فبطل قوله: إن الله تعالى لا يفعل شيئا إلا لمصالح عباده، وصح بالضرورة أنه يفعل ما يشاء لصلاح ما شاء، ولفساد ما شاء، ولنفع من شاء، ولضر من شاء، ليس ههنا شيء يوجب إصلاح من صلح، ولا إفساد من أفسد... { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء: 23] وهم دائبا يسألون ربهم لم فعلت كذا؟ كأنهم لم يقرؤوا هذه الآية " (ابن حزم: د، ت، 625/8).

ثانياً: ابن القيم:

أما ابن القيم فقد أولى المصلحة اهتمامه، وأقر بها دليلاً على الأحكام، استناداً إلى حقيقة مسلم بها لدى القائلين بها، وهي: " إن الشرائع مبناها على المصالح بحسب الإمكان وتكميلها، وتعطيل المفسد بحسب الإمكان وتقليلها" (ابن القيم: ط3، 1416هـ/1996م، 392/1) وقد خصص لها فصلاً في كتابه: إعلام الموقعين، بين فيه أهميتها، وأثرها في الأحكام، وكذلك نبه إلى خطورتها بقوله: " هذا فصل عظيم النفع جدا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج، والمشقة، وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح، لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها، وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش، والمعاد وهي... مصالح كلها وحكمة كلها" (ابن القيم: 1973م، 3/3) ويؤكد أن النقل والعقل يشهدان بوجود تحصيل المصالح للخلق، ودرء المفسد عنهم، وهذا أمر لا يدركه كنهه إلا من كان له عقل متدبر، فقال: " وليعلم العاقل: أن العقل، والشرع يوجبان تحصيل المصالح، وتكميلها، وإعدام المفسد، وتقليلها" (ابن القيم: ط1، 1، 1418هـ/1997م، 212/1).

والمتتبع له في هذه القضية يجده قد عرض لها في أغلب مصنفاته، إن لم يكن في جميعها، وفي الجميع يقرّ بأثرها في بناء الأحكام، ويستفيد منها في عدد من استنباطاته الفقهية، من ذلك: تجويزه بيع المقاتي (الخيار) والباذنجان عند بدو صلاحها قياساً على بيع الثمار على رؤوس الأشجار المرخص به ضرورة بقوله: " يجوز بيع المقاتي والباذنجان، ونحوها بعد أن يبدو صلاحها، كما تباع الثمار في رؤوس الأشجار، ولا يمنع من صحة البيع تلاحق المبيع شيئاً بعد شيء، كما لم يمنع ذلك صحة بيع التوت، والتين، وسائر ما يخرج شيئاً بعد شيء، هذا محض القياس، وعليه تقوم مصالح بني آدم، ولا بد لهم منه " (ابن القيم: 1973م، 402/3) ويقول بصحة عقد الإجارة بأجرة المثل قياساً على صحة عقد النكاح بمهر المثل بناء على الإجماع، والمصلحة، وذلك من خلال قوله: " وقد أجمعت الأمة على صحة النكاح بمهر المثل، وأكثرهم يجوزون عقد الإجارة بأجرة المثل كالنكاح، والغسال، والخباز والملاح، وقيم الحمام والمكاري، والبيع بثمن المثل، كبيع ماء الحمام، فغاية البيع بالسعر أن يكون بيعه بثمن المثل؛ فيجوز، كما تجوز المعاوضة بثمن المثل في هذه الصورة وغيرها، فهذا هو القياس الصحيح، ولا تقوم مصالح الناس إلا به " (ابن القيم: 1973م، 6/4).

الخاتمة

من خلال هذه القراءة في تعلييل أحكامه تعالى من منظوري: ابن حزم الظاهري، وابن القيم الحنبلي تمكنت من التوصل إلى بعض النتائج منها:

1— تباين آراء العلماء في القول بالتعلييل في أحكامه تعالى، وادعاء كل منهم الإجماع على سلامة رأيه، مع أنه لا إجماع على رأي بعينه، وأن المسألة محل اجتهاد، تتجاذبها الآراء، وتتدافع بخصوصها الأدلة، ولا قطع فيها بأحد الرأيين، وإن ظل الأغلب على القول بالتعلييل.

2— ظهور أثر الخلاف المذهبي واضحا في منهجية كل منها في التعامل مع النصوص، والآراء المخالفة له، ومعالجتهما لكليات مسألة التعلييل وجزئياتها، مما دفع كلا منهما إلى حشد ما لديه من وسائل، وجمع ما توفر له من أدلة للإثبات صحة رأيه.

3— إن أحكامه تعالى منوطة بالحكمة، مؤسسة على مصالح الخلق، بجلب المنافع، ودفع المفاسد، وهذه المصالح منها هو منصوص عليه، ومنها ما هو مستنبط.

4— أن ابن حزم كان من أكثر العلماء إنكارا للتعلييل، وأشدهم استماتة في الدفاع عن رأيه هذا، وقد جمع من لديه من وسائل، وما توفر لديه من أدلة، ولو كانت على حساب النص، وغير منطقية، ولا مقبولة في الغالب لدفع حجج خصومه، مما اضطره في عدد من المواضع إلى توظيف بعض الآيات في غير ما سيقت له، بينما كان ابن القيم على خلافه.

5— أن ابن حزم يقبل بالعلة المنصوص عليها، مع تحفظه على التسمية، فيسميها سببا، ولا يقبل بالعلة المستنبطة، ويراهما تقولا على الله ورسوله، وخالفه في هذا ابن القيم.

6— لا يتعدى بالعلة التي يسميها: سببا الموضع الذي وردت فيه، مما دفعه إلى عدم القبول بالعلة المتعدية، فأنكر القياس؛ لأن العلة ركن من أركانه، وهذا قاده إلى عدم الإقرار بالمصلحة دليلا معتبرا، مدفوعا بنزعتة الظاهرية بالتوقف عند حرفية النص، وترك التأويل، بينما ذهب ابن القيم إلى خلافه.

7— كلاهما في أغلب محاجاته لخصومه يحاول أن يضيف على رأيه نوعا من القبول؛ ليجر القارئ إلى قبوله والتسليم به، ويتقنن في سوق تبريراته لذلك.

8— كان ابن حزم كثيرا ما يتهم على مخالفه، ويوجه إليهم نقده اللاذع، وينعتهم بأوصاف هم منها براء، بينما كان ابن القيم على خلافه.

- 9- أنكر ابن حزم عن الصحابة والتابعين وتابعيهم القول بالتعليل مع تواتر ما نفاه عنهم، قابله ابن القيم بإقرار ما كان عليه أهل السلف.
- 10- وظف ابن القيم النصوص توظيفا أمثل في رأي الباحث، وذلك فيما يخص إثبات التعليل.

... والحمد لله رب العالمين...

مصادر البحث ومراجعته

أولاً: القرآن الكريم، رواية حفص.

- 1- ابن القيم: إعلام الموقعين، تح: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، 1973م.
- 2- ابن القيم: إغاثة اللهفان، تح: محمد حامد، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ/1975م.
- 3- ابن القيم: الجواب الكافي، دار المعرفة، المغرب، ط1، ط1، 1418هـ/1997م.
- 4- ابن القيم: بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 5- ابن القيم: شفاء العليل، دار المعرفة، بيروت، ط: 1398هـ/1978م.
- 6- ابن القيم: طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط2، 1394هـ.
- 7- ابن القيم: مدارج السالكين، تح: دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416 هـ /1996م.
- 8- ابن القيم: مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 9- ابن النجار: شرح الكوكب المنير، تح: محمد الزحيلي، مكتبة الغبيكان، ط2، 1418هـ/1997م.
- 9- ابن بشكوال: كتاب الصلوة، تح: عزت العطار، مكتبة الخانجي، ط2، 1374هـ/1955م.
- 10- ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 11- عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- 12- الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيف، المكتب الإسلامي، بيروت.

- 13- أمير باد شاه: تيسير التحرير، دار الفكر، بيروت.
- 14- البخاري: الجامع المسند، تح: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- 15- البوطي: ضوابط المصلحة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 16- الجرجاني: التعريفات، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.
- 17- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 18- السبكي: الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/1995م.
- 19- الشاطبي: الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ، 1997م.
- 20- شلبي: تعليل الأحكام، ط، 1401هـ/1981م.
- 21- ابن عبد السلام: قواعد الأحكام، تح: طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات، القاهرة، 1991م.
- 22- القرافي: شرح تنقيح الفصول، ط1، 1393هـ/1973م.

التجديد الديني المفهوم والمنطلق

أ. فتحي توفيق قصودة
كلية التربية- جامعة الزنتان

أ. حاتم عياد جمعة الأسود
المعهد العالي للعلوم والتقنية الاصابة

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى توضيح مفهوم التجديد ومنطلقه، وأهم المدارس التي تناولت مصطلح التجديد في الإسلام، ولا شك في أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وأنها هي خاتمة الشرائع السماوية، ومن هذا المنطلق فإن الشريعة الإسلامية، فتحت باب الاجتهاد والتجديد على مر العصور، ومن هنا جاءت نداءات بعض علماء المسلمين لفتح هذا الباب، لمسايرة تطورات العصر المتجددة، وفق ضوابط محددة لا تخالف أصول الإسلام الثابتة، وقد برز في هذا المجال ثلة من علماء الشرق والغرب الإسلامي، وبما أن الحياة متحركة ومتطورة، فهي دائمة الشباب مستمرة النمو، تنتقل من طور إلى طور، لا تعرف الركود أو الجمود ولا تصاب بالهرم والتعطل، ولا يسارها في رحلتها الطويلة إلا دين حافل بالحركة والنشاط، وليس هذا الدين إلا الإسلام، فهو دين حي ورسالة خالدة، ولقد كان مدار بحث العلماء والمفكرين المسلمين في الشرق والغرب الإسلامي، فالتجديد منهج فريد يحافظ على النص والمقصد معاً، ويجمع بين النقل والعمل، ويحمل روح الشريعة وحكمها، وهو يطوف حول واقع الناس ومصالحهم.

الكلمات المفتاحية: التجديد، علماء الشرق، علماء الغرب.

1- المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى من سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن مصادر التشريع الإسلامي هي القرآن الكريم والسنة النبوية الإجماع والقياس؛ لأن الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع الإلهية كلها؛ وهي صالحة لكل زمان ومكان، فهي تمتاز بقدرتها على تنظيم حياة الناس، واستيعاب الحوادث المتجددة.

وقد توهم بعض الناس أن الإسلام يعتمد فقط على النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأهملوا بالمقابل دور العقل ومجال الفكر الإنساني، مع أن الإسلام قامت حضارته ومجده على كل من النص المنقول والكلام المعقول، وكان النص هو الموجه دائماً والمصحح للعقل ونتاج الفكر، وعزز الإسلام مكانة العقل فجعله مناط التكليف وأساس التشريف فأوجب التفكير وجعله فريضة إسلامية متميزة.

ولا خلاف بين العلماء في أن باب الاجتهاد مفتوح في كل الميادين وليس في الشريعة وحدها، والاجتهاد ضروري لحياة متحركة من دونه يكون كل شيء راكداً، ويعد حقاً لكل جيل فهو فرض كفاية بلا انقطاع، يقول الله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (من سورة النحل، الآية 43).

فالاجتهاد له في الإسلام المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، لأنه يحل المشكلات، ويواكب تقدم الدنيا، فيقدم الحكم الشرعي لكل ما يستجد من قضايا. والأمة تحتاج إلى الاجتهاد في هذا العصر أكثر من غيره، لكثرة المستجدات في عالم الناس اليوم، وما تحدثه الثورة الصناعية والتكنولوجية.

والتجديد في الإسلام أمر لازم لوجود الجماعة الإسلامية، وضروري لاتصالها واستمرارها على حال الجماعة والاجتماع، ولذلك فهو مطلوب شرعاً عند المسلم وإيمان كامل بأن الله ضامن ذلك التجديد بموجب الحديث النبوي الصحيح لقوله p ((إِنْ اللهُ يَبْعَثْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا))⁽¹⁾، وطريق ذلك التجديد عند فقهاء الإسلام هو الاجتهاد بشقيه الفردي والجماعي، ومن دعى علماء الشرق والغرب الإسلامي إلى الاجتهاد وفتح مجال التجديد.

(1) أخرجه أبو داود، في السنن، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، 106/3، حديث صحيح رقم، 291.

لقد عرفت الأمة الإسلامية على مر العصور وعبر تاريخها العديد عدداً كبيراً من حركات الإصلاح والتجديد قام بها ثلة من المصلحين، وقد انبثق دعائها من أعماق الأمة، متفاعلين مع طموحاتها تحذوهم الرغبة في إصلاح شؤونها، والرفع من مستواها وتجديد بنيانها، والعودة بها إلى المجد الذي رسم الإسلام معالمه، وهذه الحركة بطبيعة الحال، تقتضي وجود علماء ربانيين.

ولقد كان لعلماء الشرق الإسلامي السبق في الخوض في هذا المضمار، ومن ثم تبعهم علماء الغرب الإسلامي، لإحياء الاجتهاد والتجديد في نفوس الأمة.

2- أهمية البحث:

تكمن أهميته في أنه يبرز التجديد الديني من حيث المفهوم والمنطلق، وتبيين دور وجهود بعض علماء الغرب والشرق الإسلامي في الإصلاح والتجديد، كما تكمن أهميته في إبراز دور العلماء وحثهم على ضرورة تحريك وفاعلية الاجتهاد لمواجهة الجمود والتقليد، وتعزيز ثقافة الاعتدال والوسطية التي جاء بها الإسلام لمواجهة الغلو والتطرف، وكذلك إيضاح الجهود التي بذلها بعض العلماء في بيان قضايا الاجتهاد والتجديد المختلفة.

3 - إشكالية البحث :

- هل استطاع المفكرين المسلمين تحديد مفهوم التجديد ومنطلقه؟
- ما دور التجديد الديني والفكري في مساهمة تطورات العصر ومستجداته؟
- هل أثر التجديد الديني على ثوابت الإسلام القطعية؟
- ما هو النهج الذي انتهجه دعاة التجديد في المسائل الفقهية المستحدثة؟

4- أهداف البحث:

1. بيان أهمية التجديد الديني لمواكبة تطورات العصر المختلفة، ونوازل الفقه المتجددة.
2. توضيح مصطلح التجديد من حيث المفهوم والمنطلق واستعمال لفظ التجديد في القرآن الكريم والسنة النبوية.
3. إبراز دور علماء الشرق والغرب الإسلامي في الإصلاح والتجديد لمواجهة الجمود والتقليد.
4. لابد من التنبيه إلى ضرورة التجديد في زمن العولمة، والتأكيد على معالجة القضايا المستجدة التي تمس حياة المسلمين.

خطة البحث:

جاء البحث مقسماً على النحو الآتي: المقدمة: وتحتوي على أهمية الموضوع والإشكالية وخطة البحث، **والمبحث الأول:** تعريف التجديد لغة واصطلاحاً، ورود لفظ التجديد في القرآن الكريم والسنة النبوية، بعض العلماء الذين اعتنوا بدراسة التجديد **المبحث الثاني:** تاريخ حركة تجديد الفكر الإسلامي والخطاب الديني، التجديد بين المشاركة والمغاربة.

مفهوم التجديد:

من سنة الله في الكون أن الحياة متحركة ومتطورة، فهي دائمة الشباب مستمرة النمو، تنتقل من طور إلى طور، ومن لون إلى لون لا تعرف الركود أو الجمود، ولا تصاب بالهرم والتعطل، ولا يسايرها في رحلتها الطويلة إلا دين حافل بالحركة والنشاط، ولا يتخلف عن ركب الحياة، ولا يعجز عن مسايرته وزمالاته ولا تقصر عنه خطواته ولا تنفذ حيويته ونشاطه (الندوي، ص5، ط/2000، م2)

ومن الأهمية أن نحدد معنى المصطلح الذي نبحت فيه، لأن الفكر الإسلامي الحديث يعيش إشكالية صعبة منذ المراحل الأولى لاحتكاكه بالغرب، لذا فإن من اللازم تحديد مفهوم التجديد لغة وإصطلاحاً.

التجديد لغة: تُميز معاجم اللُّغة في مادة "جدد" بين معانٍ متعددة للفظ ومشتقاته، منها معنيان رئيسان: جدد بمعنى: صار جديداً، وجد بمعنى: اجتهد، وأصل الجد عند العرب القطع تقول: ناقة جدودي هي التي انقطع لبنها، والجداء من الغنم والإبل المقطوعة الأذن، وثوب جديد وهو في معنى مجدود: حين جده الحائك، أي قطعه (ابن منظور، 1073).

"والجدة مصدر الجديد.. وتجدد الشيء صار جديداً، والجدة نقيض البلى والتجديد أيضاً تصيير الشيء جديداً وهو خلاف القديم، واستجده أي: صيره جديداً، والجديدان الليل والنهار، وذلك لأنهما لا يبيليان أبداً " (الزبيدي، 2000، ط140)

وفي الاستعمال القرآني للأصل " جدد " لم يرد بمعناه الأصلي الدال على القطع، وإنما بصيغة واحدة غالبية تدل على معنى " الجديد والمحدث " وردت مرات بلفظ " جديد " في الآيات: (وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أُنْتُنَا فِيهِ خَلْقٍ جَدِيدٍ) (من سورة الرعد: الآية 5)

وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) (سورة إبراهيم: الآية 19) وفي قوله تعالى: (وَقَالُوا أَبَدًا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنْبَأْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) (من سورة السجدة الآية 10) وقوله عز وجل: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلٍ جَدِيدٍ) (سورة سبأ: الآية 7).

وفي السنة النبوية توجد استعمالات أوسع للفظ في مجالات مختلفة تستوعب تقريباً معظم المعاني الواردة في لسان العرب وفي القرآن الكريم، وكثيراً ما نجد استعمال مادة "جدد" من مشتقاتها الدالة على، القطع والصرم، الغنى، العظمة، الاجتهاد، عدم الهزل، الطريق الظاهر، الجديد في مقابل الخلق أو نقيض البلى ..

أما معنى التجديد اصطلاحاً: فقد أورد بعض العلماء القدامى لفظ التجديد بناءً على فهمهم للحديث النبوي السابق الذي ورد فيه لفظ التجديد، ومن هذه التعريفات ما ذكره المناوي بأنه " إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما وقال يجدد لها دينها أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية" (المناوي، 2001، ط2\218).

وجاء في شرح سنن أبي داود: " التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات " (إبادي، 1415هـ، ط3\391)، والملاحظ إن تعريفات القدامى تكاد تتفق في النص والمعنى ولم تخالف بعضها بعضاً وركزت على جانب العمل في التجديد، وأجمعت على أن التجديد حركة إحيائية للعمل بالكتاب والسنة ونفي ما علق بهما من شوائب والقضاء على البدع والأهواء، وليس التجديد انفصلاً وتحرراً عن الأصول أو إحداث شيء غير مسبوق.

أما السيوطي فنجد أنه قد اكتفى بتحديد مصطلح المجدد بقوله "إن المجدد هو العالم بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة ناصراً للسنة قامعاً للبدع" (السيوطي، دط، 1980: ص11) ولم يورد السيوطي تعريفاً محدداً للفظ التجديد، وإنما تحدث عن المجدد وصفاته وأورد في ذلك منظومة شعرية سنعرض لذكرها عند الحديث عن منطلق التجديد.

ولدى المحدثين فإن التجديد بمعنى: إعادة النظر في النص القرآني والنبوي انطلاقاً من معطيات الواقع القائم، وبما ينسجم مع المنظومة المعرفية الإسلامية " (الخولي، ط2، 2199م: ص71)

وينسب هذا التعريف إلى أحد الكتاب الذين اهتموا بموضوع التجديد والمجددين، ومجمل كلامه أن التجديد لازم وضروري لتطور الحياة البشرية الأمر الذي يحتم إيجاد حلول إسلامية تعايش الواقع المتجدد، وهو أمين الخولي الذي يعد من أوائل من اهتموا بموضوع التجديد في العصر الحاضر.

ومن بين الذين اعتنوا بدراسة التجديد في العصر الحاضر حسن الترابي حيث عرف التجديد بأنه "إحياء لمعاني الدين الحق في النفوس، ثم إقبال على واقع التدين لترقية الالتزام بأحكام العمل المقررة شرعاً، ولمكافحة ما طرأ على الدين من بدع" (الترابي، 1982م، ص155) ويوافق بذلك تعريفات القدامى للتجديد وذلك بإدراجه مفهوم الإحياء، ونفي البدع عن الدين.

ومن المحدثين من حمل لفظ التجديد على البعد الفكري معرفاً للتجديد بأنه: "نشاط عقلي دائم، قوامه تقليب النظر باستمرار في المعارف المكتسبة والتجارب الحاصلة بقصد تصحيحها أو إثرائها وتكييفها مع كل واقع جديد" ومنهم من يحمل لفظ التجديد على أنه الاجتهاد في الأمور المستجدة، ومعالجتها وتنزيل الخطاب الإسلامي عليها وإيجاد الحلول الشرعية لها " (الخادمي، ط/2، 2008م: ص94).

تاريخ حركة تجديد الفكر الإسلامي والخطاب الديني:

لقد بدأت الكتب التي بنت نصها وفقاً للحديث الشريف السالف الذكر "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا" في وقت مبكر نسبياً ففي القرن العاشر الهجري كتب جلال الدين السيوطي، كتاب (التنبيه بمن يبعثه الله على رأس كل مائة) والذي ضمنه منظومته الشهيرة " تحفة المهتدين بأخبار المجددين " وأخذ يعدد في منظومته أسماء المجددين على رأس كل مائة سنة، ثم تبعه المراغي المالكي الجرجاوي فكتب (بغية المقتدين ومنحة المجددين على تحفة المهتدين للسيوطي) وقد اعتمد عليها فيما بعد أمين الخولي في كتابه المجددون في الإسلام، (زيادة، 2004، ط/1: ص21).

ولكن السيوطي كان يفهم التجديد بمعنى الاجتهاد، إذ كلا المصطلحين يدلان على مفهوم واحد لديه، وهذا ما يلاحظ في كتابه الشهير (الردّ على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض) حيث يقول: "إن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة هو رجل واحد مشار إليه في كل فن من هذه الفنون وهو المجتهد " (السيوطي، 1983م: ص36)

وهذا إقرار من الإمام السيوطي بأن الاجتهاد الذي يفضي إلى التجديد حركة فرد، قبل أن ينحصر في اصطلاح خاص، وقد كان حركة مجتمع بأكمله في أمور العادة والعبادة، وفيه رد كذلك على من أنكر علاقة الاجتهاد بالتجديد، إذ أن مهمة التجديد في الدين لا يقدر عليها إلا مجتهد توفرت فيه مؤهلات وشروط الاجتهاد.

ووجب توضيح مصطلح الاجتهاد لتداخله مع مصطلح التجديد، فالاجتهاد هو استفراغ الفقهاء الجهد لتحصيل ظن بحكم شرعي بطريق الاستنباط واتفاقهم على الحكم بعد التشاور (الشرفي، ط/2، 1997م: ص123). أو هو اتفاق أغلبية المجتهدين في نطاق مجمع فقهي، أو هيئة أو مؤسسة شرعية ينظمها ولي الأمر، في دولة إسلامية على حكم شرعي علمي لم يرد به نص قطعي الثبوت والدلالة، بعد بذل غاية الجهد في البحث والتشاور (مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد 199: ص148).

وكما يظهر الحفر التاريخي أن أول استخدام لمصطلح التجديد بمعنى إعادة النظر في النص القرآني والنبوي انطلاقاً من معطيات الواقع القائم، وبما ينسجم مع المنظومة المعرفية الإسلامية الكلية، كان مع أمين الخولي في مقال له في مجلة الرسالة عام 1933م، تحت عنوان "التجديد في الدين" وربما مكنته هذه الرؤية المبكرة من تطوير نظريته والعمل على توسيعها حتى إصدارها في كتاب مستقل تحت عنوان "المجددون في الإسلام" (زيادة، ص19).

وقبل هذا التاريخ لا توجد كتابات تحدد مفهوم التجديد وتدرسه بهذا المعنى الشمولي، بل وجدت أعمال بحثت وعالجت موضوع التجديد في الفكر الإسلامي، وهو عمل محمد إقبال في كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) والذي هو عبارة عن محاضرات ألقاها باللغة الانجليزية، ما بين سنة 1928م وسنة 1929م تلبية لطلب الجمعية الإسلامية في الهند، وترجمت في منتصف الخمسينات من القرن الماضي (ميلاد، 2008 ط/2، م: ص19).

وفي خلال تلك المرحلة كانت تظهر كتابات ومؤلفات وخطابات وإن لم تعنون باسم التجديد الديني، فقد صنّف البعض أصحاب تلك الأعمال ضمن رواد التجديد، مثل رفاة الطهطاوي الذي يرى أن "التجديد الإسلامي كفيل بتقديم الإسلام الحلول لمواكبة المستجدات في العصر الحاضر، وما دامت هذه الحلول بسبب إسلاميتها هي الأقرب لفطرة الإنسان المسلم، فإن الإسلام يصبح هو الحل لمختلف مشكلات الحياة ومصاعبها" (الطهطاوي، 1973م، ط/3: ص159).

وبرز أيضاً في جانب تجديد الخطاب الديني رائد الإحياء الإسلامي، جمال الدين الأفغاني، الذي ناهض الاستبداد والجمود والتقليد، وكان شعاره الإصلاح بالإسلام ليتميز المشروع الإسلامي عن الغرب اللاديني، ولكي تعود الأمة لمواصلتها نهضتها الحديثة، وعمل الأفغاني على مقاومة الجمود الفكري متسائلاً باستنكار عن معنى إغلاق باب الاجتهاد، ومن أغلقه؟ وبأي نص؟ وأي إمام قال ذلك؟

وتابع محمد عبده أهم رواد مدرسة الإحياء والتجديد مسيرة شيخه الأفغاني، وعمل على محو الخرافات والبدع التي رانت على عقائد الأمة قبل عصر التجديد ومن خلال كتابه (رسالة التوحيد) الذي يعد امتداداً للفكر التجديدي لمحمد عبده وعمل فيه على النهوض بعقل الأمة من قيود التقليد والخرافة، بالمنهج التجديدي العقلاني المستنير، " وفي هذه الرسالة تبدو الروابط بين العقائد وبين وظائفها في واقع الإنسان، وفيها تتجلى نظرة الإسلام للعقل كي يهزم التقليد الذي قتل روح الريادة والإبداع في الأمة؟" (عيسى، 2011م: ص194)

ولم يختلف رشيد رضا عن أستاذه الإمام محمد عبده في فكره ومنهجه ومفهومه لحركة التجديد والإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، وقد راح يسعى للكشف عن الإمكانيات المتطورة الكامنة في الدين الإسلامي، وتركزت جهوده حول استلال الفكر وحرية العقل في العلم واجتتاب تقليد العلماء، حيث يقول في هذا: "أما ذكر العقل باسمه وأفعاله في القرآن الحكيم فيبلغ خمسين مرة، وأما ذكر أولي الأبواب أي العقول، ففي بضع عشرة مرة، .. كانت التقاليد الدينية حجرت حرية التفكير، واستقلال العقل على البشر حتى جاء الإسلام فأبطل بكتابه هذا الحجر .." (رضا، 2000م: ص195).

وأخذت المصنفات تدون في هذا الموضوع في العصر الحاضر وكتب مجموعة من الكتاب أعمالاً من بينها أبو الأعلى المودودي في كتابه (موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه) الذي صدر ببيروت سنة 1968م، والذي أوضح فيه أن "التجديد الديني لا يكتفي في زمن من الأزمان على إحياء العلوم الدينية وبعث الولوع باتباع الشريعة فحسب، بل يلزم لذلك إحياء حركة شاملة تشمل بتأثيرها جميع العلوم والفنون والأفكار والصناعات ونواحي الحياة الإنسانية جمعاء .." (المودودي، 1968م: ص138)

وكتب حسن الترابي كتابه (تجديد الفكر الإسلامي)، الذي أكد من خلاله: "أن تجديد الدين أمر ينبغي أن تقوم به حركة وجماعة واسعة، لا سيما في عصرنا حيث الحياة قد تشعبت، وأصبح التجديد الفكري أوسع وأكثر تركيباً وتعقيداً من أن يقوم به رجل واحد مهما كان دوره في دفع التجديد" (الترابي، 1982م: ص37).

ومن بين المشاريع المهمة في العصر الحاضر أيضاً التي اهتمت بالتجديد الفكري الإسلامي، مشروع محمد عمارة الذي تفرغ لهذا المشروع منذ ما يزيد عن ثلاثين عاماً، وقدم كتباً ودراسات وعدداً كبيراً من الأبحاث والمقالات المتنوعة، وفي بداية مشروعه الفكري كان همه الأول هو إصدار الأعمال الكاملة لعدد من رواد مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي، وذلك بهدف تجميعها بين دفتي كتاب حتى يحفظها من الشتات والضياع، وأيضاً بهدف توفيرها للناس حتى يطلعوا على رؤية متكاملة لفكر هؤلاء القادة (عيسى، ص 67)

تلك هي بعض أبرز الأعمال التاريخية التي درست موضوع التجديد الإسلامي سواء الفكري أو الديني، بداية من زمن السيوطي وصولاً إلى العصر الحاضر.

ويرى الباحث أن مفهوم التجديد أخذ يتطور من زمن إلى زمن فالمفهوم الذي بنى عليه السيوطي تحديده أو وصفه للمجدد يختلف عن المفهوم الذي بنى المحدثين رؤياهم للتجديد، واتفق كل منهما على أن التجديد حركة إحيائية للعمل بالكتاب والسنة، ونفي ما علق بها من شوائب وبدع، ولعل سد باب الاجتهاد في فترة من الزمن، هو الذي أدى إلى تأخر حركة التجديد وركون الناس إلى الخرافات والبدع دون النظر في متغيرات العصر ومتطلباته.

وما زالت الأعمال والمصنفات تكتب في هذا الموضوع إلى يومنا هذا، ويمكن تقسيم هذه الجهود المخلصة لهؤلاء الأعلام على النحو الآتي:

التجديد بين المشاركة والمغاربة:

مع بداية الاحتكاك العربي الغربي الأول في بداية القرن العشرين، وتعرّف الشعوب العربية والإسلامية على التقدم الغربي، وما حققه هذا التقدم من انجازات تكنولوجية وثقافية وعلمية هامة، بدأت هذه الشعوب تشعر بالملل من واقعها الذي تعيشه وتحلم باللاحق بركب التطور والتقدم، وقد حاول عدد كبير في تلك الفترة طرح سؤال التجديد بوصفه مشروعاً ممكناً داخل التراث الإسلامي وإعادة النظر في هذا التراث ليبرزوا ما فيه من وجوه يمكن استثمارها وتوظيفها في الواقع المعاصر (الخادمي، ص 94)

ولقد كانت أبرز وأعمق وأوسع مدارس الإحياء والتجديد في النهضة الإسلامية الحديثة هي تلك المدرسة التي تبلورت من حول جمال الدين الأفغاني، حيث كان الإمام محمد عبده العقل الذي هندس معالم مشروعها التجديدي في العديد من الميادين، وتبلورت هذه المدرسة على معالم أساسية لمشروع نهضوي إسلامي، وهو وسط متميز

عن مقولات أهل الحداثة والتغريب، وعن مقولات أهل الجمود والتقليد، لأنه نابع من الأصول الإسلامية بعقل معاصر وفي ضوء مستجدات الواقع العصري المعيش، وتُحسب هذه الجهود لعلماء الشرق الإسلامي.

ومن بين الذين اهتموا بقضية التجديد من المشاركة أحد رواد مدرسة الإحياء والتجديد وتلميذ جمال الدين الأفغاني، وهو الإمام محمد عبده الذي انصرف منذ بداية حياته إلى التجديد الديني وإصلاح المؤسسات الدينية والأوقاف والمحاكم الشرعية، وانشغل بالدفاع عن الإسلام في مواجهة ادعاءات بعض الفلاسفة والمفكرين الغربيين، وحدد أهداف حركته في العمل الدائم من أجل الإصلاح الديني عن طريق تحرير الفكر من قيد التقليد وتطهيره من البدع والشوائب التي علقت به والدعوة لإعلاء قيمة العقل. وأعطى عناية خاصة إلى الدعوة وللإجتهد وتجديد الفكر الإسلامي وفقهه للاستجابة لمطالب النهوض والصحة، وليلتئم الصدع الحادث في مؤسسات المجتمع، وليمتلك وسائل البحث والمعرفة للمحيط الذي نعيش.

ومن مظاهر الاختلاف بينهما هو: اعتماد جمال الدين على الفكري الثوري في عملية التغيير والإصلاح، في حين أن محمد عبده كان إصلاحياً يتدرج في الإصلاح، كما اهتم جمال الدين بالكفاح ضد الدكتاتورية الداخلية والاستعمار الغربي وعدّ ذلك من أولى الوظائف، في حين أن محمد عبده وخصوصاً في آخر أيامه اهتم كثيراً بالتربية والتعليم واعتبر ذلك من أولى الوظائف.

كما يعد جمال الدين الحرية الفكرية العامل الأساسي للحركة الفكرية للشعوب، في حين أن محمد عبده يرى أن التربية والتعليم الأخلاقية هي العامل الأساسي، فكانت دعوة الأفغاني الإصلاحية موجهة إلى المجتمع الإسلامي عامة، في حين ركز محمد عبده اهتمامه على إصلاح المجتمع المصري، ولم تكن تلك الاختلافات يوماً عائقاً أمام إيصال كل منهم رسالته الإصلاحية.

ولم يختلف محمد رشيد رضا عن أستاذه محمد عبده – كما أسلفنا الذكر – في فكره ومنهجه ومفهومه لحركة الاجتهاد والتجديد والإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي..، وسعى إلى تطهير الدين من البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي أفسدت العقائد والأخلاق والأعمال، التي روجت في المسلمين بضاعة الدجل والشعوذة فصرقتهم عن قضاياهم الأساسية.

ودعا رشيد رضا إلى الاجتهاد واضعاً قواعد للاجتهاد في النصوص حيث قال: "أحكام الكتاب والسنة، منها أحكام خاصة بالأعمال والوقائع ومنها قواعد عامة للتشريع، والأحكام الخاصة منها ما هو قطعي الرواية والدلالة لا مجال للاجتهاد فيه، ولا معدل عن الحكم به إلا لمانع شرعي أو عذر ضروري، ومنها ما هو غير قطعي يعمل فيه باجتهاد من يناط به الحاكم الشرعي والتنفيذ من أمير أو قاض" (رضا، ص195)

وخطا على درب أستاذه في إصلاح نظام التربية والتعليم ودعوته لنبذ التقليد والجمود، وتوجيه الأمة إلى الاجتهاد والتجديد لتعود الأمة إلى سابق عهدها.

ويحتل عمل المفكر الهندي محمد إقبال مكانة رفيعة من بين الأعمال التي عالجت موضوع التجديد في الشرق الإسلامي، من خلال كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) وقد اشتهر إقبال كثيراً بهذا الكتاب، ويعدّ كتابه المرجع الذي يشرح فيه أفكاره وتأملاته، والفلسفة التي يتبناها ويدافع عنها، وطبيعة المهمة الفكرية التي يفترض أن ينهض بها المفكر المسلم في العالم الحديث من الجمود والركود محذراً من عواقب الانجرار وراء حضارة الغرب، ومبيناً أسباب الضعف لدى العالم الإسلامي.

ومما ورد فيه: "لقد ظل التفكير الديني في الإسلام راکداً خلال القرون الخمسة الأخيرة وقد أتى على الفكر الأوروبي زمن تلقى فيه وحي النهضة عن العالم الإسلامي، ومع هذا فإن أبرز ظاهرة في التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التي ينزع بها المسلمون في حياتهم الروحية نحو الغرب، ولا غبار على هذا المنزع فإن الثقافة الأوروبية في جانبها العقلي ليست إلا ازدهاراً لبعض الجوانب الهامة في ثقافة الإسلام" (إقبال، 2006: ص15)

ولكن الذي يخشاه إقبال هو "الانجرار وراء المظهر الخارجي للثقافة الأوروبية، فنصبح عاجزين عن التقدم .. فلا عجب أن نجد شباب المسلمين في آسيا وفي أفريقيا يتطلبون توجيهاً جديداً بعقيدتهم، ولهذا لا بد من أن يصاحب يقظة الإسلام تمحيص بروح مستقلة لنتائج الفكر الأوروبي، وإقبال هنا لا يمانع من الاستفادة من الثقافة الأوروبية لكن وفق رؤية إسلامية" (المصدر نفسه، ص17).

والرؤية كانت واضحة في تفكيره حيث يرى أن بإمكان العالم الإسلامي الانخراط في العالم الحديث وإتمام التجديد الذي ينتظره، فالعالم الإسلامي حسب قوله: "مزود بتفكير عميق نفاذ، وتجارب جديدة ينبغي عليه ان يُقدّم في شجاعة على إتمام التجديد الذي ينتظره، على أن لهذا التجديد ناحية أعظم شأنًا من مجرد الملاءمة مع أوضاع الحياة

العصرية وأحوالها، فالسرعة التي كانت تتقدم فيها أوروبا في العالم، لا ينبغي أن تدفع العالم الإسلامي نحو الخروج من العالم الحديث، أو العزلة " وهي دعوة من إقبال للانخراط في العالم عن طريق التزود بتفكير عميق والاستفادة من التجارب الجديدة، والإقدام بشجاعة في إتمام مهمة التجديد.

ولالإمام محمود شلتوت، مدرسة فكرية خاصة تقوم على أساس الإحياء والتجديد ورفض الجمود والتقليد، والإصلاح الإسلامي بعيداً عن النموذج الحضاري الغربي، وهذا لأنه كان نتاجاً لمدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي التي صاغ منهجها وقواعدها الأفغاني ومحمود عبده، ولعل أهم القواعد الفكرية للإمام محمد شلتوت هو نقد الجمود والتقليد: " فالمقلدون لأدبيات الغرب لا يمكن أن يفيدوا أمتهم بميراث العلوم الغربية؛ لأنهم غفلوا عن ارتباط تلك العلوم والفنون بملايسات نشأتها وخصوصيات حضارتها (عيسى، ص180).

واهتم محمد عمارة - أحد المفكرين المجددين في العصر الحاضر، والذين ينتمون إلى المدرسة الشرقية - بنشر أعمال مدرسة الإحياء والتجديد، ودعا إلى وسطية الإسلام الجامعة بين الشريعة الإلهية والشورى الإنسانية، بين العقل والنقل، فهو يمتلك مشروعاً فكرياً لتجديد الفكر الإسلامي وهو وسط بين الأصالة والمعاصرة ومتعدد ومتنوع الاهتمامات.

وألف محمد عمارة العديد من المؤلفات التي تناقش قضية التجديد الفكري والنهضة الإسلامية، مثل كتابه " هل الإسلام هو الحل؟ لماذا وكيف؟" والذي حاول من خلاله أن يثبت أن الإسلام مشروع متكامل للحياة، ويقدم حلولاً للحياة العصرية المناسبة لكل زمان في مختلف مجالات الحياة، وناقش في هذا الكتاب عدة قضايا مختلفة؛ بدءاً بالحياة العقلية، يناقش فيها التعددية الفكرية والاجتهاد الإسلامي، وعقلانية الإسلام، وناقش النظام السياسي الإسلامي، كنظام متكامل للحكم والمعارضة والأحزاب.

وهذا الكتاب وغيره من مؤلفات محمد عمارة تحمل معالم مشروع فكري لتفسير الواقع الإسلامي، وإنهاض أمة الإسلام انطلاقاً من مرجعية إسلامية في الدين والدنيا، وتعد أعمال محمد عمارة استكمالاً للمشروع الفكري للمدرسة الشرقية الداعية للاجتهاد والتجديد.

أما جهود علماء الغرب الإسلامي في التجديد فقد ظهرت على يد بعض من المجتهدين المجددين، وهي جهود وإن كانت قليلة مقارنة مع جهود المدرسة المشاركة، فإنها قدمت أفكاراً تجديدية أسهمت في تطور مفهوم التجديد.

ولقد برز المصلح عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر، أحد علماء الغرب الإسلامي، وهو صاحب فكر سلفي تربوي وسياسي يجمع بين النهضة والثقافة، ومضى ابن باديس يحرض بشدة على قيام الثورة الشعبية باعتبارها العلاج لمقاومة المستعمر،: "على أن إنضاج الثورة يقتضي تواصل الجهود التربوية واضطلاع الحركة الإصلاحية بمهمة التوعية الدينية والفكرية والثقافية، لإحياء العمل بالكتاب والسنة، وتطهير الإسلام مما علق به من شوائب ومحاربة عوامل التخلف والجمود في المجتمع، وإحياء اللغة العربية وآدابها" (الاصبحي 1996م: 887).

وجاءت رؤيته الإصلاحية في إطار حركة الإصلاح الإسلامية، وكان أول ما توجه إليه ابن باديس هو جانب العقيدة، باعتبارها الركيزة الأساسية في بناء الإسلام إذ يقول: "قلوبنا معرضة لخطرات الوسواس بل الأوهام والشكوك، فالذي يثبتها ويدفع عنها الاضطراب ويربطها باليقين هو القرآن الكريم" (باديس، 1998م: ص 67).

وظل ابن باديس سائراً على درب الإصلاح والتجديد يوقظ العقول، حتى تمكن فعلاً من الإسهام الكبير في إعادة الثقة إلى الناس، وزرع بذور الثورة والتحرر الفكري في أوساط الشعب الجزائري.

وضمن هذه الفترة برز أحد علماء الغرب الإسلامي المنادي بحل المشكلات المختلفة التي كانت تقيد العقل الإسلامي، وهو مالك بن نبي ولقد كان لفكره أهمية خاصة، لأنه عايش معظم حملات الاستعمار ومحاولات الاستقلال في العالم الإسلامي، وهي فترة من أهم فترات العالم الإسلامي، حيث اعتبرها ابن نبي نقطة أفول الحضارة الغربية، وبداية التأهل لحضارة إسلامية جديدة.

وقد تميز ابن نبي بمعادلته الشهيرة عن عناصر الحضارة ومركبها، وهي الإنسان والتراب + الوقت = حضارة (بن نبي، ص 53) والملاحظ أن الإنسان هو الذي يحدد في القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة، لأن التراب والوقت لا يقومان - إذا اقتصر عليهم فحسب- بأي تحويل اجتماعي، وجاءت هذه القيمة للإنسان لأنه هو العنصر الفاعل أما العنصران الآخريان متأثران، والإنسان هو محور العمارة الكونية في هذه الحياة (التمتام، ص 141).

فالإنسان هو الذي يعتنق الفكرة ويتفاعل معها فيصبح إنساناً فعلاً يستثمر التراب والوقت وينطلق من فكرته الدينية نحو ثقافة خاصة به ليبنى بذلك حضارة.

ولمالك بن نبي الكثير من الأفكار الجديرة بالدراسة المعمقة لفهم أسباب تخلف العالم الإسلامي، وإدراك الوسطية للنهوض، وتجدر الإشارة إلى أهمية كتابه "شروط النهضة" لما يمثله من خلاصة لفكره الإصلاحية التجديدي من تأثير على المجتمع، واتجه مالك بن نبي في تحديده لمشكلات العالم الإسلامي اتجاهاً مغايراً للقائلين بأن مشكلات العالم الإسلامي ترجع إلى الجهل والفقر والاستعمار، فقد رأى أن: "الفقر والجهل والاستعمار ما هي إلا نتائج لأسباب سابقة، أصولها موجودة في أنفسنا" ذلك لأنه نظر إلى هذا الثلاثي من حيث تأثيره على النشاط الاجتماعي (المصدر نفسه، ص142).

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث:

- 1- إن الشريعة الإسلامية كاملة وتصلح لكل زمان ومكان، مما يعطيها مرونة وقبول لتغطية كل المستجدات اليومية.
- 2- إن التجديد في الشريعة الإسلامية مضبوط بشروط وقيود دقيقة تحقق مصلحة الأمة في ضوء قواعد الإسلام العامة، وأهدافه السامية، وليس تجديدا قائما على الهوى، وإنما هو في إطار الشريعة الإسلامية.
- 3- توضيح معنى التجديد، وبيان معانيه اللغوية والاصطلاحية، وإبراز دور بعض العلماء في الإصلاح والتجديد الفكري والديني.
- 4- إن التجديد لا يقتصر أهميته على الجانب الفقهي والتشريعي، بل ينبغي أن يكون الجهد والعمل الجماعي منهاج حياة المسلمين في جميع المجالات.
- 5- تشديد بعض العلماء على محاربة الجمود الذي أصاب الأمة الإسلامية، وحذروا من رواسب التقليد الذي عاشت في ظله قروناً من الزمن.
- 6- لا ينبغي أن يفهم من مصطلح تجديد الدين استبدال الإسلام بدين آخر، أو تغيير بعض الأحكام القطعية الثبوت، فتجديد الدين يعني أن يبقى على جوهر الدين وخصائصه ومقوماته.

من خلال ما تم استعراضه من موضوعات هامة أوصي بالآتي:

- 1- يجب أن يكون التجديد منهجاً للتطور ونواصل السير دائماً إلى الأمام ولا نقطع الصلة بالماضي.

- 2- الدعوة إلى قيام مجمع فقهي عالي موحد، يشرف على جميع المؤسسات في العالم الإسلامي، وينظم عمله بالتنسيق مع جميع البلاد الإسلامية.
- 3- الدعوة إلى إقامة ندوات ومؤتمرات علمية للتعريف بجهود علماء الإسلام الذين خاضوا في مجال التجديد الديني والفكري.

المصادر والمراجع:

- 1: القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم
- 2: ابن منظور، لسان العرب: دار صادر، بيروت، ط/3، 1994م.
- 3- إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ط/3، 2000م
- 4- أمين الخولي، المجددون في الإسلام، د، ط، 1992م.
- 5- محمد مرتضى الزبيدي، دار الرشد القاهرة، ط/1، 1966م
- 6- جلال الدين السيوطي، الرد على من اخلد في الأرض، بيروت 1980م
- 7- حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، ط/1، 1982م
- 8- رضوان جودت زيادة، سؤال التجديد في الخطاب الإسلامي المعاصر، ط/1، 2004م.
- 9- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، د. ط، د. ب.
- 10- رفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة، ط/3، 1973م.
- 11- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، دار النهضة، ط/3، 2006م
- 12- عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية، ط/2، 1998م.
- 13- عبد الحميد الشرفي، الاجتهاد الجماعي، دار رئيسة المحكمة، قطر، 1997م.
- 14- مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد 190، الإمارات.

دور المؤسسات التعليمية في مواجهة جماعات التطرف:

تحليل سوسيولوجي مقارنة

د. أحمد محيي خلف صقر

أ.د أسامة عبد الباري

أستاذ علم الاجتماع المساعد

أستاذ علم الاجتماع

كلية الآداب والعلوم - جامعة أم القيوين

كلية الآداب والعلوم - جامعة أم القيوين

المستخلص:

يهدف البحث إلى تعزيز الوعي باهمية مواجهة التطرف في المؤسسات التعليمية في مصر وقد تم استخدام أسلوب التعددية المنهجية وتحليل البيانات الكمية والكيفية في ضوء التحليل السوسيولوجي المقارن وقد توصل البحث إلى تحديد ملامح سياسات تطبيقية للمؤسسات التعليمية في مصر تستند إلى مداخل واقتراحات تركز على الوقاية، التنمية، والمواجهة الواقعية ضد التطرف

الكلمات المفتاحية: التعليم - المؤسسات التعليمية - التطرف - جماعات التطرف.

مقدمة:

يعتبر علم الاجتماع من أهم العلوم الاجتماعية التي تسعى إلى فهم، وتحليل التفاعلات الاجتماعية وأثرها على الفرد والمجتمع، ويشهد العالم اليوم تحديات كبيرة تتعلق بظاهرة التطرف، والتشدد في العقائد والأفكار، والتي تشكل تهديداً خطيراً على الاستقرار الاجتماعي والسلام العام. من هنا فإن مواجهة هذه الظاهرة تتطلب جهوداً متعددة المجالات، ومن أبرز تلك المجالات دور "المؤسسات التعليمية".

فالتعليم هو عامل حاسم في تكوين وتوجيه الفرد وتشكيله الاجتماعي، وهو يمكن أن يكون وسيلة فعالة للوقاية من انتشار التطرف والتشدد؛ لذلك فإن دور العلوم الاجتماعية، وبخاصة علم الاجتماع هو السعي نحو تقديم رؤية شاملة للدور الذي تلعبه "المؤسسات التعليمية" في مواجهة جماعات التطرف، من خلال تحليل سوسيولوجي مقارنة لتجارب عالمية، ومحلية مختلفة السياقات الاجتماعية والثقافية في محاربة التطرف، وذلك بهدف تحديد الأساليب والممارسات الفعالة التي يمكن تبنيها وتطبيقها في المجتمع المصري.

المؤسسات التعليمية تتأثر بشدة ببنية النظام السياسي والثقافي في المجتمع. عندما يكون النظام السياسي متعدد الأطياف، ينعكس هذا في مكانة المعلمين وإدارة المدارس. النظام التعليمي يعكس بنية النظام السياسي. (بدران، 2016: ص3).

ونحن نجد المؤسسات التعليمية الدينية، وفي مقدمتها "مؤسسة الأزهر الشريف" التي كان -وما زال- لها دورٌ تَطْلُعِيٌّ رائدٌ في "تجديد الفكر والخطاب الديني"؛ من خلال تحرير معنى تجديد الفكر، والاتفاق عليه، وتحديد منهجية التجديد، والموقف من قضايا التراث، وكيفية الموازنة الدقيقة بين الثابت والمتغير، اعتماداً على المنهج العلمي الصحيح، الذي حاد عنه طَرَفًا النقيض: دُعَاة التَّطَرُّفِ، والجمود من ناحية، ودُعَاة الانفلات والتغريب من ناحية أخرى (علام، 1441هـ: ص4).

كل ذلك يؤكد لنا - بما لا يدعُ مجالاً للشك - أنَّ المؤسسات التعليمية، المدنية منها، والدينية يقع عليها مسؤوليةٌ كبيرةٌ تتمثل في مواجهة الجماعات المضللة؛ بتنفيذ انحرافاتِها الفكرية، والاستمرار في الجهاد الفكري، والعلمي ضد مخططاتهم، بعون الله أولاً، ثم بجنود العلم، والفكر، والدعوة، والاجتهاد.

ولا شك أن محاولة الاستفادة من تجارب العديد من الدول، وكذلك تجارب العديد من المنظمات، والوكالات الدولية الرسمية في محاولتها للتصدي للتطرف،

وجماعاته من خلال التعليم، ومؤسساته، تظل مطلباً حثيثاً؛ للخروج ببعض الدروس المستفادة والعبر، ما دُمننا نؤمن بأن المعرفة تكاملية، وتراكمية، ومن الطبيعي أن يستفيد إنسان من آخر، ومجتمع من آخر، وتأكيداً على مبدأ الإنفتاح الإيجابي على العالم الخارجي، وتمحيص النظر في تجاربه الإيجابية بعدسة مكبرة.

ونهدف من هذا البحث إلى الوصول إلى مقترحات عملية وملموسة يمكن تطبيقها في المؤسسات التعليمية في مصر بهدف تعزيز الوعي والمقاومة ضد جماعات التطرف كمنطلق أساسي نحو صياغة مقترح تطبيقي يتضمن إجراءات تنفيذية إمبريقية. سيتبع هذا البحث استراتيجية منهجية تشمل استخدام متعدد الأدوات المنهجية، فضلاً عن البيانات الكمية والكيفية، وسيتم تحليلها باستخدام وأساليب البحث السوسيولوجي، كذلك نهدف من خلال هذا البحث إلى توجيه الاهتمام نحو الأبعاد الاجتماعية لمكافحة التطرف وتعزيز السلم الاجتماعي.

أولاً: مشكلة الدراسة وإجراءاتها المنهجية:

1- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها: يمكن تحديد مشكلة الدراسة في بحث طبيعة العلاقة بين متغيرين رئيسيين يتحدد أولهما في المؤسسات التعليمية المسؤولة بشكل مباشر عن نسق التعليم في المجتمع وتشكيل أنماط مختلفة من القيم والمعايير المجتمعية التي تسعى إلى القيام بوظيفة الضبط الاجتماعي لتحقيق نسق متكامل ومستقر، ويتحدد المتغير الثاني في ظاهرة التطرف التي بدأت تنتشر بفعل انتشار أنماط جديدة من القيم المرفوضة التي تهدد كيان المجتمعات واستقرارها.

ويمكن التعبير عن هذه المشكلة البحثية في صورة سؤال رئيسي يتحدد في:

ما هو دور المؤسسات التعليمية في مواجهة ظاهرة التطرف؟

ويشتق من هذا السؤال مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تتحدد في التساؤلات الآتية:

- ما المقصود بكل من مفهومي المؤسسات التعليمية وظاهرة التطرف؟
- ما هي أبرز التجارب الدولية في مكافحة ظاهرة التطرف؟
- ما هي أبرز آليات مواجهة ظاهرة التطرف في السياقات الاجتماعية والثقافية المتباينة؟

- ما هي المداخل النظرية والمنهجية في التعامل مع ظاهرة التطرف؟
- كيف يمكن الاستفادة من التحليل المقارن للتجارب الدولية في بناء تصور مصري لمواجهة التطرف؟
- ما هي السياسات والبرامج التي يمكن تبنيها لدعم دور المؤسسات التعليمية في تحقيق أهداف مكافحة التطرف؟

2- أهمية الدراسة: يمكن حصر أهمية الدراسة الراهنة في نمطين أساسيين هما:

أ- **الأهمية النظرية:** إن دراسة دور المؤسسات التعليمية في مواجهة جماعات التطرف تمثل أهمية نظرية كبيرة في علم الاجتماع؛ حيث تتيح هذه الدراسة فهماً أعمق لكيفية تأثير التعليم على تكوين وتوجيه الفرد والمجتمع وتشكيل نمط القيم السائدة، وكيفية تأثيره في تشكيل المعتقدات والقيم الاجتماعية. إن التحليل السوسولوجي المقارن يساعد في رصد الفروق والتشابهات بين تجارب مختلفة حول العالم، مما يساهم في تطوير نظريات جديدة وفهم أعمق للظاهرة.

كما يمكن أن يساهم هذا البحث في تطوير نظريات علم الاجتماع حول التعليم والتطرف وتأثيرهما المتبادل، وبالتالي يمكن أن يساهم في إثراء مجال البحث الاجتماعي بمفاهيم ونظريات جديدة تستند إلى الأدلة والبيانات الواقعية.

ب- **الأهمية المجتمعية:** من الناحية التطبيقية، يمكن أن تكون هذه الدراسة مفيدة للمسؤولين وصناع القرار في مجال التعليم وصياغة السياسات الاجتماعية؛ فهي توفر معلومات امبريقية وتجارب ميدانية تمت بالفعل حول كيفية تصميم المناهج التعليمية وبيئات التعلم لتعزيز التسامح ومنع التطرف، ويمكن أن يساهم البحث أيضاً في تحديد أفضل الممارسات والاستراتيجيات التي يمكن تبنيها لتعزيز دور المؤسسات التعليمية في توجيه الطلاب نحو مسارات حياة إيجابية، كذلك يمكن أن يلهم المجتمع والجمعيات المدنية أطراً للتعاون مع المؤسسات التعليمية في تنفيذ مبادرات تربوية تهدف إلى تعزيز التسامح ومنع انتشار أفكار التطرف.

وبشكل عام، يعتبر هذا البحث أداة منهجية للفهم والتصدي لتحديات الوقت الراهن المتعلقة بالتطرف، وهو يساهم في تطوير استراتيجيات فعالة للتعامل مع هذه الظاهرة.

3- أهداف الدراسة: يتحدد الهدف الرئيس من الدراسة الراهنة في "التعرف على التجارب الدولية في مواجهة ظاهرة التطرف والانطلاق منها في اقتراح نموذج مصري للمواجهة".

ومن هذا الهدف تتحدد مجموعة الأهداف التالية:

- التعرف على ماهية دور المؤسسات التعليمية وماهية ظاهرة التطرف.
- التعرف على الخبرات والتجارب الدولية في مواجهة التطرف.
- تحديد أهم آليات مواجهة التطرف بأشكاله المتباينة.
- تحديد المداخل النظرية والمنهجية في التعامل مع ظاهرة التطرف.
- اقتراح نموذج تصوري لمواجهة ظاهرة التطرف في المجتمع المصري.
- تحديد ملامح البرامج التي تتبناها المؤسسات التعليمية المصرية لمكافحة ظاهرة التطرف.

4- مفاهيم الدراسة: إنطلاقاً من كون البحث الاجتماعي يتحدد في ضوء الاستناد لمفاهيم بحثية واضحة ودقيقة من هنا فإن الدراسة الراهنة سوف تعتمد على التعريفات الاجرائية التالية:

أ- الدور: يُنظر في الدراسة الراهنة إلى مفهوم الدور باعتباره مجموعة السياسات والبرامج والمداخل النظرية ونماذجها التطبيقية التي تتبناها المؤسسات التعليمية في مواجهة ظاهرة التطرف.

ب- المؤسسات التعليمية: والمقصود بها إجراءات مجموعة المؤسسات التي تقدم خدمات التعليم والتدريب للأفراد، وتشمل هذه المؤسسات كل من: المدارس، والجامعات، والمعاهد، وأي مؤسسة تعليمية أخرى تهدف إلى نقل المعرفة وتطوير المهارات.

ج- التطرف: وهو ظاهرة اجتماعية تحللها الدراسة الراهنة بشكل اجرائي وتحددها في أنماط السلوك أو المواقف التي تتجاوز الحدود الاجتماعية والثقافية المقبولة، وتضم أشكال مختلفة من الأفكار أو المعتقدات المتطرفة أو السلوك الذي ينتهج كافة أشكال العنف المادية.

5- التوجه النظري للدراسة:

تنطلق الدراسة الراهنة من مقولات "النظرية البنائية الوظيفية" التي تركز على الأدوار والوظائف التي تلعبها المؤسسات الاجتماعية في المجتمع، وكيف تسهم في الحفاظ على الاستقرار وتنظيم السلوك الاجتماعي، وتستخدم هذه المقولات بشكل فعال في البحث حول دور المؤسسات التعليمية في مواجهة جماعات التطرف، ويمكن الاعتماد بشكل تطبيقي للتوجه البنائي الوظيفي من خلال:

أ- **مقولة التكامل الاجتماعي** لفهم كيفية تعزيز مفهوم التكامل الاجتماعي بين الطلاب من خلفيات مختلفة بهدف تقليل الاستبعاد الاجتماعي والتطرف.

ب- **مقولة التوجيه والضبط الاجتماعي** حيث يستخدم مفهوم التوجيه والتحكم الاجتماعي لبيان كيفية توجيه المؤسسات التعليمية للسلوك الاجتماعي للطلاب بما يتماشى مع قيم التسامح ومكافحة التطرف.

ج- **مقولة الوظيفة الاجتماعية** حيث يمكن استخدام الوظيفي لدراسة كيفية توفير المؤسسات التعليمية للطلاب بيئة تعليمية تعزز الفهم الثقافي والاحترام المتبادل والمشاركة الثقافية.

د- **مقولة بنية النظام الاجتماعي** من خلال استخدام مفهوم بنية النظام الاجتماعي لدراسة كيفية تأثير تنظيم المؤسسات التعليمية على تشكيل هويات الطلاب ومواقفهم الاجتماعية.

باستخدام هذه المقولات النظرية البنائية الوظيفية في البحث، يمكن للباحثان فحص كيفية تلبية المؤسسات التعليمية للوظائف الاجتماعية والثقافية والتربوية، وكيف يمكن تحسين هذه الأدوار لمكافحة التطرف باعتباره أحد المعوقات الوظيفية التي أشار إليها "ميرتون" والتي تعيق المجتمع عن الوصول لحالة الاستقرار والتوازن.

6- الاستراتيجية المنهجية للدراسة:

إن استخدام منطوق المقارنة في الدراسة الراهنة يساعد على فهم التفاوتات، والتشابهات بين مختلف السياقات والثقافات والمؤسسات، ويمكن أن يكون ذلك مفيداً بشكل كبير عند دراسة دور المؤسسات التعليمية في مواجهة جماعات التطرف، وبكثيرة تحقيق ذلك من خلال:

أ- **تحديد مجال المقارنة:** بين مؤسسات تعليمية في **دول مختلفة** - مثل "المملكة المتحدة البريطانية"، و"صربيا"، و"الدنمارك"، و"ألمانيا"، و"بلجيكا"،

دَوْرُ الْمَوْسَسَّاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ جَمَاعَاتِ التَّنَطُّفِ: تحليل سوسيوولوجي مقارن

و"فرنسا" كمثال لدول أجنبية، ومثال لبعض الدول العربية مثل "المملكة العربية السعودية"، و"مملكة البحرين"، و"الإمارات العربية المتحدة" - وكذلك منظمات دولية - مثل هيئة اليونسكو UNESCO - تواجه تحديات أمام ظاهرة التطرف التي انتشرت على المستوى العالمي.

ب- **تجميع البيانات:** وهي ترتبط بالاطلاع على التراث البحثي فيما يتعلق بالسياسات الاجتماعية التي تم تطبيقها بالفعل في دول ومظمات دولية فضلا عن الوقوف على أبرز النتائج الواقعية التي تم تحقيقها بفعل هذه السياسات والبرامج.

ج- **التحليل المقارن:** وذلك من خلال البحث عن الأوجه المشتركة والاختلافات بين المؤسسات أو السياقات المقارنة. هل هناك نماذج ناجحة يمكن تبنيتها من تجارب دول أخرى؟ هل هناك عوامل محددة تؤثر على دور المؤسسات التعليمية في مكافحة التطرف؟

ثانياً: عرض تجارب عالمية لبعض الدول والمنظمات في مواجهة جماعات التطرف:

1- تجارب أجنبية لبعض الدول في مواجهة جماعات التطرف من خلال المؤسسات التعليمية:

أ- تجربة المملكة المتحدة:

• الإطار العام لتجربة "المملكة المتحدة" في مكافحة جماعات التطرف: حرصت "حكومة المملكة المتحدة" على تدشين عددٍ من الاستراتيجيات الوطنية؛ لردع التطرف بكل أشكاله والوقاية منه، خاصة التطرف العنيف.

وعلى هذا طُرح من قِبَلِ حكومة حزب العمال "استراتيجية الحكومة لمكافحة الإرهاب"، والمعروفة بـ "كونتست" CONTEST في عام (2006)، وتضمنت إجراءات متعددة تهدف إلى "الوقاية" من الإرهاب، ومن هذه الإجراءات: "استراتيجية الوقاية من التطرف العنيف من خلال كسب القلوب والعقول"، والتي تم صياغتها من قِبَلِ "وزارة الجاليات والحكومة المحلية"، و"استراتيجية الوقاية وخطة الإنجاز" الخاصة بجهاز الشرطة، وبذلك تُعد "المملكة المتحدة" أول دولة تدشن إستراتيجيات

وقائية؛ لمنع من التطرف (The Stationery Office, 2009: p10) Prevent Strategy بكل أشكاله (بيردويل، 2016: ص236).

* التدابير التي اتخذتها "المملكة المتحدة" لمكافحة جماعات التطرف اعتمادًا على المؤسسات التعليمية:

كان المميز في "إستراتيجيات المنع من التطرف" التي دشنتها "المملكة المتحدة" أنها متعددة الهيئات، ومنسقة من قِبَل الحكومات المحلية، وبإشراك المؤسسات التعليمية، والشرطة المجتمعية، وكان من بين البرامج المميزة في هذه الاستراتيجيات: "برنامج المسار"؛ الذي تم إطلاقه بهدف ملاحظة المتأثرين بالأفكار المتطرفة، ويتم ذلك من خلال تدريب العاملين في الميدان، كالمعلمين، والمرشدين الاجتماعيين، ومرشدي الشباب، والهيئات المجتمعية حول سبل اكتشاف، وملاحظة علامات الجروح نحو التطرف، وفي حالة ورود إحالة معينة يقوم الفريق المحلي بإجراء تقييم، واتخاذ القرار المناسب، إما بالتدخل، أو بتوفير الدعم المناسب، ويأخذ التدخل غالبًا شكل الإرشاد والتوجيه الشخصي الفردي "Face to Face"، ويمكن أيضًا أن يتضمن مقاربات شاملة في مقدمتها المساعدة في التعليم، والمسكن، وإيجاد فرص عمل (بيردويل، 2016: ص235).

ومن ناحية أخرى وضعت الحكومة واجبًا قانونيًا ملزمًا لكل العاملين للإبلاغ عن الأفراد الذين يُعتَقَد بأنهم معرضين لخطر الانجراف نحو التطرف، ومنذ انتخاب حكومة المحافظين عام (2015)، قدمت قانون الأمن ومكافحة الإرهاب لعام (2015)، والذي يتضمن واجبات جديدة ملزمة للهيئات المتعاملة مع الجمهور، وأن يكون لديهم "الاهتمام الواجب لضرورة وقاية المواطنين من الانسياق نحو التطرف"؛ لذا فنحن نجد أن العاملين في الميدان، كالمعلمين، وموفري رعاية الطفولة، والباحثين الاجتماعيين، ومرشدي الشباب، واختصاصيي الصحة العقلية عليهم واجب قانوني لـ "حماية" الأطفال؛ وذلك من خلال الإبلاغ عن أية شكوك بتعرضهم للإساءة الجسدية (بيردويل، 2016: ص235).

وتوجب بنود الواجب القانوني للاستراتيجية الوقائية على الهيئات العامة، والموظفين الميدانيين بإدراج "التطرف" ضمن واجباتهم في الحماية، وملاحظة مؤشرات الانجراف نحو التطرف، وبحسب وزارة الداخلية، فقد تم تدريب (450,000) موظف حكومي إلى الآن على مهارات ملاحظة مؤشرات وعلامات التطرف، وكونت وزارة الداخلية أداة تعليم إلكترونية، وموقع إلكتروني يسمى "التثقيف ضد الكراهية"

دَوْرُ الْمَوْسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِي مَوْاجَهَةِ جَمَاعَاتِ التَّنَطُّفِ: تحليل سوسولوجي مقارنة

Educate Against Hate يوفر نصائح ومناهج دراسية للمعلمين، والمتوفرة على الموقع www.educateagainsthate.com (Department for Education, 2021) * نموذج للتدابير التي اتخذتها إحدى المؤسسات التعليمية في مواجهة جماعات التطرف في "المملكة المتحدة":

كان من بين إحدى التجارب الرائدة للمؤسسات التعليمية في "المملكة المتحدة" لمواجهة جماعات التطرف، تجربة مدرسة "بريستون مانور" **Preston Manor**، وقد حققت قدرًا كبيرًا من النجاح في التعامل مع الأفكار المتطرفة التي كان يؤمن بها العديد من طلابها، والذين ترجع الأصول العرقية لمعظمهم إلى منطقة "البحر الكاريبي" و"أفريقيا"، وذلك وفقًا لمنهج شامل استند لعدد كبير من الاستراتيجيات، ومنها { (المطيري، 2017: ص 206، 207) (Chisholm and Coulter, 2017) (Pungir, 2007: Pp) (240 - 243):

- التطوير الشامل للمناهج الدراسية: فيتم عقد مجموعات من ورش العمل، وذلك للمساهمة في الجهود التي تبذلها المدرسة؛ لتعزيز قيم المواطنة، ودعم تماسك المجتمع.

- تنمية قدرات المعلمين بالمدرسة على نحو متواصل: حيث يتم إمداد المعلمين بما يحتاجونه من بيانات بحثية حول معدلات التحصيل المتدنية لدى طلاب الأقليات العرقية مثل الزوج، وتوفير إدارة المدرسة تدريبات إضافية شاملة، ومكثفة لكافة المعلمين حول الاتجاهات التي يتعين عليهم تبنيها في مختلف المواقف تجاه تلك الأقليات.

- اللقاءات الدورية مع الآباء، بحيث تحرص المدرسة على عقد لقاءات منتظمة مع آباء الطلاب، بقصد إشراكهم في جهود تطوير المناهج الدراسية.

ب- تجربة صربيا:

* الإطار العام لتجربة "صربيا" في مكافحة جماعات التطرف:

مرت "صربيا" بموجات عنيفة من التطرف، تركت آثارًا بغیضة على المجتمع الصربي، وعلى الدول المجاورة، وتجسد ذلك التطرف الصربي في اعتداء صربيا على دولة "البوسنة والهرسك" منذ الخامس من أبريل عام (1992) (المطيري، 2017: ص 207).

وفي إقليم "سنجق" الصربي، الواقع جنوب غرب صربيا نجد هناك العديد من الشباب قد انضموا إلى تنظيم داعش، حيث يتميز الإقليم بانتماء أغلب سكانه للإسلام (لملوم، 2019)، ويعاني سكان سنجق الصربية من بطالة كثيفة، وشعور بالاستبعاد الاجتماعي والاعتزاز المجتمعي؛ وتصل معدلات الفقر فيها إلى نحو خمسين في المائة، وفقاً لمعهد الإحصاء الصربي، مما يجعل الإقليم أكثر المناطق التي تعاني من الحرمان والعزلة في صربيا (The Center for Free Elections and Democracy, 2016: (Pp 10-11).

وفي عام (2018) وفي إطار الإصلاحات المتواصلة في "صربيا" لمكافحة التطرف والإرهاب، اعتمدت "الجمعية الوطنية" قانوناً يسمح بمحاكمة من يقاتلون في الحروب، والصراعات خارج البلاد، في خطوة لتشديد العقوبات؛ بهدف مكافحة التطرف والإرهاب ((الجمعية العامة للأمم المتحدة، 2012، ص ص 76 - 77) (المطيري، 2017: ص ص 207 - 208)}}

*** التدابير التي اتخذتها صربيا لمواجهة جماعات التطرف اعتماداً على المؤسسات التعليمية:** انتبهت "صربيا" مؤخراً إلى خطورة التطرف، وضرورة وأهمية التصدي له، وفق التعليم، ومؤسساته، وارتأت أن البداية لا بد أن تكون من "المنهج المدرسي"، بحيث يكون داعماً للتسامح المجتمعي، وأن يقوم على الأسس التالية (المطيري، 2017: ص ص 207 - 208):

- إيجاد توازنٍ سليمٍ بين المناهج، وقُدُرات المعلمين في أثناء العمل مع الفئات المستهدفة.

- التأكيد على أن المعاملة التمييزية للطلاب على أي أساس يمكن أن تكون أحد عوامل الخطر المساهمة في خلق بيئة مناسبة للتطرف

- توجيه الانتباه في المنهج إلى التأثيرات المجتمعية التي خلفها قانون مكافحة الإرهاب على حرية التعبير، ودور شبكات التواصل الاجتماعية، وإمكانية الاستفادة منها في مواجهة دعوات التطرف التي تُثار في هذا العالم الرقمي.

ج- تجربة الدنمارك:

* الإطار العام لتجربة الدنمارك في مكافحة جماعات التطرف:

تعدُّ "التجربة الدنماركية" من أشهر التجارب الأوروبية التي تركز على التكامل، والشمول من خلال الجمع بين مقاربة الحرب، والعدالة الجنائية، والاحتواء؛

ففي الوقت الذي تقوم فيه "الدنمارك" باعتقال، ومحاكمة المقاتلين العائدين الذين ثبتت مشاركتهم في أعمال التطرف، وتحديدًا التطرف العنيف، إلا أنها تقدم المساعدة للآخرين، وتعمل على تأمين فرص العمل، والسكن، والتعليم، والإرشاد (أبو هنية، 2013: ص32).

وتقوم "التجربة الدنماركية" في سبيل مكافحة جماعات التطرف بكل أشكالها، على نهجين أساسيين، الأول: على تطوير مقاربات محلية متعددة الهيئات، ومنسقة من قبل الحكومات المحلية، وبإشراك المؤسسات التعليمية، والاجتماعية، والشبابية، والشرطة المجتمعية، تسمى منظمة "المدارس والخدمات الاجتماعية والشرطية" (SSP)، وينصب جُلُّ عملها على تدريب العاملين في الميدان على اكتشاف وملاحظة علامات الجنوح نحو التطرف، والخيارات المتاحة في حال تواجدها (Brett, et al, 2015, p 52).

أما النهج الثاني فيتمحور حول الاحتواء، والإدماج الاجتماعي؛ ومن أشهر التجارب المرتبطة بهذا النهج تجربة "نموذج آر هوس" Arhus Model، ويتلخص برنامج معالجة التطرف على التكامل بين المؤسسات الحكومية، والمجتمع المدني من خبراء، ومستشارين نفسيين، واختصاصيي الرعاية الصحية، والمساعدة على العودة إلى المسار التعليمي أو المهني، والانسجام مع المجتمع بالنسبة للمتطرفين الفعليين أو من ظهرت عليهم علامات التطرف (أبو هنية، 2013: ص32).

والجزء الأهم والأبرز في "برنامج آر هوس" هو استخدامه لمعلمين شخصيين، يمكن للمتطرفين العائدين، أو من ظهرت عليهم علامات الجنوح إلى التطرف أن يلجأوا إليهم فيما يخص حياتهم اليومية، ويدخلوا معهم في حوارات جديّة بشأن الدين، والقضايا الجدلية الأخرى الدافعة للتطرف، كما يركز نموذج "آر هوس" على وَحْدَةٍ في قسم شرطة شرق جوتلاند تعرف باسم "إنفو هاوس" أو (بيت المعلومات)، وتشكل هذه الوحدة صلة اتصال متكررة للآباء، والأمهات الذين يتخوفون من وقوع أولادهم في التطرف، فهناك يتولى موظفون مدربون الإجابة على الاتصالات الواردة عبر الخط الساخن، حيث ينصحون هؤلاء الآباء والأمهات بالمشاركة في شبكات مع غيرهم من الأهالي، ويتم تعليمهم أيضًا كيفية التواصل مع أولادهم والتأثير على المقاتلين للعودة إلى ديارهم عندما يكون ذلك ممكنًا (أبو هنية، 2013: ص33)، ويشكل الإرشاد الاجتماعي والنفسي عنصرًا جوهريًا ويتولى

المرشدون الاجتماعيون، وعلماء النفس، والأطباء النفسيين إجراء عمليات تقييم المخاطر (كيرشوف وآخرون، 2015).

* التدابير التي اتخذتها الدنمارك لمواجهة جماعات التطرف اعتمادًا على المؤسسات التعليمية:

اعتمدت الدنمارك بصورة أساسية على العديد من الآليات لمواجهة جماعات التطرف، اعتمادًا على التعليم، ومؤسساته، ومن بين تلك التدابير ما يلي:

- أطلقت الحكومة الدنماركية Vink Programme؛ وهو من مبادرات مدينة "كوبنهاجن" الرامية مباشرة إلى معالجة مشكلة التحول الراديكالي، ومكافحة التطرف بكل أشكاله، وتقليص المخاطر في المجتمع الدنماركي؛ حيث تتألف "وحدة فينك" من مجموعة من الأشخاص من جهات متعددة منهم خبراء واختصاصيون، في مقدمتهم المدرسون الذين يعرفون الكثير عن الحركات المتطرفة (شبكة المدن القوية، 2021)، ويمكن الدخول إلى البرنامج عبر الرابط <https://vink.kk.dk/>.

- إنشاء مشروع "المواطنة متعددة الثقافات" IIC منذ عام (2013)، والذي يجري دعمه من خلال "برنامج الشراكة الدنماركية العربية"، بوزارة الشؤون الخارجية الدنماركية، ويهدف المشروع إلى تعزيز التفاهم بين الثقافات، وخلق فهم شمولي لمصطلح المواطنة، والمشاركون هم ممثلون عن المؤسسات الدينية المختلفة في لبنان، والمتعاونين معًا لخلق "دليل إرشادي" للمواطنة (رامسدال، 2016).

د- نماذج أجنبية أخرى:

* في "ألمانيا" ظهر مشروع مبتكر آخر يُعرف باسم "مشروع حياة"، ويُنفذ بالشراكة مع المكتب الاتحادي للهجرة، واللجئين منذ يناير (2012)، وذلك لعمل تقييم فردي للمقاتلين الأجانب العائدين، وعندما يكون ذلك ممكنًا، يتم توجيههم من خلال عملية الإرشاد، وإعادة الدمج في "برلين"، و"ألمانيا الشرقية" (معهد العالم للدراسات في أسئلة الواقع وإجاباته، 2018).

ويرتكز النموذج المنهجي لمشروع "حياة" على عملية ثلاثية الجوانب لنزع التطرف من شأنها أن تشجع على إعادة دمج تدريجية في المجتمع وهي:

- أولاً: الجانب العقائدي، ويستند إلى نزع الشرعية، وإبطال خطاب الجماعة المتطرفة، وتشجيع المتطرفين على التصالح مع ماضيهم.

دَوْرُ الْمَوْسَسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِي مَوْاجَهَةِ جَمَاعَاتِ التَّنَطُّرِفِ: تحليل سوسولوجي مقارنة

- ثانيًا: الجانب التعليمي والعملية، ويقوم على مساعدة المقاتلين الأجانب في العثور على عملٍ أو تعليمٍ أو تدريبٍ، وعلى إيجاد سكنٍ لهم.

- ثالثًا: الجانب العاطفي، ويعتمد على معالجة الاحتياجات العاطفية؛ لكي يجدوا الدعم من قِبَلِ عائلاتهم، وإنشاء مرجعية اجتماعية بديلة (ليستر، 2015).

* **كما تبنت "بلجيكا"** نموذجًا مشابهًا، يقوم بالاعتماد على علم النفس في تحديد دوافع الانضمام للتنظيمات الإرهابية عبر إخضاع العائدين من سوريا لمتابعة نفسية واجتماعية؛ لتحديد المحفزات الدافعة لتبني التوجهات الراديكالية والخطاب العقائدي الذي تتبعه التنظيمات الإرهابية في اجتذاب كوادِرَ جديدةٍ من بين الشباب (مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2014).

* **وتبنت "فرنسا"** برنامجًا لمكافحة التطرف، في أكتوبر (2013)، يقوم على إطلاق حملات توعية؛ لتشجيع الآباء والأمهات على الإبلاغ عن أي تحول في سلوكيات، ومعتقدات أبنائهم، ومنع هجرة الأبناء القُصَّرِ دون موافقة أولياء أمورهم، واختراق ومنع المواقع الراديكالية التي تقوم ببيت المعتقدات التكفيرية، واستقطاب الشباب للقتال في سوريا والعراق (مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2014).

* **وتوازى ذلك مع تأسيس "ألمانيا"** مراكز اتصالٍ إلى جانب مشروع "حياة" لتقديم المشورة للأسر في حالة ظهور بوادر للتطرف الديني على أبنائهم، وتقديم التوعية النفسية والاجتماعية والدينية للشباب المُحتَمَلِ تجنيدهم في صفوف التنظيمات الإرهابية (مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2014).

2- تجارب عربية لبعض الدول في مواجهة جماعات التطرف من خلال المؤسسات التعليمية:

أ- تجربة المملكة العربية السعودية:

كانت "المملكة العربية السعودية" من قرابة عقدين ماضيين هدفًا لعدد من الهجمات الإرهابية، وقد أصدرت "هيئة كبار العلماء" في المملكة بيانًا عام (1999) حول التطرف أشارت فيه: "أن أعمال استباحة الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامّة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت محرمة شرعًا بإجماع المسلمين (البادي، 2016: ص ص 117 - 118).

* التدابير التي اتخذتها المملكة العربية السعودية في مكافحة التطرف وجماعاته اعتمادًا على المؤسسات التعليمية:

اعتمدت المملكة العربية السعودية منذ عام (2005) ثمانى استراتيجيات لمكافحة التطرف والإرهاب، وقد تمثلت تلك الاستراتيجيات في عدة تدابير، أهمها إستراتيجية التوعية الفكرية والتصدي للانحراف الفكري (منظمة الأمم المتحدة، 2009: ص ص 39 - 57) وقد اعتمدت المملكة هذه الاستراتيجية؛ لمواجهة الفكر المنحرف بالاعتماد على المؤسسات التعليمية؛ إيمانًا منها بأن الإرهاب في الأساس فكر منحرف، وليس فعلاً فحسب، وليس هناك أفضل من المؤسسات التعليمية لمواجهة الفكر بالفكر.

* الملامح العامة لاستراتيجية التوعية الفكرية والتصدي للانحراف الفكري:

تولّى مجلس الشورى في "المملكة العربية السعودية" دراسة ظاهرة التطرف، من جميع جوانبها الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والجنائية، وفي ضوء هذه الدراسة تم وضع الملامح العامة لاستراتيجية "التوعية الفكرية والتصدي للانحراف الفكري"، وكانت أهم ملامحها (منظمة الأمم المتحدة، 2009: ص ص 39 - 57):

- ضرورة معالجة التطرف، والانحراف الفكري من الجوانب التربوية، والتعليمية، والإعلامية، والاقتصادية بالإضافة إلى الجانب الأمني.

- لزاما على المؤسسات الفكرية القيام بدورها في بناء المفاهيم الصحيحة، وصون القيم الإنسانية السليمة، وتحصين المجتمعات ضد الأفكار المنحرفة، والأفعال الخبيثة الشريرة.

- تثقيف المجتمع فكرياً تجاة ظاهرة التطرف من خلال برامج توعية تعتمدها المؤسسات التعليمية، وعبر وسائل الإعلام المختلفة.

- إنشاء مركز "الملك عبدالعزيز للحوار الوطني" للإسهام في صياغة خطاب ديني مبني على الوسطية داخل المملكة وخارجها من خلال الحوار البناء.

- إنشاء "إدارة عامة للأمن الفكري" تعمل تحت مظلة "مؤسسات التعليم العالي" بالتعاون مع "وزارة الداخلية"؛ للمعالجة وذلك من خلال القيام بدراسات عملية وفكرية، وعقد العديد من اللقاءات والدورات التدريبية.

- إنشاء "لجنة للمناصحة" مكونة من رموز العلماء تعمل على مكافحة الفكر بالفكر.

- تنبثق عن هذه اللجنة ثلاث لجانٍ أولها للتنسيق العلمي، وتعمل على وضع خطط المناصحة للموقوفين، وعقد الدورات العلمية، واللجنة الثانية، مهمتها دراسة أوضاع

السجناء، والتوصية بإطلاق سراح من ثبت حسن نواياه، واللجنة الثالثة، تدرُسُ الأوضاع المالية، والاجتماعية للسجناء وتعمل على حل مشاكلهم.

- دعوة الجهات الحكومية بمختلف مؤسساتها، وأجهزتها التربوية، والإعلامية، ومتابعتهم، والقيام بواجباتها بالمبادرة إلى إبلاغ وزارة الداخلية عن أية ملاحظات قد تؤدي بالأبناء إلى الوقوع في براثن التطرف والإرهاب.

* نموذج لفعاليات تنفيذ استراتيجية التوعية الفكرية في المملكة:

أقدمت بعض المؤسسات التعليمية في المملكة على تنفيذ استراتيجية "التوعية الفكرية والتصدي للانحراف الفكري" في المملكة في حدود اختصاصاتها، وكان في مقدمة تلك المؤسسات التعليمية "مدارس الرياض"، التي قدمت بعض الفعاليات والممارسات لدعم الأمن الفكري لدى طلابها من خلال برنامج "الأمن الفكري" الذي تم إعلانه في عام (2008)، وامتنالاً لاستراتيجية التوعية وشعار برنامجها: 'فكر آمن.. حياة مطمئنة' كان من أهم ما قدمته (جوهر وجمعه، 2017: ص ص 222 - 223):

- إنشاء لجان للأمن الفكري بكل مدرسة من مدارس الرياض.
- تنظيم المحاضرات، والندوات، وإصدار النشرات المتخصصة المؤكدة على التسامح والأمن الفكري، ومواجهة الغلو والفكر المتشدد.
- تشكيل لجان نوعية متخصصة لتحقيق الأمن الفكري بالمؤسسات التعليمية بالرياض تقوم بمتابعة حالات التطرف الفكري، ورصدها، وتحليل كل حالة من هذه الحالات، وإعداد تقارير متخصصة بأسلوب تربوي سليم.
- التواصل مع رجال الأمن لضبط الخارجين عن القانون، إذ إن الحفاظ على قواعد السلم، والأمن المجتمعي السليم تستدعي هذه الشراكة.

ب- تجربة مملكة البحرين:

* التعريف بالإطار العام لتجربة مملكة البحرين:

يفيد تقرير "مملكة البحرين" الأول الصادر عن "لجنة مكافحة الإرهاب" التابعة "لمجلس الأمن" بأن قانون العقوبات البحريني الصادر بالمرسوم بقانون رقم (15) لعام (1976) لم يتضمن نصاً صريحاً بالأعمال الإرهابية، وأعمال التطرف، لكنه يتضمن العديد من النصوص في الباب السادس الخاص بالجرائم ذات الخطر

العاملاتي تتدرج في عداد جرائم التطرف والإرهاب؛ لأن من شأنها تعريض حياة الناس، وأموالهم للخطر وترويعهم (منظمة الأمم المتحدة، 2009: ص ص 109 - 110).

وفي تقرير اليونسكو "التعليم عرضة للاعتداء"، وفي نفس السياق أبدت المنظمة قلقها إزاء تزايد الاعتداءات على المدارس في العالم، كما أدانت كل من "الإيسيسكو" و"الألكسو" أعمال العنف، والتخريب التي تعرضت لها المدارس في "مملكة البحرين" (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2010).

*** التدابير التي اتخذتها مملكة البحرين في مكافحة التطرف وجماعته، اعتماداً على المؤسسات التعليمية:**

قامت حكومة "مملكة البحرين" بالعديد من المعالجات التربوية، والتشريعية لمواجهة آثار الاعتداءات التطرفية، والتخريبية في ضوء التجربة التي مرت بها في أحداث (2011) وما تلاها، وتمثلت أهم تلك المعالجات في التدابير الآتية:

- استحداث مشروع "المدرسة المعززة للمواطنة وحقوق الإنسان" الذي حقق نجاحاً متميزاً في نشر مبادئ التعايش، والتسامح، وتقبل الرأي الآخر، ونبذ العنف، في الفضاء المدرسي، عبر "المنهج الدراسي" و"الأنشطة" التي ينفذها الطلبة والتربويون، وأظهرت التقارير الرسمية " أن هذا المشروع قد أدى إلى انخفاض الممارسات، والعادات، والظواهر غير المرغوبة في صفوف الطلاب، ونتج عن هذا المشروع أيضاً تراجع واضح لنسب المخالفات السلوكية لدى الطلاب (جريدة العين الإخبارية، 2017).

- تم إطلاق "مشروع المنهج الوطني" الذي أسفر عن إعداد الإطار التوجيهي لتعليم المواطنة، وحقوق الإنسان عام (2012)، واستحداث مقرر إلزامي يعني بحقوق الإنسان وبناء منظومة مناهجية وطنية تساهم على صعيد التنمية الإنسانية في تحقيق المرور الفعال، السلس والأمن إلى مجتمع (2030) الذي ينبذ التطرف (وزارة التربية والتعليم، دن).

*** نموذج مملكة البحرين لمواجهة جماعات التطرف من خلال مؤسسات التعليم:**

قام مركز الإعلام الأمني "Police Media Center" بمملكة البحرين بتقديم رؤية تربوية جيدة لتحقيق الأمن الفكري داخل المملكة بعنوان "المنهجية التربوية ودورها في مواجهة ظاهرة التطرف الفكري"، وجاءت ملامحها العامة فيما يلي (جوهر وجمعه، 2017: ص ص 224 - 227):

- الأهداف العامة للرؤية المقترحة:

- ترسيخ الفكر التربوي الداعم للأمن الفكري داخل مؤسسات التعليم بمملكة البحرين.
- حماية عقول الشباب من التطرف الفكري.
- الاستفادة من الرؤى المتخصصة لعلماء التربية؛ إذ هم الأقدر على تحقيق الأهداف المرجوة من تلك الرؤية المقترحة.
- تنفيذ رؤى المتطرفين الفكرية، وتدعيم الآليات المقننة لمواجهة هذه الأفكار بحسم وصرامة.

- آليات تحقيق الرؤية المقترحة:

- اعتمدت الرؤية المقترحة التي قدمها "المركز" على عدة آليات عملية يمكن من خلالها البدء في دعم جهود محاربة التطرف الفكري وجاءت على النحو التالي:
- دعم دور المؤسسات التعليمية بالمملكة، وذلك من خلال الدور البنائي، والذي يعتمد على تنشئة المؤسسات لأبنائها على المنهج الوسطي النقي بالتعاون مع الأسرة، والدور الوقائي، من خلال التحذير من الفكر المتطرف، واكتشاف وجوده مبكرًا، وتبصر الطلاب بخطورته، وسبل مقاومته، وأخيرًا جهود الدور العلاجي ويقصد بهذا الدور مجموعة الإجراءات التي يجب اتباعها لتحقيق الأمن النفسي ومحاربة الفكر المتطرف داخل مؤسسات التربية بمملكة البحرين.

ج- تجربة الإمارات العربية المتحدة:

* التعريف بالإطار العام لتجربة الإمارات العربية المتحدة:

ترفض دولة الإمارات التطرف بجميع صورته وأشكاله، وتجدد التزامها على الدوام ليس بمواجهته والتصدي له فحسب، بل بمحاربة الأيديولوجيات المتطرفة التي تغذي العنف الذي تمارسه الجماعات المتطرفة ويتطلب كل وجه أسلوبًا خاصًا لمواجهته؛ ولهذا فإن الجهود المبذولة لتحدي التطرف يجب أن تعالج كل مرحلة بدءًا من معالجة جذور الراديكالية إلى مكافحة عمليات التجنيد، ووصولًا إلى المشاركة الفعالة في المجتمع (وزارة الخارجية والتعاون الدولي، 2019).

* التدابير التي اتخذتها دولة الإمارات العربية في مكافحة التطرف وجماعته اعتماداً على المؤسسات التعليمية:

لقد أدركت دولة "الإمارات العربية المتحدة" خطورة الفكر المتطرف مبكراً، فانتهجت في ذلك أسلوب الوقاية منه معتمدةً على التعليم، ومؤسساته الدينية، والبحثية؛ إيماناً منها بأن المؤسسات التعليمية منارة لبث الوعي، وأن التعليم أداة فاعلة لتحصين النشء والشباب من الأفكار الهدامة؛ لذا قامت بـ:

- تم ضبط الخطاب الديني في مؤسسات الدولة الرسمية، ومنابرها الدينية والإعلامية، ومناهج تعليمها الديني، سواء كان ذلك على مستوى مناهج التربية الإسلامية في التعليم النظامي، أو المناهج الموحدة في مراكز تحفيظ القرآن الكريم التابعة للهيئة العامة للشئون الإسلامية والأوقاف (وزارة الخارجية والتعاون الدولي، 2019).

- قامت الدولة في عام (2012) بتأسيس مركز "هداية" بالشراكة مع "المنتدى العالمي لمكافحة الإرهاب"؛ وهو مركز دولي معني بالتدريب، والحوار، والأبحاث، وتعتبر دولة الإمارات عضواً مؤسساً في "المنتدى العالمي لمكافحة الإرهاب"، ورئيساً مشاركاً لـ "مجموعة عمل مكافحة التطرف العنيف" التابعة للمنتدى مع المملكة المتحدة من عام (2011) إلى عام (2017) (أبورمان، 2016: ص20).

- أما في إطار جهودها المستمرة لمكافحة التطرف، وتحديدًا على مواقع التواصل الاجتماعي، فقد عملت دولة "الإمارات" على تأسيس مركز "صواب" الذي انطلقت أعماله في مارس (2015)، وهي مبادرة تفاعلية للتراسل الإلكتروني، تهدف إلى دعم جهود التحالف الدولي في حربه ضد التطرف، والإرهاب (البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 2020).

- تعيين وزيراً للتسامح لنشر قيم التسامح، والتعايش السلمي في البلاد، وخارجها، وأنشأت "المعهد الدولي للتسامح" في إمارة دبي؛ (وزارة الخارجية والتعاون الدولي، 2019).

- في فبراير (2019) قامت الدولة باستضافة مؤتمر "الأخوة الإنسانية" بهدف تفعيل الحوار حول التعايش، والتآخي بين مختلف الديانات، والثقافات، وقد صدر عن المؤتمر "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك" (وزارة الخارجية والتعاون الدولي، 2019).

* نموذج دولة الإمارات العربية المتحدة لمواجهة جماعات التطرف من خلال المؤسسات التعليمية:

لم تدخر دولة "الإمارات العربية المتحدة" جهداً في مكافحة التطرف بكافة أشكاله، ومظاهره؛ حيث كانت من أوائل الدول التي اعتمدت استراتيجية شاملة لمكافحة التطرف والإرهاب معتمداً على التعليم، وتقوم هذه الاستراتيجية على أربعة محاور رئيسية، هي: المحور التعليمي والبحثي، والمحور القانوني والتشريعي، والمحور الديني والثقافي، والمحور والاجتماعي، وكان أهم ملامح المحور التعليمي والبحثي:

كما أنشأت دولة الإمارات مركز "هداية" الدولي -كما سبق وأشرنا- لمكافحة التطرف العنيف، والذي افتتحته في ديسمبر (2012) بإمارة أبوظبي والذي يُعد أول "مؤسسة تعليمية بحثية وتطبيقية" مستقلة لمكافحة التطرف وجماعاته، بكافة أشكاله، ومظاهره (البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 2020).

ولا شك أن كل هذه التجارب الدولية الأجنبية منها والعربية، وعلى الرغم من اختلاف الخلفيات الثقافية والفكرية، إلا أنها ثرية بالعديد من المبادرات الخلاقة، التي يمكن الاستفادة منها بصور مختلفة في حالة التجربة المصرية، وهو ما سوف يتم توضيحه لاحقاً.

3- تجارب بعض المنظمات الدولية في مواجهة جماعات التطرف من خلال مؤسسات التعليم:

أ- تجربة اليونسكو:

* التعريف بالوكالة وأهم توجهاتها بشأن مواجهة جماعات التطرف من خلال التعليم ومؤسساته:

تسهم جهود "اليونسكو" في هذا الميدان في تحقيق الخطة العالمية للتعليم- أجندة التعليم (2030)- وبشكل خاص تنفيذ المقصد (7/4) التابع للهدف (4) من أهداف التنمية المستدامة حول التعليم، ومن أبرز توجهات "اليونسكو" في ذلك السياق {منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2018} (UNESCO, 2017):

- التعليم كأداة لمنع التطرف العنيف:

- تعزيز وتكوين الائتلافات على الإعلام وشبكة الإنترنت:

- مشاركة الشباب وتمكينهم:

- تكريس التنوع الثقافي:

* دليل اليونسكو لمنع التطرف من خلال التعليم:

- حول الدليل وأهدافه:

أصدرت "اليونسكو" في عام (2017) دليل لاصانعي السياسات في دول العالم لمواجهة، ومنع التطرف من خلال التعليم، وقد تم اصدار الدليل باللغة الإنجليزية، ثم أعقبه الدليل ذاته، ولكن باللغة العربية عام (2018)، وقد أصدرت "اليونسكو" هذا الدليل بهدف مساعدة البلدان في جهودها لمناهضة، ومواجهة التطرف من خلال التعليم.

- أقسام الدليل:

يتكون الدليل من خمسة أقسام، يتناول القسم الرابع منه استراتيجيات مواجهة جماعات التطرف من خلال المؤسسات التعليمية، وهي على النحو التالي:

- تطوير المناهج الدراسية المستخدمة.
- تدريب المتعلمين.
- إصلاح ودعم بيئة المدرسة ككل.
- الاعتماد على التعليم غير النظامي وتشجيع المبادرات المجتمعية، ودعم الشراكة بين قطاعات المجتمع المختلفة.

وبصفة عامة يقدم الدليل العديد من الإرشادات التوجيهية لمواجهة التطرف وجماعاته، وبخاصة جماعات التطرف العنيف اعتماداً على المؤسسة التعليمية، مؤكداً على أهمية دور المعلم، والمناهج، والبيئة المدرسية في تعزيز قدرة الشباب، وتحسينهم ضد الأفكار المتطرفة والمعتقدات الخاطئة، كما أوضح أهمية تشجيع، ودعم المبادرات المجتمعية، واستخدام المنصات الإعلامية، وشبكة الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي في محاربة التطرف، والإرهاب، والعنف، مع مراعاة اختلاف السياقات الثقافية، واختلاف المجتمعات، والتنوع.

ب- تجربة منظمة البحث عن أرضية مشتركة:

• التعريف بالمنظمة والكتيب:

- عن المنظمة:

منظمة "البحث عن أرضية مشتركة" تعمل منذ عام (1982) لتغيير طريقة تعامل العالم مع الصراع، بعيداً عن المناهج العدائية، والتوجه نحو حل المشكلات بصورة تعاونية، وتستخدم المنظمة نهجاً متعدد الأوجه لإيجاد وسائل مناسبة ثقافياً لتعزيز قدرات المجتمعات على التعامل مع الصراعات بشكل بناء، وتستخدم أيضاً المبادرات الإعلامية، وتعمل مع الشركاء المحليين في القطاعات الحكومية، ومؤسسات المجتمع المدني لفهم الاختلافات والعمل على القواسم المشتركة (منظمة البحث عن أرضية مشتركة بالتعاون مع مركز هداية، 2019).

- عن الكتيب ومقدمته:

ويُعد هذا الكتيب محاولة للتغلب على هذه التحديات، وقد تم تصميمه لتوفير التدريب للعاملين في الحكومة والمجتمع المدني في مجال مكافحة التطرف، سواء توفرت لديهم خبرة سابقة في ذلك أم لا، وتم تقسيم الكتيب إلى عشر وحدات تعليمية، كان أهمها الوحدة السابعة التي تناولت دور التعليم في منع التطرف ومكافحته، حيث يقدم الكتيب في هذه الوحدة الرؤى حول قدرة المبادرات، أو الإصلاحات التعليمية على التصدي للدوافع المؤدية للتطرف، ومن ثمّ المساهمة في منع التطرف العنيف عبر تعزيز قدرة الطلاب على الصمود، ويسترشد المشاركون من خلال النقاش إلى الموانع المحتملة، أو عناصر التمكين في النظام التعليمي بدءاً من محتوى المنهج الدراسي، إلى الطريقة التي تتناول الدوافع المؤدية للتطرف العنيف داخل البنية المدرسية (منظمة البحث عن أرضية مشتركة بالتعاون مع مركز هداية، 2019).

ويناقش الدليل الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما دور التعليم في بناء القدرة على الصمود إزاء التطرف العنيف، وتعزيزها؟
- ما العوامل في البيئة التعليمية التي يمكن أن تؤثر على الصمود الفردي أو المجتمعي أمام التطرف العنيف للأفضل أو للأسوأ؟
- ما الاستراتيجيات المتبعة لمكافحة التطرف العنيف التي يجب تنفيذها في البيئات التعليمية الرسمية وغير الرسمية لمواجهة جماعات التطرف؟

- كيف يمكننا تناول دوافع التطرف العنيف في البيئات المدرسية ووضع مبادرات تعليمية مناسبة لمعالجتها؟

- ما بعض مخاطر تنفيذ مشاريع أو سياسات التطرف العنيف في البيئات التعليمية الرسمية وغير الرسمية؟

* الاستراتيجيات المتبعة التي أشارت إليها المنظمة لمواجهة جماعات التطرف من خلال المؤسسات التعليمية:

يمكن تقسيم الجهود التعليمية لمنع التطرف، ومكافحته إلى فئتين رئيسيتين:

- التعليم من أجل مكافحة التطرف، وهي الجهود التي "يمكن من خلالها استخدام التعليم الرسمي، أو غير الرسمي كأداة للحد من العوامل التي تؤدي إلى التطرف.

- التنقيف بشأن مكافحة التطرف، وهي الجهود المبذولة من أجل تنقيف الجمهور بشأن مخاطر الراديكالية والتطرف بكل أشكاله (منظمة البحث عن أرضية مشتركة بالتعاون مع مركز هداية، 2019).

ثالثاً: أنماط الاستفادة من التجارب الرائدة في مواجهة جماعات التطرف: دروسٌ وعبرٌ:

بالبحث والتدقيق والمقارنة وُجِدَ العديد من الدروس المستفادة من مختلف البرامج الإقليمية، والعالمية للدول، وللوكالات الدولية سألفة الذكر، لكن تظل العبرة بالكم ليست كما العبرة بكيفية الاستفادة من تلك الدروس، فما أكثر العبر، وما أقل الاعتبار؛ لذا فإن عملية التحليل المقارن للنماذج الدولية السابقة تفتح المجال أمام وضع تصور مقترح يمكن ان يستفاد منه في النموذج المصري، وتبدو ملامح هذا المقترح في الجدول التالي:

جدول (1) : يوضح الدروس والعبر المستفادة من عرض بعض التجارب الرائدة في مواجهة جماعات التطرف من خلال التعليم وآلياته

م	الدروس المستفادة	أهم ملاحظاتها من جميع التجارب	كيفية الاستفادة منها في حالة التجربة المصرية
1-	المدخل الوقائي	<p>أ- تدشين إستراتيجيات وقائية؛ لمنع من التطرف متعددة الهيئات، ومنسقة، وبإشراك المؤسسات التعليمية، مثل "برنامج المسار"؛ في تجربة دولة "المملكة المتحدة".</p> <p>ب- وَضْعُ واجبِ قانوني ملزم لكل العاملين في ميدان المؤسسات التعليمية- وفي مقدمتهم المعلمين، والاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين- للإبلاغ عن الأفراد الذين يُعتقد بأنهم معرّضين لخطر الجنوح نحو التطرف؛ أسوةً بتجربة "المملكة المتحدة".</p>	<p>إنشاء مركز/ وحدة رسمية (بقانون) للوقاية من التطرف في مختلف المؤسسات التعليمية؛ لاكتشاف المتأثرين بالأفكار المتطرفة وملاحظتهم، وتوجيههم، على أن يشمل ذلك تدريب العاملين في الميدان، كالمعلمين، والاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين، ومختصي مكاتب رعاية الطلاب بالمدارس، والجامعات.</p>
2-	مدخل التفاعل والدمج	<p>التكامل بين المؤسسات الحكومية، والمجتمع المدني في البحث عن كيفية الاحتواء، والعودة إلى نمط الحياة الطبيعية والانسجام مع المجتمع بالنسبة للمتطرفين الفعليين العائدين، أو من ظهرت عليهم علامات التطرف، مثل ما حدث في</p>	<p>تقديم مراجعات تصحيحية احتوائية مع العائدين من الانضمام للجماعات المتطرفة، ومن ثبت أنهم رجعوا عن الفكر الضال، وكذلك دراسة أوضاع السجناء، والتوصية بإطلاق سراح من ثبت حسن نواياهم، كفرصة ثانية، وكمبادرات إدماجية من قِبَلِ الدولة، وتلك</p>

كيفية الاستفادة منها في حالة التجربة المصرية	أهم ملاحظاتها من جميع التجارب	الدروس المستفادة	م
<p>المبادرات سيكون لها العديد من الفوائد، نذكر منها، <u>الأولى</u> التعرف على طرق وأساليب تجنيد المتطرفين من قبل أقطاب الجماعات المتطرفة، وذلك الأمر سيفيد الجهات المعنية، والفائدة <u>الثانية</u> هي كسر شوكتهم، وخيبة أملهم حينما يرون رجوع المجندين إلى رشدهم، وندمهم.</p>	<p>تجرب دولة "الدنمارك"، وتجربة مشروع "حياة" في دولة "ألمانيا"، وتجربة هيئة "اليونسكو".</p>		
<p>فَتُحُ المجال كاملاً لمختلف المؤسسات التعليمية، وعلى مختلف المراحل؛ من أجل البحث، والنشر العلميين، وعدم الحجر على الأعمال العلمية، مثل: النَّدَوَات، والمؤتمرات، والمشاريع البحثية التي تتوافق مع إستراتيجية الدولة في مقاومة التطرف.</p>	<p>أ- تطوير مواد تعليمية حول المواطنة بين الثقافات، بحيث تستخدم على نطاق واسع في المؤسسات التعليمية (تجربة دولة الدنمارك).</p> <p>ب- استحداث مشروع "المدرسة المعززة للمواطنة وحقوق الإنسان"؛ لنشر مبادئ التعايش، والتسامح، وتقبل الرأي الآخر (تجربة مملكة البحرين).</p> <p>ج- إنشاء "المعهد الدولي للتسامح"؛ لبحث روح التسامح في المجتمع، ولترسيخ ثقافة الانفتاح، والحوار الحضاري، ولنبذ التعصب، والتطرف، والانغلاق الفكري، وكل مظاهر</p>	<p>المدخل المعرفي</p>	<p>3-</p>

م	الدروس المستفادة	أهم ملاحظاتها من جميع التجارب	كيفية الاستفادة منها في حالة التجربة المصرية
		<p>التمييز بين الناس (تجربة دولة الإمارات).</p> <p>د- الاعتماد على التعليم غير النظامي وتشجيع المبادرات المجتمعية، ودعم الشراكة بين قطاعات المجتمع المختلفة؛ لتشجيع التأمل الذاتي، والتفكير النقدي، في المؤسسات التعليمية، ليس فقط بالنسبة إلى الشباب، بل بالنسبة إلى عائلاتهم ومجتمعاتهم المحلية أيضاً (تجربة هيئة "اليونسكو").</p>	
4-	المدخل التواصلي	<p>أ- إضعاف الآلة الإعلامية الإلكترونية للجماعات المتطرفة؛ لمواجهة التطرف الإلكتروني، ومعالجته بكل أشكاله (خاصة التطرف الديني العنيف) عبر الإنترنت (تجربة المملكة العربية السعودية).</p> <p>ب- المبادرات المعنية بالاتصالات الاستراتيجية، ودور وسائل التواصل الاجتماعي في مكافحة الإرهاب، والتطرف العنيف، مثل</p>	<p>تسخير وسائل الاتصال، والإعلام الاجتماعي على شبكة الإنترنت من أجل تصويب الأفكار الخاطئة (دينيًا، واجتماعيًا)، وإتاحة مجال أوسع لإسماع الأصوات المعتدلة، على أن يكون ذلك من خلال موقع إلكتروني "موحد" لكل من: مؤسسة الأزهر الشريف، ومؤسسة دار الإفتاء المصرية، ووزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي، و"مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء".</p>

م	الدروس المستفادة	أهم ملاحظاتها من جميع التجارب	كيفية الاستفادة منها في حالة التجربة المصرية
		تجربة "مركز صواب" (تجربة دولة الإمارات).	
4-	المدخل النقدي	<p>أ- إنشاء "الجنة للمناصرة" مكونة من رموز العلماء تعمل على مكافحة الفكر بالفكر، وكشف الشبهات، وتوضيح المنزلقات الفكرية التي يتبناها الفكر المنحرف الذي يقود إلى الإرهاب، وذلك بالاستعانة بعلماء الشريعة الإسلامية، والمختصين في العلوم الاجتماعية، والنفسية، والمنقذين (تجربة المملكة العربية السعودية).</p> <p>ب- ضبط الخطاب الديني في مؤسسات الدولة الرسمية، ومنابرها الدينية والإعلامية، ومناهج تعليمها الديني، على مختلف الأصعدة، وكافة المستويات. (تجربة دولة الإمارات).</p>	<p>مواجهة التيارات الفكرية المنحرفة بالفكر المعتدل الذي تُرسي دعائمهُ المؤسسة التعليمية، بشقيها (المدني والديني)؛ وذلك من خلال مواجهة الفكرة بالفكرة، والحجة بالحجة لهدم الأسس التي يستند إليها دعاة هذا الفكر في عرض، ونشر أفكارهم وتصوراتهم؛ تطبيقاً للمنهج القرآني في أن الفكر لا يواجه إلا بالفكر، ولذلك وجّه القرآن الكريم بضرورة مطالبة أصحاب الفكر غير المستقيم بإقامة الدليل على ما يقولونه</p>
5-	إقامة مراكز للتشبيك والتحالفات الدولية	تأسيس مركز "هداية" بالشراكة مع "المنتدى العالمي لمكافحة الإرهاب". (تجربة دولة الإمارات).	الاستفادة من التجارب الدولية في مواجهة التطرف والإرهاب من خلال إقامة شراكات عالمية، وتحالفات دولية، وتبادل الخبرات، والمعلومات، والأفكار (التشبيك الدولي)

International-

م	الدروس المستفادة	أهم ملاحظاتها من جميع التجارب	كيفية الاستفادة منها في حالة التجربة المصرية
			<p>Networking؛ وذلك للاستفادة من سبل التدريب المستحدثة، والأبحاث العلمية، والتعاون، والخبرات الدولية في مجال مكافحة التطرف بكل أشكاله، ومواجهة جماعاته.</p>

رابعاً: نتائج الدراسة في ضوء الأهداف والتوجهات النظرية:

حققت الدراسة الراهنة مجموعة الأهداف التي انطلقت منها:

1. فعلى مستوى الهدف الأول المعني بتحديد ماهيات دور المؤسسات التعليمية، وظاهرة التطرف؛ فقد توصلت الدراسة إلى تحديد الأدوار الواقعية التي تمارسها المؤسسات التعليمية سواء فيما يتعلق بالمنهج أو التوجهات العامة أو من خلال الأنشطة والممارسات التي تنطلق من رؤية مجتمعية شاملة وبالاعتماد على المعايير والقيم الاجتماعية المرتبطة بتحقيق السلم المجتمعي باعتبار النسق التعليمي أحد أجزاء النسق الاجتماعي العام، وأن مواجهة ظاهرة التطرف كمعوق وظيفي يحول دون تحقيق الاستقرار والتوازن الاجتماعي.

2. وفيما يخص الهدف الثاني الذي يرتبط بالتعرف على الخبرات، والتجارب الدولية في مواجهة التطرف، فقد بينت الدراسة وفق رؤية مقارنة مجموعة التجارب الدولية من خلال تحليل ماكروسوسيولوجي يستعرض خبرات دولية، وإقليمية، ومحلية، ومنظمات دولية، ويأتي ذلك تزامناً مع تحقيق مقولات التساند الوظيفي بين كافة المؤسسات بهدف مواجهة التطرف كظاهرة اجتماعية عالمية عانت منها المجتمعات.

3. وفي الهدف الثالث الذي يرتبط بتحديد أهم آليات مواجهة التطرف بأشكاله المتباينة فقد توصلت الدراسة إلى أن الآليات ترتبط بممارسات وإجراءات تنفيذية يتم تطبيقها امبريقياً في الواقع وبالانطلاق من أطر نظرية عامة تبدو في صورة توجهات الدول بتحقيق عناصر التجانس الاجتماعي على اعتبار المؤسسات التعليمية لها دور تربوي يرتبط بتطبيق القيم المعيارية لتحقيق مفهوم التكامل الاجتماعي بين كافة عناصر البناء الاجتماعي.

4. **أما الهدف الرابع الخاص بتقديم نموذج تصوري لمواجهة ظاهرة التطرف الفكري في المجتمع المصري** فقد تم تحديد هذا التصور بالاطلاع على النماذج الدولية مع مراعاة الخصوصية الاجتماعية، والثقافية للمجتمع المصري والاستفادة من الأدوار الوظيفية للمؤسسات التعليمية المصرية والإطار المعرفي الحاكم لها حتى تتوافق مكوناته مع بنية النظام الاجتماعي المصري وتوجهاته الأيديولوجية فضلا عن إطاره الثقافي العام.

5. **وعن الهدف الخامس والأخير الذي يرتبط بملاح السياسات والبرامج التي تتبناها المؤسسات التعليمية المصرية**، فقد تم تحديد ذلك في ضوء ثلاث مداخل أساسية يتعلق الأول منها "بالمدخل الوقائي" المنطلق من نسق الأفكار العامة، والذي يحدد نظاما فكريا لكافة الجهود اللاحقة، والثاني يرتبط "بالمدخل الإنمائي" الذي يرتبط بتنمية قدرات المؤسسات التعليمية ومنتسبيها في مواجهة المعوقات الوظيفية الكامنة في بنية هذه المؤسسات من خلال إكساب مهارات التعامل مع كافة الظواهر السلبية المرتبطة بالتطرف، والمدخل الثالث والأخير يرتبط "بآليات مواجهة الواقعية" التي ترتبط ببرامج وسياسات تنفيذية تتبناها المؤسسات التعليمية من خلال أيديولوجية عامة رافضة لظاهرة التطرف.

خلاصة القول وتوصيات الدراسة:

حاول الباحثان مناقشة بعض التجارب العالمية لبعض الدول (العربية، والأجنبية)، والوكالات، والمنظمات (الرسمية، والمدنية) في كيفية تصديها للتطرف، وجماعته اعتمادًا على التعليم، ومؤسساته، وآلياته؛ من خلال المقارنة بينهم؛ في محاولة منهما للاستفادة من الخبرات الدولية؛ وبهدف وضع تصور مقترح يمكن الاستفادة منه في حالة التجربة المصرية.

وقد بيّنت التجارب الدولية العديد من الدروس المستفادة، منها: الوقاية من التطرف ومنعه خيرٌ من البحث عن طرق علاجه، وبالطبع لا يمكن الجزم بإمكان الاستفادة من تلك التجارب في حالة التجربة المصرية دون التعرف على واقع المؤسسات التعليمية في المجتمع المصري، بجميع مراحلها؛ حيث إنّ التعرف على إمكانية الاستفادة من الدروس والعبر المستقاة من التجارب الدولية لمواجهة التطرف وجماعته تستدعي أولاً ضرورة التعرف على القدرات، والإمكانات المتاحة في الواقع المعيش للمجتمع المصري، وهو ما يدعو إلى ضرورة إجراء المزيد من البحوث حول

- دَوْرُ الْمَوْسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ جَمَاعَاتِ التَّطَرُّفِ: تحليل سوسيولوجي مقارن (
- واقع المؤسسات التعليمية في المجتمع المصري، ومدى قدرتها على الاستفادة من هذه التجارب الدولية، وعلى هذا يوصي الباحثان بالآتي :
- 1- الإعداد لبرنامج قومي لتأهيل منتسبي المؤسسات التعليمية لمواجهة أفكار التطرف.
 - 2- الشروع في إنشاء مركز قومي متعدد التخصصات لاجراء دراسات ميدانية حول التطرف.
 - 3- إنشاء قناة متخصصة تحمل رسالة مواجهة افكار التطرف تتناسب مع كافة المراحل العمرية.
 - 4- الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي لربث أفكار التسامح والسلم المجتمعي.
 - 5- عقد شراكات واتفاقيات تعاون مع الدول التي تتحمل عناء مواجهة التطرف بأشكاله.
 - 6- إعداد منهج متكامل وتدريب الدعاة على مواجهة التطرف من خلال تجديد الخطاب الديني.

مراجع الدراسة

أ- مراجع عربية :

- لموم، أحمد. (2019): "من سنجاق: صربيا تحاصر التطرف بقوانين صارمة"، المرجع للدراسات والأبحاث الاستشرافية، عدد (7) يونيو، تم الاسترجاع من الرابط: <https://www.almarjie-paris.com/8826> . Accessed on: 6-9-2023
- ليستر، تشارلز. (2015): "المقاتلون الأجانب العائدون: تجريمهم أم إعادة دمجهم؟"، مركز بروكنجز، الدوحة، تم الاسترجاع من الرابط: <https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/06/Ar-Fighters-web.pdf>. Accessed on: 13-10-2023.
- الجمعية العامة للأمم المتحدة. (ابريل 2018): "استراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب: أنشطة منظومة الأمم المتحدة في تنفيذ الاستراتيجية"، الدورة السادسة والستون، البند (118).
- بيردويل، جوناثن. (2016): "بناء قدرات محلية على مستوى عالمي: التعاون من خلال شبكة المدن القوية"، (في): محمد سليمان أبورمان وآخرون: "وسائل منع

ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والغرب"، مؤسسة فريديريش ايبرت، عمان.

- كيرشوف، جيل دي، وآخرون. (2015): "إعادة تأهيل وإعادة دمج المقاتلين الإرهابيين الأجانب العائدين إلى بلدانهم"، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، تحليل السياسات، المرصد السياسي رقم (2376)، تم الاسترجاع من الرابط: <https://www.washingtoninstitute.org/pdf/view/4304/ar> . Accessed on: 5-12-2022.

- أبو هنية، حسن. (2013): "القاعدة واندماج الأبعاد: ولادة ثالثة ونشأة مستأنفة"، شبكة الجزيرة الإعلامية، تم الاسترجاع من الرابط:

<https://www.aljazeera.net/opinions/2013/8/24/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D8%AF-%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A9> . Accessed on: 9-9-2023.

- شبكة المدن القوية. (2021): "كوبنهاجن: الدنمارك"، معهد الحوار الاستراتيجي، المملكة المتحدة، تم الاسترجاع من الرابط:

<https://strongcitiesnetwork.org/ar/city/copenhagen-denmark/>. Accessed on: 28-9-2023

- بدران، شبل. (2016): "المؤسسة التعليمية والتطرف"، الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، تم الاسترجاع من الرابط:

<http://ceoss-eg.org/wp-content/uploads/2016/10/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%B3%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D8%B1%D9%81.pdf>. Accessed on: 10-9-2023.

- علام، شوقي. (1441هـ): "دور المؤسسات الدينية في تجديد الخطاب الفكري والدعوي"، الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم، مجلة جسور، العدد (11).

- جوهر، علي صالح وجمعة، محمد حسن.(2017): "التعليم والتطرف الفكري: آليات المواجهة"، المكتبة العصرية، المنصورة.
- البادي، عوض.(2016): "إستراتيجية المملكة العربية السعودية الوطنية لمكافحة الإرهاب: النهج التشريعي"، (في): محمد سليمان أبوorman وآخرون: "وسائل منع ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والغرب"، مؤسسة فريديش ايبيرت، عمان.
- المطيري، فيصل بن فرج.(2017): "استراتيجية مقترحة لتفعيل دور المنهج المدرسي في مواجهة التطرف"، المجلة الدولية للبحوث التربوية، مجلد (41)، رقم (2).
- رامسدال، لينيه.(2016): "تعاون دنماركي- لبناني لتعزيز التعاون الديني ومفهوم المواطنة"، برنامج الشراكة الدنماركية العربية، تم الاسترجاع من الرابط:
<https://www.dapp.dk/ar/reportage/%d8%aa%d8%b9%d8%a7%d9%88%d9%86-%d8%af%d9%86%d9%85%d8%a7%d8%b1%d9%83%d9%8a-%d9%84%d8%a8%d9%86%d8%a7%d9%86%d9%8a-%d9%84%d8%aa%d8%b9%d8%b2%d9%8a%d8%b2-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d8%b9%d8%a7%d9%88%d9%86-%d8%a7/>. Accessed on: 10-10-2023
- أبوorman، محمد.(2016): "جهود مكافحة الإرهاب: جدلية المدخلات والمخرجات"، (في): محمد سليمان أبوorman وآخرون: "وسائل صنع ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والغرب"، مؤسسة فريديش ايبيرت، عمان.
- مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية.(2014): "سياسات الاحتواء: الدلالات الإقليمية لتطبيقات المناصحة الفكرية بالدول الغربية"، تم الاسترجاع من الرابط:
<https://rawabetcenter.com/archives/1339>. Accessed on: 10-12-2022
- معهد العالم للدراسات في أسئلة الواقع وإجاباته.(2018): "المقاتلون الأجانب في الشرق الأوسط: جدل الاستقطاب والتوظيف"، تم الاسترجاع من الرابط:
<https://alaalam.org/ar/politics-ar/syria-ar/item/631>. Accessed on: 28-8-2023.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.(2010): "اليونسكو قلقة إزاء تزايد الاعتداءات على المدارس في العالم"، اليونسكو، تم الاسترجاع من الرابط:

http://www.unesco.org/new/ar/culture/themes/dynamic-content-single-view/news/unesco_alarmed_by_rising_number_of_attacks_on_education_world/ . Accessed on: 2-8-2023.

- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (2018): "منع التطرف العنيف من خلال التعليم: دليل لصانعي السياسات"، منظمة الأمم المتحدة، لبنان.

- منظمة الأمم المتحدة (2016): "جهود دولة الإمارات المتحدة في مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف"، مؤتمر جنيف بعنوان: "منع التطرف العنيف: سبيل المضي قدماً"، الجلسة رفيعة المستوى، مكتب الأمم المتحدة في جنيف، سويسرا، تم الاسترجاع من الرابط: https://www.un.org/counterterrorism/ctitf/sites/www.un.org.counterterrorism.ctitf/files/UAE_CVE_EFFORTS_GENEVA_8APR2016.pdf .

Accessed on: 2-10-2023.

- منظمة الأمم المتحدة (2009): "دراسة حول تشريعات مكافحة الإرهاب في دول الخليج العربية واليمن"، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، فيينا.

- منظمة البحث عن أرضية مشتركة بالتعاون مع مركز هداية (2019): "مكافحة التطرف العنيف: كتيب تمهيدي للمفاهيم والبرامج وأفضل الممارسات- مُعد لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا"، الطبعة العربية.

- وزارة التربية والتعليم (2017): "البحرين تشارك في ندوة حول التعليم والتطرف والإرهاب بالإمارات العربية المتحدة"، مملكة البحرين، تم الاسترجاع من الرابط:

<https://www.moe.gov.bh/shownews.aspx?id=28530&lan=en> Accessed on: 2-9-2023.

- وزارة التربية والتعليم (د.ن): "نبذة تعريفية بمشروع المنهج الوطني"، قسم البحوث والكتب والمواد التطبيقية، إدارة المناهج، مملكة البحرين، تم الاسترجاع من الرابط:

<https://www.moe.gov.bh/pdf/projects/11.pdf> . Accessed on: 20-1-2021.

- وزارة الخارجية والتعاون الدولي (2019): "مكافحة الإرهاب والتطرف"، الإمارات العربية المتحدة، الإمارات العربية المتحدة، تم الاسترجاع من الرابط:

<https://www.mofaic.gov.ae/ar-ae/the-ministry/the-foreign-policy/combating-terrorism-and-extremism> . Accessed on: 4-10-2023.

ب- مراجع أجنبية :

- Department for Education.(2021): "Government advice and trusted resources for schools to safeguard students from radicalization, build

resilience to all types of extremism and promote shared values", educate.against.hate, United Kingdom. Retrieved from:

- http://www.netpublikationer.dk/um/evaluation_study_2015_03/Pdf/evaluation_study_2015_03.pdf Accessed on: 5-10-2023.
- Brett, Julian, et al.(2015): "Lessons learned from Danish and other International Efforts on Countering Violent Extremism (CVE) in Development Contexts: Evaluation Study", Ministry of Foreign Affairs of Denmark. Errors, October.
- Pungir, Lydia.(2007): "Book Review: Empowering Children: Children's Rights Education As A Pathway to Citizenship", The Alberta Journal of Educational Research, Vol. (53), No. (2).
- The Center for Free Elections and Democracy (CeSID).(2016): "Survey of the Drivers of Youth Radicalism and Violent Extermism in Serbia", Belgrade, November. Retrieved from: http://www.undp.org/content/dam/serbia/Publications%20and%20reports/English/Resilience/UNDP_SRB_Drivers_of_Youth_Radicalism_ENG.pdf . Accessed on: 20-19-2023.
- The Stationery Office.(2009): "Pursue Prevent Protect Prepare The United Kingdom's Strategy for Countering International Terrorism", Presented to Parliament by the Prime Minister and the Secretary of State for the Home Department by Command of Her Majesty, London. https://assets.publishing.service.gov.uk/government/uploads/system/uploads/attachment_data/file/228644/7547.pdf . Accessed on: 15-10-2023.
- Chisholm, Thomas and Coulter, Alice.(2017): "Safeguarding and Radicalisation: Research report", Kantar Public, Department for Education, United Kingdom.
- UNESCO.(2017): "Preventing Violent Extremism Through Education: A Guide for Policy Makers", The United Nations, Paris.

العلية عند ابن خلدون

د. علي سالم أبو لقاسم أبو خريص

قسم الفلسفة، كلية الآداب الاصابعة، جامعة غريان

المستخلص:

كانت رؤية ابن خلدون الكونية ذات طبيعة اسلامية، أي أنها رؤية تجمع بين العلم والايमान، وبين العقل والنقل، فلا يوجد تناقض بين الفكر العمراني العقلاني وثوابت الدين الإسلامي. بل يوجد تكامل وتعاون بينهما. ومما يؤكد تأثر ابن خلدون بالرؤية الإسلامية هو أن ابن خلدون نفسه أرجع اكتشافه لهذا العلم الجديد (علم العمران البشري) إلى الهدي الإلهي. فالإيمان والعلم حاضران دائماً عند العالم المسلم ولا انفصال بينهما.

وتختلف رؤيته عن الرؤية العلمية الغربية المعاصرة، إذ لا شك في أن ابن خلدون استنتج الطبيعة الفكرية الفطرية المزدوجة من النص القرآني، ما جعل جذوره الفكرية تتصل بالفكر الإسلامي الذي سبقه، ولا تنفصل عنه، فليس صحيحاً أن فكر ابن خلدون لغزاً من الغاز الثقافة الإسلامية أو فلتة من فلتاتها التي ليس لها جذور – كما روج لذلك بعض الباحثين والدارسين لفكره. فابن خلدون عالماً من أعلام الثقافة الإسلامية، فهو أشعري إحساساً وعقيدة وتفكيراً، تأثر بالأشاعرة وعلى راسهم الغزالي خاصة في موضوع البحث (العلية عند ابن خلدون). فانطلق من نفس منطلقاتهم في تصورهم للعقل المخالف لتصور الفلاسفة المسلمين واليونان.

وقد عالجت في هذا البحث التصور الخلدوني للعلية، منطلقاً من التصور الأشعري للعقل الوجودي والمعرفي الذي يخالف تصور الفلاسفة. فقسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة عناوين وخاتمة:

فكان العنوان الأول في البحث: (وضع جديد للعقل في الفكر الإسلامي). أما العنوان الثاني فهو: (مشكلة السببية عند ابن خلدون) أما العنوان الثالث فهو: (طبائع الأحوال في العمران). أما العنوان الرابع فهو: (مفهوم التقدم في فكر ابن خلدون). ثم العنوان الأخير (الحتمية في فكر ابن خلدون). ثم تأتي الخاتمة التي أوضحت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: العلية، الحتمية، الرؤية، طبائع الأحوال في العمران.

المقدمة:

إن التفكير في العلاقات السببية كان منذ ظهور الإنسان البدائي، وإن كان هذا الإنسان قد أرجع المسببات إلى أسباب ميتافيزيقية. ويدور معنى التعليل حول توضيح الأسباب وعللها، ويمكن حصر مفهومه لغوياً وفلسفياً، بالبحث عن العلة، أو عن السبب الذي يؤدي لوحده أو بانضمام غيره إليه، إلى أمر آخر يعرف بالمسبب، أو المعلول.

وقد تكون عملية التعليل منطقية تدور مباحثها من الناحية الصورية فقط كما هو الحال في العلوم الرياضية، أو طبيعية تتناول الوجود العام الطبيعي وظواهره. (مجمع اللغة العربية، 1985م: ص 623 - 624). وبالرغم من أن العلة والسبب هما من المترادفات المعروفة في الفلسفة، إلا أن البعض يفرق بين مفهومهما، فيجعل السبب مختصاً بالأمر العرضية، والعلة بالأمر الجوهرية، فالسبب هو الداعي إلى الفعل الذي لأجله يفعل الفاعل، أما العلة فهي الفاعل بعينه. (الموسوعة الفلسفية العربية، 1986م: ص 472).

إلا أن كثيراً من العلوم لا تعير اهتماماً لهذا التفريق ومنها العلوم الرياضية، بل تتجاوز ذلك إلى النظر لطبيعة العلاقة بين العلة والسبب من جهة والقانون من جهة أخرى، أما في علم التاريخ، فيبدو أن هناك تماثلاً في الغالب بين مفهوم العلة والسبب، إلا أن بعض المؤرخين يرى أن مفهوم السبب يشوبه التباسات عديدة، منها ما يبدو عليه من حتمية تتنافى مع طبيعة الفعل التاريخي، وكذلك فإن الأحداث التاريخية لا تنجم عن سبب مفرد أو مجموعة من الأسباب يشتغل فيها كل سبب بذاته، بل هو عبارة عن نظام من الأسباب وعلى المؤرخ أن يصل إلى هذا النظام لتحديد علاقة كل سبب بالآخر ومعرفة درجة هذه الأسباب وأولويتها، فعمل المؤرخ ليس هو البحث عن السبب فحسب، بل تحري المنطق الداخلي للأحداث وتفسيرها وتعليلها، ولكن لا يترتب على هذا اختلاف حول مفهوم العلة والسبب. (النجار، 2004م: ص 13).

ومن هذا المفهوم للعلية والتعليل انطلقت إلى دراسة مفهوم العلية كما تصوره ابن خلدون متأثراً في هذا التصور بتيارات الفكر الإسلامي التي سبقته وخاصة الأشاعرة في تصورهم المختلف عن تصور الفلاسفة للعلية، هذا التصور هو من أهم الدوافع الذي جعلتني أختار هذا الموضوع، وذلك بسبب ما فتحه هذا التصور من آفاق جديدة في مجال العلم والمعرفة والفكر. وفي تقدير مجموعة من الباحثين، أن هذا التصور للعلية هو الأساس الذي بنى عليه ابن خلدون فكره، بل إن هذا التصنيف هو المفتاح لفهم فكره وامتداداته في الفكر الإسلامي، فيصبح من المستحيل على الدارس لهذا الفكر أن يعده -

كما رأى بعض الباحثين لغزاً من الغاز الثقافة العربية الإسلامية، وبذلك تتصل حلقات الفكر الإسلامي بعضها ببعض. وهنا تبرز الأشكاليات التي حاولت الاجابة عليها من خلال هذا البحث وهي:

كيف تصور ابن خلدون العلية؟ وما علاقة هذا التصور بالتصورات السابقة للعلية في الفكر الإسلامي خاصة عند الأشاعرة؟. وما القواسم المشتركة في هذا التصور وتأثير ذلك في تصور ابن خلدون في المعرفة والوجود؟.

وقد حاولت في هذا البحث الإجابة على هذه التساؤلات، حيث أوضحت في أول عنوان في هذا البحث التصور الجديد للعقل الذي انطلق منه الأشاعرة وعلى رأسهم الغزالي في فهمهم للوجود والمعرفة، وتصورهم للعلة والمعلول، ومدى تأثير ابن خلدون بهذا التصور الجديد، هذا التصور الذي يختلف عن التصور السابق - وهو التصور اليوناني الذي تأثر به الفلاسفة المسلمين - كما أوضحت ذلك في البحث.

ثم انطلقت من هذا التصور (تصور العقل الوجودي والمعرفي عند ابن خلدون والأشاعرة) لأوضح تصور ابن خلدون للعلية. هذا التصور الذي لا يمكن فهمه والإلمام به. إلا بعد استحضار رأي الأشاعرة والغزالي خاصة في هذا المجال (مجال العلية)، فابن خلدون نهج نفس النهج، لأنه كما وضحنا سابقاً، ينطلق من نفس تصور الأشاعرة للعقل الوجودي والمعرفي المخالف لتصور الفلاسفة الذي كان سائداً في ذلك العصر.

أما العنوان الثالث في هذا البحث فهو ما أطلق عليه ابن خلدون (طبائع الأحوال في العمران). فهو يرى أن الظواهر العمرانية، تحدث في العمران بمقتضى طبعه، مثلها مثل الظواهر الطبيعية، وهو بذلك يتأثر بالغزالي الذي فرق بين الفعل بالطبع والفعل بالإرادة، وهذا التصور من ابن خلدون، وتفريقه بين الفعل بالطبع والفعل بالإرادة كان له بالغ الأثر في تصوره للعلية.

أما العنوان الرابع وهو مفهوم التقدم في نظرية ابن خلدون، وهو مرتبط بالعنوان السابق (طبائع الأحوال في العمران)، هل هذه الطبائع تحتوي على مفهوم التقدم أم لا؟ يرى ابن خلدون ان هذه الطبائع تتغير وتتطور فأحوال الأمم والمجتمعات لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هي تتطور وتتغير من حال إلى حال.

كما يرى ابن خلدون أن هذا التطور وهذه الأحداث مرهونة بتوفيق من الله. وما دام الله قد ضمن توفيقه للعبد العامل الذي يعد العدة لما يريد القيام به، فمصير الإنسان

مرهون بمدى استعداده ومثابرتة على العمل، وعلى مدى إدراكه لما تقتضيه طبيعة الأمور.

إن هذا الربط بين إرادة الله والفعل الإنساني هو ما جعل بعض الباحثين والدارسين ينعنون فكر ابن خلدون بالحمية، وهذا ما يتناوله العنوان الأخير من هذا البحث (الحمية في فكر ابن خلدون).

حيث أوضحت في هذا العنوان، أن السبب في وسم بعض الباحثين هذا الفكر بالحمية، هو نتيجة لاختلاط معاني ومفاهيم كل من الجبرية والحمية والسببية عليهم. حيث أوضحت هذه المفاهيم، وأشرت إلى المفهوم الذي ينطبق على فكر ابن خلدون وهو مفهوم السببية العمرانية. أما الخاتمة فقد أوضحت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وضع جديد للعقل في الفكر الإسلامي:

إن الفكر الأشعري وخاصة فكر الغزالي ونقده للفلاسفة في كتابه (تهافت الفلاسفة) يظل لغزاً إن لم يُدرس ويُحلل من خلال مسألة العلية، ولكن لا يمكن فهم تصور الغزالي للعلية المخالف لتصور الفلاسفة، إلا بفهم الوضع الوجودي والمعرفي للعقل لكل منهما (الغزالي والفلاسفة). فالصراع بين الغزالي والفلاسفة هو الذي يعطي هذين الوضعين خصائصهما، ويعين طبيعة التصور والنقد المتبادل بينهما رغم انتمائهما لنفس الثقافة (الثقافة العربية الإسلامية).

ولكن يبدو أن كل منهما ينطلق من وضع للعقل مختلف عن الآخر. فالوضع الوجودي والمعرفي للعقل عند الفلاسفة يرتكز على نظام عقلي مبدؤه العقل ومثاله الفكر المنطقي – الجدلي اليوناني- لذلك فهو يرى أن القول بإنكار الأسباب هو قول غريب عن طباع الناس. فالغزالي والأشاعرة لا يمكن أن يُفهم فكرهم من خلال هذا النظام للعقل الوجودي والمعرفي. وفي هذا تحديد أول لفكر الغزالي والأشاعرة بأنه ينتمي إلى وضع آخر للعقل الوجودي والمعرفي بدأ يتبلور في الفكر العربي الإسلامي. (المرزوقي، 1428هـ - 2007م: ص22).

جاء هذا الانقلاب العقلي عن طريق الأشعري وكافح الغزالي في سبيل توضيح معالمه لإنفاذه مما كان يحيق به من اللبس، وهذا ما يجعلنا نتفحص مقولة الكسب عند الأشعري والأسباب الذي جعلته يقول بها، فهو في الحقيقة إنما يستأنف مقالة الاختيار عند المعتزلة على أساس تحليلي أتم وأدق لمنزلة الإنسان في الوجود، فجعل من الأفعال

الصادرة عن الإنسان ثمرة لاقتران القدرة الربانية بالقدرة الإنسانية، فأكد أنها خلق من قبل الرب وكسب من قبل الإنسان. فأشار بذلك إلى أمرين عظيمين:

الأول أن الإنسان ما كان أهلاً للصعود إلى قمم الاختيار إلا قضاء وقدرًا – وثانيًا على ضرورة الكفاح الذي يجب أن يخوضه الإنسان ليصعد إلى تلك القمم.

وبذلك دحض غلو المعتزلة وغلو الجبرية في تطرفها نحو النقيضين، ولقد لخص الغزالي مقولة الكسب بأصدق ما تكون العبارة – حينما أكد أن الإنسان مجبور على الاختيار. (بن ميلاد، 1980م: ص260 – 261م).

وإلى هذا المعنى أو قريب منه كان رأي الحسين ابن علي بن أبي طالب في رده على الحسن البصري عندما سأله عن رأيه في الجدل الدائر بين الجبرية والمفوضة. يقول الحسن البصري: "من لم يؤمن بقضاء الله وقدره (خيرته وشره) فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، وإن الله تعالى لا يُطاع استكراهاً ولا يُعصى بغلبة، لأنه مالك لما ملكهم، وقادر على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم، وإن لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك، ولو جبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، ولو جبرهم على المعصية لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم كان ذلك عجزاً في القدرة، ولكن له فيهم المشيئة التي غيبها عنهم، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم". (البوني، 2004م: ص212 – 213).

وبهذا فإننا بدون شك أمام فهم جديد للعقل لخص معالمه الغزالي حين رد على المعتزلة في قولهم إن مقولة الكسب كلام غير مفهوم، وفي الحقيقة هو كذلك في نطاق فهمهم للعقل والنشاط العقلي فهم لا يتصورون تعلق فاعلين بفعل واحد. (بن ميلاد، 1980م: ص262).

هذا الفهم الجديد للعقل والنشاط العقلي يتميز عن الفهم السابق من ثلاث نواح: الأولى: أن المعتزلة يتصورون الأسباب حلقة بعد الأخرى كل حلقة تتسبب في الأخرى التي بعدها حسب اتجاه يحاكي المستقيم وأساسه المبدأ اليوناني القائل أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحداً.

أما الأشعري فإن قوله بالكسب قد فتح الباب واسعاً لتعدد الأسباب – وسنرى أن ابن خلدون – في بحوثه التاريخية الاجتماعية يفتح الباب أمام تعدد الأسباب للشيء الواحد – وهذا دحض غير مباشر لنظريات الصدور والفيض. وهذا أمر طبيعي من مفكر مسلم يرى أن الله خالق كل شيء ، يقول ابن خلدون: "وتلك الأسباب في ارتفاعها

تتضاعف فتتفسح طويلاً وعرضاً، ويحار العقل في إدراكها وتعيدها، فإذا لا يحصرها إلا العلم المحيط، سيما الأفعال البشرية والحيوانية، فإن من جملة أسبابها في الشاهد القصد والإرادات، إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته والقصد إليه، والقصد والإرادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة، يتلو بعضها بعضاً. وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل. وقد تكون أسباب تلك التصورات تصورات أخرى". (ابن خلدون، 2008م: ص490).

الثانية: وهو أن النشاط العقلي لا يكون مثمراً إلا إذا كان مراعيًا للواقع، سواء كان ذلك الواقع تجربة نفسية أو روحية أو باطنية أو تجربة خارجية موضوعية.

أما الناحية الثالثة: فإن المعرفة أصبحت معرفتين: أحدهما تسمى بلغة المتصوفة (حقيقة) أساسها الذوق والمشاهدة والتجربة الباطنية، والثانية تسمى علماً وأساسها التجربة واستقراء الحوادث. (بن ميلاد، 1980 م: ص262 – 263م).

ومن البديهي ونحن نوضح هذا المشروع العقلي الذي وضع أسسه الأولى الأشعري وتصدى الغزالي بعده لتوضيح أسسه وأركانه وإبراز ما استتر من أصوله وما التبس من أمره على طلابه الأوائل – من دون أن ندرك جنس المشروع العقلي الذي تصدى له ابن خلدون بتأليفه المقدمة.

فابن خلدون سلك طريق الأشعرية، وهنا لابد من التفريق بين الأشعرية الغنية بالمناقشات والحوار الفكري، والمهتمة بكل الفلسفات والأديان، وبين الأشعرية الوثوقية التي لا تحبذ النقاش وتحكم مقدماً بعدم صلاحية الفكر الفلسفي، وعلى رأس الفرقة الأولى كان الغزالي، وهو من المتأخرين من الأشاعرة الذين تأثر بهم ابن خلدون وسلك طريقهم. (مزيان، 1980م: ص234).

فإذا كان الغزالي قد قنن أصول (الاقتصاد في الاعتقاد)، فإن ابن خلدون يأبى إلا أن يقنن أصول الاقتصاد في تحسس الواقع العمراني للكشف عن نواميسه.

فهذا هو مشروع ابن خلدون من وراء كتابته المقدمة، وهذا المشروع كما أراده أوسع بكثير مما تخيله دارسو فكره، فهو لم يكن متمحور حول العصبية كما يرى ساطع الحصري، ولا موضوع الدولة كما يرى طه حسين، ولا البداوة والحضارة كما قال علي الوردي. (بن ميلاد، 1980م: ص263 – 264).

ويتضح ذلك من خلال خطاب ابن خلدون لأجيال المستقبل كي يسلمهم هذا الكنز العظيم فيقول "وأعلم أيها المتعلم أنني أتُحَفِّكُ بفائدة في تعليمك فإن تلقيتها بالقبول

وأمسكتها بيد الصناعة، ظفرت (بكنز عظيم) و(ذخيرة شريفة). وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها". (ابن خلدون، 2008م: ص620). ويوضح ابن خلدون من خلال هذه المقدمة ان الله قد فطر الإنسان على فطرة مخصوصة موضحاً بهذا القول حركة التفكير وكيفية أبداع الجديد فيقول: " ذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة، فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته، وهو وجدان حركة النفس في البطن الأوسط من الدماغ. تارة يكون مبدأ للأفعال الإنسانية على نظام مخصوص وترتيب، وتارة يكون مبدأ لعلم ما لم يكن حاصلًا بأن يتوجه إلى المطلوب. وقد يُصوّر طرفيه ويروم نفيه أو إثباته، فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما، أسرع من لمح البصر إن كان واحداً. وينتقل إلى تحصيل وسط آخر إن كان متعدداً، وبصير إلى الظفر بمطلوبه. هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات. ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية، تصفه ليعلم سداه من خطئه . . . فالمنطق، إذًا، أمر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها، ولكونه أمراً صناعياً أُستغني عنه في الأكثر. (ابن خلدون، 2008م: ص620).

من خلال هذا النص نستنتج الملاحظات التالية:

أولاً رغبة ابن خلدون بأن يعتمد منطقاً جديداً هو منطق الكشف الذي يعتمد على جس الواقع كما يجس الطبيب بدن المريض، وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة. فمنطق استقراء الوجود حسب ما يرى ابن خلدون هو الذي يضمن أثبت النتائج. ثانياً إن ما يزعمه الفلاسفة بإمكانية الوصول إلى الحقيقة عن طريق قوانين المنطق هو وهم لا صحة له.

إن قوانين المنطق الصوري لا تولد المعرفة ولكنها؛ تصف الطريق السليم لتحصيلها، وبهذا فهو يشد أذهاننا، ويحفظنا من الزلل. فهو علم مساعد، ولكن من الممكن الاستغناء عنه، وكبار النظار يستغنون عن الصناعة المنطقية في جميع فروع العلم.

إن الكشف عن الحقائق عند ابن خلدون إنما يتم بالحدس الذي يلعب في الذهن، وأن التعبير عن هذا الحدس أو الإلهام لا بد أن يكون وفيّاً لمقتضيات المنطق ومبادئ العقل. وهو بهذا يتفق مع الغزالي في كل ما يتصل بالنشاط العقلي والخطوات التي يخطوها الفكر في سعيه نحو الحقيقة – سواء كانت هذه الحقيقة من حقائق الحياة الباطنية أو حقائق العالم الخارجي. (بن ميلاد، 1980م: ص267).

إن عالم ما فوق المدركات سواء كان عالم الكون المادي الواسع والغني بالموجودات البعيدة عن أفق العقل. أو كان الإلهيات فلا سبيل إليه بواسطة العقل. وإنما يطمح الإنسان إلى معرفته عن طريق واحد وهو طريق الوحي.

إن هذا الموقف من قبل ابن خلدون، ليس تسلطاً للدين على العقل، كما يبدو لكثير من الباحثين والمفكرين، بل هو استكمالاً للمعارف العقلية والعلمية المحدودة الأفق بحكم محدودية طبيعتها الإنسانية، بالمعارف الدينية التي تفتح آفاقاً واسعة في عالم ما وراء المدركات وفي مجال الروحانيات الإسلامية التي تتوحد فيها الإنسانية بالإلهيات وحدة إثراء وتعميق للوجود الإنساني.

ولهذا نجد الفرق شاسعاً بين الفقهاء وعلماء الكلام الذين أشهروا سيوفهم في وجه الفلسفة متهمين الفلاسفة بالكفر، وبين ابن خلدون الذي حدد مجالات العلم والدين تحديداً منهجياً يرمي إلى التوازن والإثراء العلمي وتوسيع آفاق المعارف الإنسانية بالتسناد والتكامل بين العقل والوحي. (مزيان، 1980م: ص 233 – 234).

إن التشابه كبير بين ابن خلدون والغزالي، فالنشاط العقلي عندهما واحد. وحتى إن كان الغزالي يعتني بالكشف عن أسرار الحياة الباطنية عن طريق استخلاص معالم الفطرة القرآنية (إحياء علوم الدين) وأن ابن خلدون يعتني بالعمران البشري وما يعرض له من نواميس تؤدي إلى تفهقه أو تقدمه؛ فإن مفاتيح العلوم عندهما واحدة؛ فكلاهما يريان أن جوهر النشاط العقلي يقظة دائبة تميز الأشياء. أي تمييز ما بين الأشياء من روابط: سواء كانت روابط إنسانية أو اختلاف أو تضاد. والكشف عن هذه الروابط يكون إما استقراراً، أو استنباطاً، أو حدساً، أو كلهم جميعاً. (بن ميلاد، 1980م: ص 267 – 268).

وبعد هذا الاستعراض ألا يتضح جذور فكر ابن خلدون ومكانته في تاريخ الفكر الإسلامي؟ فابن خلدون لم يكن مقطوع الجذور، ولا هو لغز من ألغاز الثقافة الإسلامية كما يزعم البعض.

فهو ثمرة من ثمرات تطور الفكر العربي الإسلامي، والمطلع على المقدمة بوعي وعمق – لا بد أن يدرك مدى اتصال فكره بالثقافة العربية الإسلامية من فتوحات عقلية وروحية. فهو أشعري ينتمي للأشعرية المتأخرة مثلما صاغها الغزالي.

مشكلة السببية عند ابن خلدون

يرى محمد عابد الجابري أن رأي ابن خلدون في مشكلة السببية لا يمكن فهمها إلا بمراعاة شرطين الأول: الفهم الصحيح والواضح لما يعنيه بطبائع الأحوال في العمران. أما الثاني فهو استحضار رأي الأشاعرة في مسألة السببية. (الجابري، 1994م: ص80). وكنت قد وضحت هذه المسألة في العنوان الماضي وما ترتب على ذلك من تصور جديد للعقل الوجودي والمعرفي مختلف عن التصور الذي كان سائداً في ذلك العصر. يقول ابن خلدون: "إن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة، وعلها يتم كونه". (ابن خلدون، 2008م: ص490).

ويرى الجابري أن ابن خلدون في هذا النص ينفي نفياً قاطعاً أي دور للصدفة أو الحظ، سواء كان ذلك في عالم الذوات، الطبيعية، أو عالم الأفعال. كل ما حدث ويحدث إلا وله أسباب متقدمة عليه. (الجابري، 1994م: ص81).

وينتقد ملحم قربان قول الجابري هذا، فهو يرى بأن هذا النص الخلدوني ليس من مضامينه بالضرورة النفي القاطع للصدفة، ويرى أن هناك معنى للصدفة أو الحظ – بمعنى الإنسان العادي حسب إدراكه لهذه المفاهيم – تتماشى ولا تتناقض مع مبدأ السببية. إنه يشير الى نوع من تلاقي سلسلتين من الأحداث المستندة إلى مبدأ السببية.

ولتوضيح فكرته هذه يقدم مثلاً على ما يعنيه فيقول: "ركب أخي الدراجة وذهب إلى السوق ليشتري هدية لجارته، ومرت سيارة من البلدة المجاورة تقصد العاصمة، وتسير بسرعة، وعلى المفترق حصل التصادم. نستطيع أن نستقصي أغلب الأسباب التي سبقت هذا التصادم. ومع هذا يبقى من المقبول أن نصف هذا التصادم بالصدفة أو الحظ". (قربان، 1404هـ – 1984م: ص232- 233).

يربط ابن خلدون في النص السابق السببية بمستقر العادة، وهذا الربط له دلالة عميقة لأنها تكشف عن الاتجاه الذي ينتمي إليه صاحب المقدمة وهو الاتجاه الأشعري، الذي يرفض فكرة السببية كما طرحها الفلاسفة، يقول الغزالي موضحاً السببية عند الأشاعرة: "الاقتران بين ما يُعتقد في العادة سبباً، وبين ما يُعتقد مسبباً، ليس ضرورياً عندنا، بل كل شيئين، ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، ولا اثبات أحدهما، متضمناً في اثبات الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما، وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما، عدم الآخر، مثل الري والشرب، والشبع والأكل، والاحتراق ولقاء النار، . . . وهلم جر، إلى

كل المشاهدات، . . . وإن اقترانهما لما سبق من تقدير الله سبحانه، يخلقها على التساوق لا يكون ضرورياً في نفسه. غير قابل للفوت، بل في المقدر خلق الشبع دون الأكل، وهلم جر إلى جميع المقترنات.

وأنكر الفلاسفة امكانه، وادعو استحالته". (الغزالي، 1974م: ص239).

ويتلخص طرح الغزالي هذا، في أن الاقتران بين الأسباب والمسببات ليس ضرورياً، وكل ما هنالك أن الله أجرى العادة على أن تحدث حوادث معينة عند اقترانها بحوادث أخرى. فالسببية عند الأشاعرة وابن خلدون ليست مبدأ عقلياً ضرورياً وقلياً كما يرى الفلاسفة، بل هي مجرد عادة، والعادة هي ما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطبائع السليمة. ومن هنا فإن فكرة العادة عند الأشاعرة معناها أنهم إذا شاهدوا هذه الحادثة تعقبها حادثة أخرى، فإن الحادثة الثانية ستتبعها وتقترن بها، ولكن دون تحقق علاقة ضرورية بين الاثنين، وبما هي عادة فإنها تقوم على الملاحظة والتجربة.

وقد تكون العادة ذاتية، وقد تكون موضوعية، وقد تكون الاثنين معاً – في عالمين مختلفين: عالم النفس الإنسانية، وعالم الطبيعة. وإذا سلمنا بذلك أصبح ما يستقر في النفوس انعكاساً لما يجري في العالم الخارجي. وهذه التجربة هي أهم ما يميز مفهوم ابن خلدون والأشاعرة عن مفهوم الفلاسفة السببي، الذي هو مبدأ عقلي ضروري قلمي. (قربان، 1404هـ – 1984م: ص236 – 237).

غير أن هذه العادة التي هي حسب تعبير ابن خلدون قانون عمراني – تستند إلى مشيئة الله. فهي لها بعد ديني أيضاً حسب تعبير محمد عابد الجابري "وكل ما هنالك هو أن الله أجرى العادة على أن تحدث حوادث معينة عند اقترانها بحوادث أخرى". (الجابري، 1994م: ص83).

ومن هنا نستنتج أن لعلم العمران بعداً دينياً – أي أن علم العمران لا يقوم على أسس عقلية وتجريبية فقط، وإنما له خلفية دينية أيضاً. وقد وقع كثير من الباحثين والدارسين العرب والغربيين في فكر ابن خلدون في خطأ كبير وهو تجاهلهم للبعد الديني في هذا الفكر، ونعتهم هذا الفكر بأنه فكر عقلي علماني يتخطى الدين، وربما كان ذلك بسبب سعي هؤلاء لتحديث وعصرنة فكر ابن خلدون، إلا أن ذلك يشوه هذا الفكر ولا يؤدي إلى تحديثه وعصرنته. (قربان، 1404هـ – 1984م: ص237 وما بعدها).

وكان لكل فريق دوافعه في هذا التجاهل، فبينما أراد الغربيون من هذا التجاهل فرض الرؤية الغربية للعلم على صاحب المقدمة، فلاكوست على سبيل المثال يكن الكثير من الاحترام لابن خلدون – لكنه لا يكاد يقر بإمكانية توحيد شخصية ابن خلدون الواضحة الملامح الإسلامية مع فكره الوضعي القوي. أي أنه يرى نوع من الازدواجية الفكرية في شخصية ابن خلدون. فوجود كل من الفكر الوضعي المتين وروح التدين القوي في شخصية العالم لا يلقى عادة قبولاً عند الرؤية الغربية المعاصرة للعلم. (الذواوي، 2003م: ص5).

إن الحذر من تمطيط عالم ابن خلدون حتى يصير معاصراً لنا، لا يعني استحالة عصرنة خطاب ابن خلدون وبعض طرقه، في العمران والدولة، في التعليم والدعوة إلى الموضوعية – أي إلى منهجية صارمة دقيقة في التعليل وكتابة التاريخ.

إن النزعة الموضوعية، والمنهجية الواقعية القريبة جداً من الإمبريقية، ليس هو فقط المنهج الذي يصعب بلوغه، والذي مع ذلك لا بد من تحيينه وتفعيله دون توقف، ولكن من جهة أخرى هو منهج غير كاف، ويستلزم طرائق أخرى تطوره وتكمله. (زيغور، 1993م: ص153).

طبائع الأحوال في العمران

لقد تصور ابن خلدون العمران البشري على غرار طبيعيات عصره، فنظر إلى الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية نظرة واحدة، فكما أن ظواهر الطبيعة مثل أن الجسم يتحرك إلى أسفل والنار تحرق والشمس تضيئ هي ظواهر تحدث بالطبع، فكذلك الظواهر الاجتماعية، من ضرورة الاجتماع البشري إلى وجود العصبية في البدن، إلى أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك، وهذا الملك يستتبع، الانفراد بالمجد ضرورة، وكل هذه الظواهر تحدث في العمران (بمقتضى طبيعته) وليس وقوعها عنه باختيار إنما هو بضرورة الوجود. (الجابري، 1994م: ص82).

هذه الخطوة من ابن خلدون وهي تصوره للعمران البشري على غرار العلوم الطبيعية هي خطوة جريئة كان لها نتائج مهمة على تصور ابن خلدون، فهي تقترش الأساس لعلم العمران وبالتالي فإن فهم مفهوم الطبع والطبيعة ضروري لفهم فكر ابن خلدون على الوجه الصحيح، ولهذا لا بد من الرجوع إلى الوراء قليلاً لتحديد هذا المفهوم وبالتحديد إلى الغزالي وتفريقه بين الفاعل بالطبع والفاعل بالإرادة، والذي يبدو أن ابن خلدون قد تأثر به بشكل أو بآخر ونسج على منواله في هذا المجال، مجال العلية.

يفرق الغزالي بين ثلاثة أنواع من الحركة: الحركة بالعرض مثل انتقال الماء داخل الاناء من مكان لآخر، والحركة بالقسر، وهذه الحركة هي حركة خارجة عن الجسم مثل انتقال الحجر إلى أعلى بشيء يدفعه، بدل انتقاله إلى أسفل.

أما النوع الثالث من الحركة، فهي الحركة بالطبع ومعناها أن الجسم المتحرك حركته من داخله، ولكن هذا لا يعني أنه يتحرك من ذاته لكونه جسماً على وجه واحد، بل لمعنى يزيد عليه يسمى ذلك المعنى طبيعة. (الغزالي، 2008م: ص168 - 169).

ويميز الغزالي بين نوعين من الأفعال الفعل بالطبع والفعل بالإرادة. فالفعل بالطبع هو الفعل الخالي من العلم بالمعلوم حيث تدخل الأفعال الطبيعية في الوجود على سبيل التسخير، أما الفاعل بالإرادة فهو الذي لديه علم بالمفعول، أي بمخلوقاته ومخلوقاته. (الغزالي، بدون تاريخ: ص152-153).

ومن خلال ما سبق يتضح أمران هامان:

الأول: أن الطبع هو معنى يزيد عن ذات الشيء، ويسمى طبيعة، وهو في نفس الوقت من ذات الشيء وليس من خارجه.

الثاني: أن الأفعال الطبيعية في الوجود تنسب إليه - أي إلى الكون، على سبيل التسخير. وهذا يعني أن الفعل الصادر عن طبيعة الشيء، والذي يحدث بالطبع، ليس مرتبطاً بذلك الشيء ارتباط العلة بالمعلول، بل ينسب إليه فقط على سبيل التسخير أي تسخير الله لهذا العالم. فالفاعل في الحقيقة هو الله، وهو وحده العالم بمفعولاته - ومخلوقاته. (قربان، 1404هـ- 1984م: ص240).

ويؤكد ابن خلدون نفس المعنى فيقول: " واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث بما فيه. فكان كله في طاعته وتسخيره، وهذا معنى الاستخلاف " (ابن خلدون، 2008م: ص500). المشار إليه في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: آية 29).

إذاً طبائع الأحوال في العمران هي من ذات العمران، تحدث فيه لا بإرادة الناس، بل بضرورة الوجود.

إن ضرورة الوجود هذه، أو طبائع العمران نفسها، إنما هي كذلك على سبيل التسخير وبعبارة ثانية أنها هي ومستقر العادة شيء واحد. فهي الكيفية التي أجرى الله بها العادة في هذا الكون. ومن هنا نستنتج أن (طبائع العمران) وكذلك (عوارض الذاتية) ليست هي القوانين بالمعنى الحديث. وإنما هي فقط الخصائص الملازمة له نتيجة (العادة) أو

(مستقر العادة). إنها عبارة عن المشيئة الإلهية كما تتجسم في حوادث الكون. ولذلك فمن الممكن أن تحدث أشياء مخالفة لطبائع العمران بفعل القدرة الإلهية، حيث تصبح خوارق للعادة أو معجزات (قربان، 1404هـ - 1984م: ص240).

وهكذا يتضح لنا مرة أخرى، أن علم العمران الخلدوني يستند، عبر مقولة التسخير، إلى سند ديني. فمستقر العادة، وهو مرادف للقانون الخلدوني، عبارة عن المشيئة الإلهية كما تتجسم في حوادث الكون كله. وكذلك الأمر بالنسبة لطبائع الأحوال في العمران. ومن هنا يتضح أن التفسير العقلاني لفكر ابن خلدون دون الأخذ في الاعتبار خلفياته الدينية يشوه هذا الفكر ويتجاهل بعض من خلفياته.

ابن خلدون ومفهوم التقدم

إن موضوع التطور أو التقدم في المجتمع العربي الإسلامي من أهم الموضوعات التي يجب البحث فيها، لنعرف أين نحن سائرون في المستقبل، وكيف نحن سائرون، وهل في إمكان ابن خلدون أن يساعدنا في هذا المجال؟ لعله من التعسف أن نزع من ابن خلدون نظرية متكاملة في التطور، ولكن لا يمكن أن نهمل مساهماته في هذا المجال.

يرتبط مفهوم طبائع الأحوال في العمران عند ابن خلدون بمفهوم التقدم حسب ما يرى الجابري. فقد أشار ابن خلدون إلى أن طبائع الأحوال في العمران تتغير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن طبائع العمران ليست طبائع جامدة ونهائية، بل إنها تتحرك في مجموعها بفعل طبيعة عمرانية أخرى، هي "تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الاعصار ومرور الأيام، . . . وذلك أن أحوال العالم والأمم وعواندهم ونحلهم لا تدوم على وثيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، كما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، وكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول. سنة الله التي قد خلت في عباده". (ابن خلدون، 2008م: ص29).

ولكن السؤال الذي يجب أن يُطرح: هل التغيير هو التطور؟ أي بمعنى هل التغيير مرادف للتطور؟ وإذا كان الجواب بنعم فهل كل تطور تقدم؟.

يجيبنا (سبينوس) عن هذا السؤال قائلاً: "إن المفهوم التجريبي الذي نحصل عليه من دراسة سلسلة من الحالات المتتالية، هو مفهوم التغيير، إلا أن ليس كل تغيير تطوراً. فإذا ما حدث مثلاً أن اختلفت حالة الأشياء في المرحلة الثانية، عنها في المرحلة الأولى التي

كانت عليها، ثم عادت فأصبحت في المرحلة الثالثة مطابقة للمرحلة الأولى، فإن هذا ليس تطوراً بل مجرد اهتزاز، إن سلسلة التغيرات لا تصبح تطوراً إلا إذا سارت في اتجاه يبدو ثابتاً.

والتطور ظاهرة أساسية في كل العلوم التي تدرس الكائنات الحية، إلا أنه يأخذ مكانة جوهرية في التاريخ، فالتاريخ هو قبل كل شيء هو علم تطور المجتمعات البشرية. (الخصيري، 2009م: ص87). من خلال هذا النص نستنتج أن التغير لن يكن تطوراً وبالتالي تقدماً إلا إذا سار في اتجاه يبدو لنا ثابتاً، وهو ظاهرة أساسية في كل العلوم التي تدرس الكائنات الحية وخاصة علم التاريخ.

يتوصل الجابري من خلال دراسته للتقدم في فكر ابن خلدون إلى استنتاج مفاده "أن التطور في التاريخ ذاتي، لا دخل لرغبات الناس فيه، إلا حينما تنقلب هذه الرغبات إرادات واعية تعمل على ضوء المعطيات الموضوعية القائمة". (الجابري، 1994م: ص85).

ولكن لماذا يتطور التاريخ تطوراً ذاتياً؟

ذلك لأن حوادث التاريخ بالنسبة لابن خلدون وحسبما يرى الجابري "ليست نتيجة جبرية عمياء، وإنما هي في جملتها نتيجة ما تقتضيه (طبائع الأحوال في العمران)، هذه الطبائع التي لا تتنافى مع حرية البشر إلا بمقدار ما يتجاهلون، ولا تتعارض مع المشيئة الإلهية لأنها هي نفسها تجسيم لهذه المشيئة". (الجابري، 1994م: ص85).

وإذا كانت حوادث التاريخ، نتيجة ما تقتضيه طبائع الأحوال في العمران وإذا كانت هذه الحوادث تجسماً للمشيئة الإلهية، فلماذا لا تكون هذه المشيئة جزءاً لا يتجزأ من التطور الذاتي للتاريخ؟ (قربان، 1404هـ - 1984م: ص245).

ومن خلال هذا العرض يتضح أنه من الشروط الأساسية لتحقيق التقدم حسب فكر ابن خلدون هو تدخل المشيئة الإلهية، وجهود الإنسان ومثابرتة على العمل، وما تقتضيه طبيعة الأمور.

حتمية فكر ابن خلدون

يصف بعض الباحثين والدارسين فكر ابن خلدون بأنه فكر حتمي، وفي أحياناً أخرى يصفونه بالجبرية. ولكي نعرف الوصف الدقيق الذي ينطبق على هذا الفكر لابد أولاً من معرفة مفاهيم هذه المصطلحات، فماذا تعني مصطلحات كل من الجبرية والحتمية والسببية؟ وما الفرق بين هذه المصطلحات؟

أولاً الجبرية: يصف الجابري الجبرية بأنها (قدر مقدور) ويصف هذه الجبرية أيضاً بانها عمياء يقول الجابري: " وفي الحقيقة أن ما يسمى بالجبرية في الإسلام ليس نزعة تشاؤمية، بل هي نزعة جبرية فيما يخص الماضي وحده، الماضي الذي يرى فيه المسلم قدراً مقدوراً لم يكن من الممكن تغييره لأن الأمور التي حدثت فيه ما كان يمكن لها أن تحدث بغير الشكل الذي حدثت به. أما بالنسبة إلى المستقبل فالفكر والأنظار معلقة بالقضاء والقدر – باعتبارهما جبرية عمياء – بل بإرادة الله وتوفيقه، وبوعده للمؤمن العاقل، بالنجاح في الحياة، ومن ثم يفتن العمل من أجل المستقبل، بالعمل على إرضاء الله وطلب عونه وتوفيقه. (الجابري، 1994م: ص84).

إلا أن هذه الجبرية التي يصفها الجابري ليست بالضرورة أن تكون عمياء، ثم أن صفتها الجوهرية هي تضاربها مع الحرية الإنسانية في التصرف والتأثير في مجرى التاريخ. (قربان، 1404هـ – 1984م: ص257).

ثانياً السببية: وهي علاقة تُبنى عليها جميع العلوم الاختبارية التجريبية وهي كالجبرية علاقة موضوعية بين الأشياء والعلاقات القائمة في الكون والطبيعة. ولكن اختلافها عن الجبرية هو أنها لا تطلب القضاء على حرية الإنسان، بل تتعايش معها. وبإمكان الإنسان تسخيرها لمصلحته عبر القوانين التي تستتبعها.

وقد أطلق كثيراً من الباحثين على هذا النوع من العلاقة بين الأشياء والحوادث أسم (الحتمية)، ولكننا نفضل أن نطلق اسم الحتمية على علاقة أخرى – علاقة لا نجد لها تطبيقات في دوائر العلوم التجريبية الاختبارية. ولهذا فان مصطلح الحتمية ليس له مغزى في مجال هذه العلوم. (قربان، 1404هـ – 1984م: ص257).

ثالثاً الحتمية: وهي ما أطلق عليه الفلاسفة اسم السببية، وهي مبدأ عقلياً ضرورياً قبلياً، وقد ناقشهم الغزالي في تصورهم هذا ورأى أن هذا المبدأ لا يصلح للسببية.

وهي علاقة موضوعية كالجبرية، وكالسببية – وهي مفترض مهم تقوم بالاستناد إليه جميع العلوم التجريبية. غير أن موضوعيتها تختلف عن موضوعية السببية، فموضوعيتها ترتبط بالرموز والكلمات والأشكال. في الحقول المنطقية. إذ على أساس هذه الرموز وعلاقتها بعضها ببعض يضطر العقل المتعقل أن يحكم بصحة أو خطأ الاستنتاج الذي يتوصل إليه الباحث المنطلق من مقدمات معطاه أو مسلم بها.

ومن أهم النتائج المترتبة على هذا التمييز بين السببية والحتمية، أن الحتمية تؤدي إلى نظريات أكيدة ونهائية. أما السببية وبالتالي السببية العمرانية فهي في أفضل حالاتها،

تكون الأساس القوي لنظريات لا تتصف، مهما بلغت درجة التأكد من صحتها، بالأكيدة أو النهائية وهذا هو شرط الحتمية. ولما كان هذا الشرط غير متوفر في العلوم الاختبارية والتجريبية - لأسباب يطول شرحها والمجال لا يتسع لذكرها، لذلك أصبح من الضروري، أن نستغني في هذه العلوم عن الحتمية ويقوم بهذه المهمة مفهوم آخر أدق وأقوى وهو مفهوم السببية. (قربان، 1404هـ - 1984م: ص 257 - 258).

وبعد هذا التفصيل والتفريق بين كل من الحتمية والسببية. ما هو الوصف الدقيق الذي ينطبق على فكر ابن خلدون هل هو فكر حتمي بما تحمله هذه الكلمة من معنى؟ وإذا لم يكن كذلك. فلماذا يصفه بعض الباحثين بهذا الوصف؟ .

يقول فيصل عباس في توطئة كتاب عبد القادر جغلول (الإشكاليات التاريخية لعلم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون): " من يكون ابن خلدون؟ تلك الشخصية الفذة التي رسمت معالم التاريخ وحتميته الاجتماعية وأرست قواعد العلم الاجتماعي الحديث". (عباس، 1980م: ص5).

ويقول إف لاکوست " فلقد توصل ابن خلدون إلى الاقتناع بأن انهيار الإمبراطوريات ليس عرضياً، وإنما هو محتم". (لاکوست، 1974م: ص155).

من خلال هذين النصين واللذان هما مثاليين فقط، نرى أن بعض الباحثين ينعنون الفكر الخلدوني بالحتمية، رغم توضيحنا في السطور السابقة بأن الحتمية بمعناها الشامل لا تنطبق على العلوم التجريبية والتاريخية، وإنما مجالها العلوم الرياضية، لأن هذه العلوم هي رموزاً وأرقاماً ونتائجها حتمية.

فما هو السبب يا ثرى؟ وماهي الحتمية التي يتصورونها؟.

إن المدقق في هذه النصوص يكتشف أن هذا الاستعمال لكلمة حتمية، هو على الأرجح سوء استعمال. وأغلب الظن أنهم يقصدون السببية، وينعتونها بالحتمية. وقد فرق ديفد هيوم بين أنواع الضرورات: الضرورة المنطقية، والضرورة السببية، والضرورة الاخلاقية.

فالضرورة المنطقية، لو تحققت في العالم، لكانت هي الضرورة الحتمية. إذ كانت عندها يُفرض على مفهوم الحرية وعلى دوره مالم يتدبر أمره قانوناً ما يخضع لنواميس الطبيعة الضرورية الوجود والتأثير. ولكن هذا لا يتحقق في التاريخ العلمي ولا في الحياة اليومية للإنسان. ولذلك يبقى تمييز هيوم قائماً بين الضرورة المنطقية - المختلف عن

مقولات الطبيعة – والضرورة السببية. ويريد أصحاب هذه النصوص هذه الضرورة ذاتها – الضرورة السببية. (قربان، 1404هـ – 1984م: ص269 – 270)

وقد رفض الغزالي قبل ابن خلدون حتمية العلوم الطبيعية وحتمية قوانينها، فهو يرى أن أحكام العلم الطبيعي احتمالية، وذلك لأنها ليست يقينية كأحكام العلم الرياضي، وهو يوضح ذلك عندما يتساءل في كتابه (المنقذ من الضلال)، عن حقيقة العلم ما هي؟ ثم يقول: " فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة، فلو قال لي قائل: لا، بل الثلاثة أكثر دليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً وقلبها، وشاهدت ذلك منه، لم أشك بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه، فأما الشك فلا، ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني " (الغزالي، 1969م: ص11).

فالحتمية بمعناها الدقيق والمحدد، هو مفهوم فارغ ليس له مطلق تطبيق في علم العمران. أما الحتمية بمعنى السببية فهو مفهوم، له مغزى علمي تطبيقي وتخصيصي.

وربما وجدنا في هذا النص للدكتور عبد السلام المسدي، مفهوماً قريباً جداً من مفهوم الحتمية الذي أوضحناه سابقاً، كما أن هذا النص يوضح لنا، هل إن فكر ابن خلدون فكر حتمي أم لا. يقول الدكتور المسدي: " على أن الروح الاختبارية في أصولية ابن خلدون، .. هي التي وقتت صاحبها جموح العقلانية المجردة، فلم يذهب هذا المنهج بصاحبه إلى حد اسقاط التصورات التجريدية على الوقائع الحادثة، ولا إلى حد اعتماد القوالب الماقبلية على صياغة القوانين المحركة للظواهر، بل إن الخط الاختباري قد حتم الاستناد إلى مبدئين منهجيين: أولهما القول بأن مسيرة الأحداث ليست عشوائية ولا هي تعسفية مطلقاً، وإنما تحكمها ضوابط داخلية تمثل منطق انتظامها في الوجود، وثانيهما أن العقل قادر على اشتقاق قوانين الظواهر، وذلك بانزاعها عبر التجريد بعد المعاينة". (المسدي، 1982م: ص123).

من خلال هذا النص، يميز الدكتور المسدي بين ثلاثة أنواع من مسيرة الأحداث:

- 1- النوع العشوائي.
- 2- النوع التعسفي المطلق.
- 3- اما النوع الثالث فهو النوع الذي تحكمه ضوابط داخلية تمثل منطق انتظامه في الوجود.

ويعبر النوع الثاني من الأحداث – وهو النوع التعسفي المطلق عن الحتمية بما تعنيه الكلمة من معنى، والتي لا يمكن تطبيقها على الواقع الطبيعي أو الاجتماعي التاريخي. أما النوع الثالث فهو يعبر عما أطلقنا عليه السببية الموضوعية والتي من خلالها يتم دراسة فكر ابن خلدون.

الخاتمة:

من خلال استعراضنا لهذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

النتيجة الأولى: إن تصور ابن خلدون للعلية لا يمكن فهمه إلا بعد معرفة تصور العقل الوجودي والمعرفي الذي ينتمي إليه، فابن خلدون ينتمي إلى العقل الوجودي والمعرفي الذي بلوره الإشاعرة وعلى رأسهم الغزالي، والذي هو مخالف للتصور اليوناني وتصور الفلاسفة المسلمين، فالوضع الوجودي والمعرفي للعقل عند الفلاسفة اليونان والمسلمين يركز على نظام عقلي مبدؤه العقل – ومثاله الفكر المنطقي – الجدالي اليوناني – لذلك فهو يرى انكار القول بالارتباط الضروري بين الأسباب والمسببات أمر غريب عن طباع الناس.

أما الوضع الجديد للعقل الذي بلوره الغزالي وينتمي إليه ابن خلدون، فهو وضع مبدؤه الوجودي ومثاله المعرفي الإرادة أو الحرية المطلقة التي تعوض الضرورة في الوضع السابق.

النتيجة الثانية: هذا التصور للعقل والنشاط العقلي يتميز عن التصور السابق من نواحي عدة:

- أن المعتزلة كانوا يتصورون الأسباب حلقة بعد أخرى كل حلقة تسبب في الأخرى التي بعدها حسب اتجاه يحاكي المستقيم وأساسه المبدأ اليوناني القائل إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحداً.

أما التصور الجديد - فإنه نتيجة لأخذه بمقولة الكسب – قد فتح الباب واسعاً لتعدد الأسباب – وبذلك فتح ابن خلدون في بجهته التاريخية والاجتماعية الباب واسعاً لتعدد الأسباب للشيء الواحد، وهو بذلك يدحض بشكل غير مباشر نظريات الفيض والصدور.

- إن النشاط العقلي لا يكون مثمراً إلا إذا كان مراعيّاً للواقع، سواء كان ذلك الواقع تجربة نفسية أو روحية أو باطنية أو تجربة خارجية موضوعية.

النتيجة الثالثة: من خلال هذا التحليل للوضع العقلي الذي ينتمي إليه ابن خلدون – والذي يتبلور من خلال رأيه في العلية، يتضح لنا أن فكر ابن خلدون ليس منقطع الجذور كما زعم البعض، ولكنه ثمرة من ثمرات تطور الفكر الإسلامي وخاصة التيار الأشعري.

النتيجة الرابعة: يربط ابن خلدون السببية بمستقر العادة، وهذا الربط يدل على الاتجاه الذي ينتمي إليه ابن خلدون وهو الاتجاه الأشعري. وقد أنكر الغزالي قبله الارتباط الضروري بين الأسباب والمسببات – الذي قال به الفلاسفة – وأن هذا الارتباط هو بسبب ما سبق من تقدير الله سبحانه وتعالى ولا يكون ضرورياً في نفسه.

فالسببية عند الأشاعرة وابن خلدون ليست مبدأ عقلياً ضرورياً وقبلياً كما يرى الفلاسفة، بل هي مجرد عادة، والعادة هي ما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطبائع السليمة. ومن هنا فإن فكرة العادة عند الأشاعرة وابن خلدون معناها أنهم إذا شاهدوا هذه الحادثة تعقبها حادثة أخرى، فإن الحادثة الثانية ستتبعها وتقترب بها، ولكن دون تحقق علاقة ضرورية بين الاثنين، وبما هي عادة فإنها تقوم على الملاحظة والتجربة. وهذه التجربة هي أهم ما يميز مفهوم ابن خلدون والأشاعرة عن مفهوم الفلاسفة السببي.

النتيجة الخامسة: غير أن هذه العادة حسب تعبير ابن خلدون هي قانون عمراني يستند إلى المشيئة الإلهية، ومن هنا نستنتج أن لعلم العمران بعداً دينياً، فلم العمران لا يقوم على أسس عقلية وتجريبية فقط كما يرى بعض الباحثين، وإنما له خلفية دينية كذلك.

النتيجة السادسة: يرتبط مفهوم العلية عند ابن خلدون بمفهوم آخر وهو مفهوم (طبائع الاحوال العمران)، ولفهم تصور ابن خلدون للعلية لابد من فهم ما أراده بالقول بطبائع الاحوال في العمران. لقد تصور ابن خلدون طبائع العمران على غرار الطبيعة، وكنا قد تحدثنا في هذا البحث عن مفهوم الطبع والطبيعة.

هذا التصور من قبل ابن خلدون لطبائع الاحوال في العمران على غرار الطبيعيات كان له أثراً مهماً على تصور ابن خلدون، فهو الأساس لعلم العمران. إن طبائع الاحوال في العمران هي من ذات العمران، تحدث فيه لا بإرادة الناس، بل بضرورة الوجود. إن ضرورة الوجود أو طبائع الاحوال في العمران ومستقر العادة شيء واحد. فهي الكيفية التي أجرى بها الله العادة في هذا الكون. فالعادة عبارة عن المشيئة الإلهية كما تتجسم في حوادث الكون. ولذلك من الممكن أن تحدث أشياء مخالفة لطبائع العمران بفعل الإرادة الإلهية.

النتيجة السابعة: يرتبط مفهوم طبائع الأحوال في العمران بمفهوم التقدم، حيث يشير ابن خلدون إلى أن طبائع الأحوال في العمران تتغير، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن طبائع الأحوال في العمران ليست جامدة ونهائية، بل إنها تتحرك في مجموعها بفضل طبيعة عمرانية أخرى، هي تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الاعصار ومرور الايام.

والتطور في التاريخ بالنسبة لابن خلدون ذاتي، ذلك لأن حوادث التاريخ بالنسبة لابن خلدون ليست نتيجة جبرية عمياء، وإنما هي في جملتها نتيجة ما تقتضيه طبائع الأحوال في العمران، هذه الطبائع التي لا تتنافى مع حرية البشر إلا بمقدار ما يتجاهلونها، ولا تتعارض مع المشيئة الإلهية لأنها هي نفسها تجسيم لهذه المشيئة، فالمشيئة الإلهية هي جزء لا يتجزأ من التطور الذاتي للتاريخ.

ولهذا فإن من الشروط الأساسية لتحقيق التقدم حسب فكر ابن خلدون، هو تدخل المشيئة الإلهية، وجهود الإنسان ومثابرتة على العمل، وما تقتضيه طبيعة الأمور. ولهذا لا يمكن أن نصف فكر ابن خلدون بالاحتمية، بل إن هذا الفكر يخضع للسببية كما تصورها الأشاعرة.

المصادر والمراجع

أولاً القرآن الكريم.

ثانياً الكتب :

- 1- ابن خلدون عبدالرحمن، المقمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2006م.
- 2- بن ميلاد محبوب، ابن خلدون في تاريخ الفكر الإنساني - (ندوة ابن خلدون والفكر العربي المعاصر)، الدار العربية للكتاب، تونس، 29 جماد الأولى 1400هـ - 14 ابريل 1980م.
- 3- الجابري محمد، العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994م.
- 4- الخضيرى زينب، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار التنوير - دار الفارابي، بيروت، 2009م.
- 5- الذواودي محمود، أضواء جديدة على محددات العقل العمراني الخلدوني، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003م.
- 6- زيغور علي، الفلسفة العملية عند ابن خلدون وابن الأزرقي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م.

- 7- عباس فيصل، توطئة كتاب الاشكاليات التاريخية لعلم الاجتماع عند ابن خلدون، ترجمة فيصل عباس، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
- 8- الغزالي أبو حامد، تهاافت الفلاسفة، تحقيق وتقديم سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1974م.
- 9- الغزالي ابو حامد، معارج القدس، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.
- 10- الغزالي أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، تحقيق وتعليق أحمد فريد وجدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2008م.
- 11- لغزالي أبو حامد، المنقذ من الضلال، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ط2، 1969م.
- 12- قربان ملحم، خلدونيات، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.
- 13- لاکوست ايف، العلامة ابن خلدون، ترجمة ميشيل سليمان، دار ابن خلدون للنشر، بيروت، 1974م.
- 14- المرزوقي أبو يعرب، نقد الميتافيزيقا بين الغزالي وابن رشد، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 1428هـ - 2007م.
- 15- مزيان عبدالمجيد، التوازن بين الفكر الديني والفكر العلمي (ندوة ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، الدار العربية للكتاب، تونس، 29 جماد الأولى 1400هـ - 14 ابريل 1980م.
- 16- المسدي عبد السلام، الأسس الاختبارية في نظرية المعرفة عند ابن خلدون - ندوة ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م.
- 17- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج2، القاهرة، 1985م.
- 18- الموسوعة الفلسفية، المجلد الأول، معهد الانماء العربي، بيروت، 1986م.
- 19- النجار جميل، دراسات في فلسفة التاريخ النقدية، بغداد، ط1، 2004م.
- ثالثاً الدوريات:**
- 1-البوني ضو، مجلة الجامعي، العدد السابع، 2004م، مقالة بعنوان (علم الكلام بين الماضي والحاضر والمستقبل).

التنمية السياسية ودورها في تحقيق التنمية الشاملة

د. سارة الطاهر عمر علي

قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الزاوية

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مفهوم التنمية السياسية ومؤشراتها وبعض المفاهيم المرتبطة بها، كما يهدف إلى تسليط الضوء على أهم مقوماتها، ومعرفة التحديات أو المشكلات التي تواجه التنمية السياسية، ويعد هذا البحث بحثاً نظرياً مكتيباً اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي من خلال رصد الكتابات المتعلقة بالموضوع، وتحليل المفاهيم ذات العلاقة بموضوع البحث، وتوصل البحث إلى الاستنتاجات الآتية:

- مفهوم التنمية السياسية مفهوم شامل وتتداخل معه مجموعة من المضامين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهدفها الرئيس هو المساواة في الحقوق والواجبات، وهي إحدى دعائم التنمية الشاملة، كما أن مفهوم التنمية السياسية يتداخل إلى حد كبير مع مفهوم التحديث السياسي.

- ارتبط مفهوم التنمية السياسية بتحقيق المشاركة السياسية.

- تعددت مؤشرات التنمية السياسية، ولكنها تكاد تتفق على بعض المؤشرات مثل المشاركة السياسية والتوزيع العادل للموارد وسيادة القانون والتعددية وعدم تجميع السلطات في يد شخص واحد.

- أزمات التنمية السياسية أو المشكلات التي تعترض التنمية السياسية تتمثل في أزمة الهوية وأزمة الشرعية وأزمة المشاركة وأزمة التوزيع وأزمة التغلغل، وإن العلاقة بين هذه الأزمات علاقة ترابطية فهي متداخلة وعلاقة تأثير وتأثر فيما بينها.

- إن النموذج الغربي للتنمية السياسية قد يكون غير صالح لكل المجتمعات، فلكل مجتمع خصوصيته وهذا ما أدى إلى ظهور نتائج سلبية على مستوى التنمية السياسية.

الكلمات مفتاحية: التنمية السياسية، التحديث السياسي، المشاركة السياسية.

المقدمة

التنمية السياسية هي جوهر مفهوم التنمية إذ تستوعب في إطارها طروحات نظريات التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ذلك أن مشكلة التنمية هي في الأساس مشكلة سياسية، تنطلق من الفكر السياسي لكونه شرطاً أولاً لتقديم مجموعة الخطط والبرامج والأفكار والأرقام لعملية التنمية، لذلك فإن معركة التخلف هي معركة سياسية في الدرجة الأولى. (الدرمكي، 2012: 37)

وتستهدف التنمية السياسية بعدها عملية سياسية متعددة الغايات، ترسيخ فكرة المواطنة وتحقيق التكامل والاستقرار داخل ربوع المجتمع وزيادة معدلات مشاركة الجماهير في الحياة السياسية، وتدعيم قدرة الحكومة على إعمال قوانينها وسياساتها، ورفع كفاءة هذه الحكومة فيما يتصل بتوزيع القيم والموارد الاقتصادية المتاحة بطريقة عادلة، فضلاً عن إضفاء الشرعية على السلطة بحيث تستند إلى أساس قانوني فيما يتصل بممارستها وتداولها. (حبيب، 2016: 371)

ويتطلب تحقيق التنمية الانسانية الشاملة في أي مجتمع توافر جملة من الشروط والعناصر، أهمها التنمية السياسية، وهي أحد المفاهيم الحديثة، التي بدأ استخدامها في أعقاب الحرب العالمية الثانية، بالتزامن مع استقلال الكثير من الدول، وما طرحه الاستقلال من تحديات بناء الدولة، والتنمية والتغيير، للتغلب على حالة الضعف في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. (عثمان، 2012: 134)

وتبدو أهمية تناول موضوع هذا البحث من خلال أهمية التنمية السياسية نفسها في تحقيق التنمية الشاملة، وتقدم المجتمع في جميع مجالاته، والدور الذي تلعبه في عملية الاستقرار السياسي، بوصفها إحدى دعائم التنمية الشاملة، وكذلك أهميتها في غرس مفاهيم المواطنة والحوار وقبول الآخر، كما تبدو أهمية البحث أيضاً في قلة تناول موضوع التنمية السياسية في الدراسات الاجتماعية، وهذا ما ظهر جلياً للباحثة عند الاطلاع على أدبيات الموضوع، إذ تركزت أغلب الدراسات والأبحاث في المجال السياسي، حيث أنها تفتح مجالات في موضوعات يمكن أن يتناولها الباحثين الاجتماعيين بالدراسة والتحليل، الأمر الذي ربما يثير آفاق جديدة، ويبرز أسئلة عديدة.

ويهدف البحث إلى التعرف على ماهية التنمية السياسية من حيث تعريفها، وتحديد أهم مؤشراتها، وبعض المفاهيم المرتبطة بها، كما يهدف إلى تسليط الضوء على أهم مقومات التنمية السياسية، ومعرفة التحديات أو المشكلات التي تواجه التنمية السياسية.

ونظراً لطبيعة البحث النظرية، اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال رصد الكتابات المتعلقة بالموضوع، وتحليل المفاهيم ذات العلاقة بموضوع البحث. ولتحقيق أهداف البحث سيتم التطرق إلى العناصر الآتية:

1. مفهوم التنمية السياسية ومؤشراتها وبعض المفاهيم المرتبطة بها (مفهوم التنمية السياسية، مؤشرات التنمية السياسية، مفهوم التحديث السياسي)
2. مقومات التنمية السياسية (التمايز في الأبنية والأدوار، المشاركة السياسية، التعددية السياسية، القدرة)
3. أزمات التنمية السياسية (أزمة الهوية، أزمة الشرعية، أزمة المشاركة، أزمة التوزيع، أزمة التغلغل)

أولاً: مفهوم التنمية السياسية ومؤشراتها وبعض المفاهيم المرتبطة بها

✓ مفهوم التنمية السياسية

ظهر مفهوم التنمية السياسية في عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي، ويقترن بدول العالم الثالث وبتطوير نظمها السياسية، وقد رافق تطوره العديد من المصطلحات مثل الإصلاح والتحديث السياسي، والتعددية. (حبيب، 2016: 371)

واتفق الباحثون على أن مفهوم التنمية السياسية لم يحظ باتفاق العلماء والباحثين على مفهوم واحد جامع مانع له، كما أنه مفهوم اتسم بالتحيز الايديولوجي وذلك حسب وجهات نظرهم واهتماماتهم، وقد حدد لنا السيد الزيات عدة أسباب أو صعوبات حالت دون الاتفاق على تعريف لهذا المفهوم، ومنها:

- إن مفهوم التنمية السياسية ذاته ولحدائثه نشأته أيضاً لا يزال يختلط، ويتداخل إلى حد كبير مع طائفة أخرى من المفاهيم التي تقترن به، أو تتشابه معه أو تقترب منه كالتحديث والتغير والتطور والنمو والتقدم...
- إن المحاولات الأولى لتعريف التنمية السياسية قد صدرت أساساً عن رجال الدولة وصانعي السياسة، لا عن طريق العلماء أو الباحثين المتخصصين، ومن ثم كانت هذه المحاولات أقرب إلى التحليلات السياسية منها إلى التعريف العلمي.
- إن معظم الاجتهادات التي قدمها الباحثون في هذا المجال قد صدرت في أغلب الأحوال عن باحثي العالم الغربي، ومن ثم كانت معظم هذه الاجتهادات مثقلة بكثير من التوجهات القيمية والانحياز الايديولوجي لتجربة الغرب.
- إن الجهود التي بذلت حول تعريف التنمية السياسية تمت في أغلب الأحوال من خلال منظورات عديدة ومتنوعة، أو استناداً إلى رؤى ووجهات نظر متباينة.

- إن التنمية السياسية ما هي إلا أحد جوانب عملية التغيير الاجتماعي الشامل، ومن ثم فهي عملية معقدة متشابكة، تتداخل مع كثير من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية، وتنطوي أيضاً على عديد من العمليات والغايات المتداخلة. (الزيات، 1986: 83-87)

وقد حاول السيد الزيات بعد عرضه لجانب كبير من الاجتهادات والتصورات الفكرية التي قدمها العلماء والباحثون في محاولة تحديد مفهوم التنمية السياسية وتحليلها وتقويمها حاول وضع مجموعة مؤشرات للتنمية السياسية ومنها استخلص تعريفه للتنمية السياسية بأنها: "عملية سوسيو تاريخية، متعددة الأبعاد والزوايا تستهدف تطوير أو استحداث نظام سياسي عصري يستمد أصوله الفكرية من نسق ايديولوجي تقدمي ملائم، يتسق مع الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع، ويشكل أساساً مناسباً لعملية التعبئة الاجتماعية، ويتألف بناء هذا النظام من مجموعة من المؤسسات السياسية- الرسمية والطوعية- التي تتميز عن بعضها بنائياً، وتتبادل التأثير فيما بينها جديلاً، وتتكامل مع بعضها البعض وظيفياً، وتمثل في الوقت نفسه الغالبية العظمى من الجماهير وتعكس مصالحها، وتهيء المناخ الملائم لمشاركتها في الحياة السياسية بشكل إيجابي وفعال، يساعد على تعميق وترسيخ حقائق وامكانات التكامل الاجتماعي والسياسي، ويتيح الفرصة لتوفير أوضاع مواتية لتحقيق الاستقرار داخل المجتمع بوجه عام". (الزيات، 1986: 156)

ركز هذا التعريف على كون التنمية السياسية عملية اجتماعية، بمعنى أنه أضفى عليها الطابع التفاعلي حيث التأثير والتأثير، فهي لا تقتصر على البعد السياسي فحسب، ولكن تضم كل الأبعاد المجتمعية (الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية، السياسية والنظامية). (برقوق والعديدي، 2013: 88، 89)

وتعرف التنمية السياسية حسب أحمد وهبان وبعد تحليله أيضاً للعديد من وجهات نظر الباحثين، بأنها "عملية سياسية متعددة الغايات تستهدف ترسيخ فكرة المواطنة، وتحقيق التكامل والاستقرار داخل ربوع المجتمع، وزيادة معدلات مشاركة الجماهير في الحياة السياسية، وتدعيم قدرة الحكومة المركزية على أعمال قوانينها وسياساتها على سائر إقليم الدولة، ورفع كفاءة هذه الحكومة فيما يتصل بتوزيع القيم والموارد الاقتصادية المتاحة، فضلاً عن إضفاء الشرعية على السلطة بحيث تستند إلى أساس قانوني حق فيما يتصل باعتلائها وممارستها وتداولها، مع مراعاة الفصل بين الوظيفتين التشريعية والتنفيذية، بحيث تقوم على كل منهما هيئة مستقلة عن الأخرى، فضلاً عن إتاحة الوسائل الكفيلة بتحقيق الرقابة المتبادلة بين الهيئتين". (وهبان، 2003: 204)

ويخلص الباحث- أحمد وهبان - من خلال هذا التعريف إلى نتيجتين، تتعلق الأولى بكون التنمية السياسية تسعى لتخليص المجتمع من التخلف السياسي والمتمثلة في تجاوزه أزمة الهوية، أزمة الشرعية، أزمة المشاركة، أزمة التغلغل، أزمة التوزيع، أزمة الاستقرار السياسي وأزمة تنظيم المجتمع. وتتعلق الثانية في كون العملية تهدف إلى ترسيخ مفهوم المواطنة وبناء الدولة القومية التي تنتفي في ظلها أزمة الهوية من جهة، ومن جهة أخرى تهدف إلى تحقيق التكامل السياسي وبالتالي الاستقرار، ويرتبط ذلك أساساً بفكرة المواطنة. (برقوق والعدي، 2013: 90)

ومن وجهة نظر المشاط فالتنمية السياسية تعني إحداث تغييرات أساسية في المجتمعات والنظم، والنماذج السياسية، والمؤسسية مع تأكيد أهمية اكتساب قيم ومفاهيم جديدة. (العزام، 2006: 366)

أما موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية، فتشير إلى أن مفهوم التنمية السياسية تركز حول قضايا التنمية القومية والتنمية السياسية في إطار التنمية الشاملة، كما دار حول محددات التحديث السياسي والاجتماعي في دول العالم الثالث. (الطبيب، 2007: 92)

والحقيقة أن مفهوم التنمية السياسية ظهر أولاً عند المفكرين والباحثين الأوربيين والأمريكيين، وذلك من أجل تحقيق الاستقرار السياسي في الدول النامية التي حصلت على استقلالها في الخمسينات والستينيات من القرن العشرين، لضمان مصالحهم الاقتصادية في تلك الدول.

من هؤلاء الباحثين مثلاً أورد لوسيان باي (Lucian w.pye) تعريفاً خاصاً به: فهي أي التنمية السياسية تمثل مطلباً سياسياً لتحقيق التنمية الاقتصادية، وتبني سياسة المجتمعات الصناعية، والتحديث السياسي، وفعالية الدولة القومية والتنمية الإدارية والقانونية والمشاركة والتعبئة الجماهيرية، وبناء الديمقراطية وغيرها. (حبيب، 2016: 373)

وقد حدد جيمس كولمان معنى التنمية السياسية بثلاث منظورات هي: (المهدي، 2013: 125)

1. المنظور التاريخي: الذي يرى أن عملية التنمية تاريخية، يمكن التوصل إلى مراحلها وخطواتها عن طريق تتبع تاريخ المجتمع الأوروبي.
2. المنظور النمطي: الذي ينظر إلى التنمية في ضوء الثنائيات، التقليدية في مقابل الحداثّة، والصناعية في مقابل الزراعة.

3. المنظور التطوري: الذي ينظر إلى التنمية على أنها عملية دائمة من دون نهاية، يمثل المجتمع الأوربي قمة تطورها.

أما صموئيل هنتنغتون فقد ربط بين التنمية السياسية بمحاولة المجتمع السياسي الرامية إلى تحقيق شكل من أشكال الوحدة السياسية، كما ربطها أيضاً بالتحديث السياسي كونه - حسب نظره - مرادفاً للتنمية السياسية، ويعرفها أيضاً بأنها العملية التي بمقتضاها يزداد ترشيد السلطة والتباين في الهياكل والأبنية والمؤسسات السياسية وزيادة المشاركة السياسية. (شنين، 2013: 10) وقدم باكنهام تعريفاً للتنمية السياسية على أنها ترادف الديمقراطية والتحديث السياسي. (الدرمكي، 2012: 29)

من كل التعريفات السابقة لمفهوم التنمية السياسية نصل إلى نتيجة مفادها أن التنمية السياسية تعني ما هو أكثر من النمو الاقتصادي، فهي تعني تحقيق تغيير أساسي في المجتمع وفي طرق المعيشة وفي النظم والنماذج السياسية، كما تعني اكتساب مفاهيم جديدة، إنها تعني الانتقال بالمجتمع السياسي وزرع قيم جديدة من مرحلة أقل تقدماً إلى مرحلة أكثر تقدماً، (الطبيب، 2007: 93، 94) والتنمية السياسية هي أساس تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لأن الهدف منها أن يعرف المواطن حقوقه وواجباته الدستورية وأن يشارك مشاركة فعالة وإيجابية في الحياة السياسية، وبذلك فإن التنمية السياسية هي ضرورة وطنية وحنمية من أجل تحقيق تقدم المجتمع ورقية. (الدرمكي، 2012: 37) وبالنتيجة تتفق الباحثة مع التعريف القائل بأن التنمية السياسية هي عملية تحول شاملة نحو الأفضل لجميع جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والإدارية، والقانونية القائمة على التعددية التنافسية، ومعايير الإنجاز، والكفاءة، والتي توفر آليات مشاركة سياسية حقيقية تضمن الأمن، والاستقرار، واندماج فئات المجتمع المختلفة. (العزام، 2006: 366)

والنتيجة الأخرى هي أنه ليس هناك مثال يحتذى به للتنمية السياسية، لأن كل مجتمع محكوم بظروفه المادية والثقافية وتجربته التاريخية ليست مرتبطة بمعايير محددة، لأن القبول بهذه الأخيرة يعني تحديد مسيرة التنمية ضمن إطار معين. (العزي، 2017: 46)

✓ مؤشرات التنمية السياسية

وبناءً على ما سبق يمكن أن نستخلص مجموعة مؤشرات للتنمية السياسية كما وردت عند بعض الباحثين، تلخص ما جاء في تعريفات التنمية السياسية، بل أن البعض اكتفى بوضع مؤشرات عوضاً عن وضع تعريف للمفهوم ومن هذه المؤشرات ما يلي:

- مبدأ سيادة القانون وتكافؤ الفرص وضمان حرية التعبير.
 - وجود مجتمع مدني فاعل، وثقافة سياسية مدنية تقوم على أساس التسامح والحوار واحترام الرأي.
 - مشاركة سياسية ديمقراطية وشفافة في صنع القرار السياسي وفق أسس حديثة
 - قدرة النظام السياسي في استخراج الموارد وتوزيعها على أفراد المجتمع بعدالة.
 - قدرة النظام السياسي على التكيف من خلال تطوير مؤسساته المختلفة لاستيعاب التغيير الذي طرأ على المجتمع.
 - تطوير التشريعات وتحديثها بما يتماشى مع المتطلبات الداخلية والخارجية للمجتمع.
 - وجود برلمان فاعل يمثل الإرادة الحقيقية للشعب، ويمارس صلاحياته الدستورية في الرقابة على السلطة التنفيذية. (العزام، 2006: 366)
 - إطلاق الحريات بين جميع فئات المجتمع الواحد، بعيداً عن الخوف والارهاب الفكري، وحماية الحريات المسؤولة لأنها عماد الديمقراطية.
 - وجود تعددية سياسية وفكرية ضمن الثوابت التي يقوم عليها المجتمع.
 - تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين بصرف النظر عن اختلاف انتماءاتهم أو أجناسهم أو أديانهم أو أعراقهم، وعلى الجميع أن يتحمل مسؤوليته في الحفاظ على الدولة باعتبارها القاسم المشترك بين الجميع.
 - قيام الأحزاب السياسية القوية والفاعلة والقادرة على إحداث التغيير المرجو من خلال إشراك الأفراد في إقرار السياسة العامة للحزب.
 - تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني وقطاع الشباب والمرأة في الحياة السياسية.
 - سن قوانين وتشريعات تحمي حقوق الأفراد. (قزادري، 2015: 237)
- وقدم نبيل السمالوطي مؤشرات للتنمية السياسية مثل تحقيق المساواة بين جميع المواطنين في المجتمع حتى وإن كان هناك تباين في الأصول أو الانتماءات والمشاركة الجماهيرية في عملية صناعة القرارات من خلال النظام البرلماني، وعدم تجميع السلطات في يد شخص أو مجموعة والفصل بينهما. (حبيب، 2016: 373)
- ويحدد البعض مؤشرات التنمية السياسية في الآتي: (ركاش، 2016: 35)
1. بناء نظام مؤسسي شرعي يمنع احتكار السلطة واستبداد النخبة الحاكمة ويحقق استقلالية القرار السياسي الداخلي والخارجي.

2. مشاركة كافة القوى والتيارات السياسية من خلال مؤسسات فعالة تتيح التداول السلمي للسلطة وتحترم الإرادة الشعبية في اختيارها.
3. المشاركة السياسية الشعبية في صنع القرار ومراقبته.
4. احترام وحماية قيم الحرية، المساواة، العدالة ووضع الضمانات الخاصة بممارستها.
5. ضمان حقوق الإنسان وصيانة مكانته من خلال الابتعاد عن كافة أشكال القمع السياسي من اعتقال وقتل وتعذيب.
6. تحقيق الوحدة والتكامل والاستقرار من خلال تأكيد الذاتية الثقافية وحصر الصراع السياسي في إطار المصالحة العامة، والتفاف كافة القوى وراء هدف سامي يتمثل في استكمال التحرر السياسي، الاقتصادي، الثقافي وتحقيق التنمية كمشروع حضاري.

✓ التحديث السياسي

من أهم المفاهيم التي لاحظت الباحثة ارتباطها بتعريف بمفهوم التنمية السياسية هو مفهوم التحديث السياسي، فمن خلال ما سبق عرضه من تعريفات ومؤشرات لمفهوم التنمية السياسية، تبين أن البعض يعرفون التنمية السياسية على أنها مرادفة للتحديث السياسي، ولذلك سنحاول هنا تعريف هذا المفهوم لنعرف مدى ارتباط مفهوم التنمية السياسية بمفهوم التحديث السياسي، وهل هما مترادفان؟

إن مفهوم التحديث السياسي ظهر في عام 1950 عندما بدأ العلماء باستخدام مفهوم التحديث، فقد عبر (لوسيان باي) وزملاؤه عن مفهوم التحديث السياسي من خلال المعنى الذي ينطوي عليه هذا المفهوم وهي التحولات السياسية التي شهدتها أوروبا منذ عصر النهضة، وهذه التحولات تعبر عن مجموعة من الخصائص أو السمات الأساسية التي تميز التحديث السياسي ومنها: (محمد وحسين، 2007، 38)

1. اتجاه عام نحو المساواة، الذي ينتج تساوي الفرص للمشاركة في السياسة والتنافس حول المناصب الحكومية.
 2. قدرة النظام السياسي على صياغة السياسات وتنفيذها.
 3. التباين والتخصص في الوظائف السياسية، شريطة أن لا يحدث ذلك على حساب التكامل.
 4. التحول العلماني للعملية السياسية، أي فصل السياسة عن الأهداف الدينية وتأثيرها.
- والتحديث السياسي مفهوم مركب من مفهومين: الأول، مفهوم التحديث والثاني، مفهوم سياسي، ويقصد بالتحديث الانتقال من وضع إلى آخر على وفق معيار معين،

وبوصفه السياسي أنه التغيير الذي يشمل كل ما له صلة بالعملية السياسية، إذن مفهوم التحديث السياسي مفهوم له علاقة بجوانب الحياة السياسية كافة. (إدارة البحوث والدراسات، 2016: 6) والتحديث السياسي حسب البعض هو حالة محددة من حالات التنمية تنسم بثلاث سمات: (حميد، 2012: 520)

1. نظام اجتماعي يعرف ظاهرة الابتكار والتجديد باستمرار دون أن يفقد تماسكه أو تضامنه الداخلي، بعبارة أخرى قبول فكرة التغيير كقيمة أساسية اجتماعية.
2. أبنية اجتماعية متميزة ومتخصصة وقادرة على التكيف مع الظروف الجديدة.
3. إطار اجتماعي قادر على توفير المهارات والمعرفة الضرورية للحياة في عالم متقدم تقنياً.

ومن هنا يمكن القول أن التحديث السياسي هو عملية مركبة مستمرة من الشكل التقليدي إلى الشكل الحديث، أي أنه سلسلة التغييرات الثقافية والبنائية التي تعتري الأنساق السياسية في المجتمعات المتقدمة، ويشمل ذلك المجالات التنظيمية وتحليل الأنشطة والعمليات والنظم التي تتعلق بصنع القرارات السياسية، وتستهدف تحقيق أهداف جميع أفراد المجتمع. (حميد، 2012: 521)

وبذلك نصل إلى نتيجة مفادها أن كل من مفهوم التنمية السياسية والتحديث السياسي يشتركان من حيث كونهما تغيير المجتمع من الشكل التقليدي إلى الشكل الحديث، إلا أن مفهوم التنمية السياسية مفهوم أعم حيث يشمل كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بينما يتعلق مفهوم التحديث السياسي بالجانب السياسي على الأغلب.

ثانياً: مقومات التنمية السياسية

ترتكز التنمية السياسية على مجموعة من المقومات الأساسية أو العوامل التي ترسخ قيام نظام سياسي ديمقراطي وهي كالاتي:

1. التمايز في الأبنية والأدوار

أي تعدد ووضوح الأدوار، بحيث يكون لكل بنیان أدواره ووظائفه السياسية المحددة، وكذلك القيام بأنواع جديدة من هذه الأبنية والأدوار، كقيام الأحزاب السياسية وجماعات المصالح ووسائل الاتصال الجماهيري. إن الدول التي قطعت أشواط في مجال التنمية السياسية، لا يغيب فيها الصراع، ولكن تميزها يظهر في وجود آليات ومؤسسات لتنظيم الصراع من حيث أشكاله ومشاكله وطريقة المعالجة والحلول، فالمؤسسات تلعب دوراً كبيراً في الدول المتقدمة، والنظام السياسي فيها يتسم بالتخصص الوظيفي والتمايز وتوزيع الأدوار بين مختلف الأجهزة السياسية والنقابات وغيرها. ويسود المجتمع أحكام وقواعد قانونية تنصف بالعمومية وتنطبق على جميع

أفراد المجتمع دون استثناء بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والمذهبية والإقليمية، وتولي المناصب يكون على أساس الكفاءة والجدارة والتأهيل، وليس العلاقات الشخصية والقرابة والجاه والمحابة وغيرها. (بوعكاز، 2015: 18)

2. المشاركة السياسية

يعرف معجم العلوم الاجتماعية المشاركة السياسية على أنها اشتراك المواطن في مناقشة الأمور العامة بطريقة مباشرة أو عن طريق اختيار من يمثله في المجالس النيابية. (عمر، 2003: 172)

كما تعرف الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية المشاركة السياسية على أنها تلك الأنشطة الإرادية التي يقوم بها أفراد مجتمع معين بغية اختيار حكاهم، والمساهمة في صنع السياسة العامة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. (أحمد، 2007: 146)

والمشاركة السياسية هي تلك الممارسات من الأنشطة السياسية التطوعية المختلفة، والتي يتم اختيارها على أساس من الوعي السياسي للمساهمة في القرارات التي كفلها الدستور، شريطة توفر المناخ السياسي لتحقيق هذه الأنشطة. (جابر والجمل، 2019: 1051)

والمشاركة الحقيقية في التنمية لا تقوم إلا في مناخ ديمقراطي وهي وسيلة لدمج أو إدخال الأفراد في العمليات والإجراءات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر مباشرة على حياتهم وتجعلهم يقومون بدورهم ومسئولياتهم تجاه المشاركة في التنمية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وبالتالي فإن المستهدف لتحقيق ذلك هو تمكين الناس من الوصول إلى صنع قراراتهم بأنفسهم. (علام، 2006: 31)

والمشاركة السياسية ترتبط في أي مجتمع ارتباطاً وثيقاً بمدى ما يتوفر من ثقافة سياسية تنبؤ نتيجة التنشئة الاجتماعية والسياسية، فعندما يهتم مجتمع من المجتمعات بعملية المشاركة السياسية يكون مجتمعاً مشاركاً على الأوسع كافة وقد يكون عنصر اللامبالاة في المشاركة السياسية كبيراً مما يؤدي إلى عدم مشاركة الأفراد فيها وهذا يتوقف على طبيعة تنشئة الفرد ومستوى ثقافته وقناعاته. (حبيب، 2016: 376)

3. التعددية السياسية

يشير مفهوم التعددية السياسية إلى عناصر أساسية عديدة، وهي: (علي، 2018:

(522)

1. اعتراف بوجود تنوع أو اختلاف داخل المجتمع الواحد.
2. احترام هذا التنوع وما يترتب عليه من اختلاف أو خلاف.

3. السعي لإيجاد صيغة ملائمة للتعبير عن هذا التنوع والتعدد في إطار سلمي لكي لا يتحول إلى مصدر للصراع والنزاع في المجتمع. ومما لا شك فيه أن الاعتراف بأوجه الاختلاف في المجتمع يتطلب في المقام الأول أن يكون لوجود التعددية معنى سياسي ملموس، ويتمثل هذا المعنى في أن يكون لكل اتجاه سياسي حق دستوري في المشاركة السياسية، والتأثير في القرارات العامة، وهذا ما ينبغي أن يتضمنه الدستور الديمقراطي من خلال ضمانات تطبيق مبدأ تداول السلطة، فالاختلاف في المجتمعات الإنسانية حقيقة موجودة في كل مجتمع حي، وفي ظل نظم الحكم المختلفة كافة، مهما حاول أي نظام إنكارها، وعمل على كبت مظاهر التعبير العلني المشروع عنها. (هيدان، 2018: 205)

فالتعددية الحقيقية قائمة على وجود أحزاب مختلفة ببرامج وإيديولوجيات مختلفة، تتنافس فيما بينها عن طريق الانتخابات الحرة والنزيهة وبصورة دورية، أما بالنسبة للتعددية التي يحمل إطارها الخارجي مظاهر التعدد أي أن تكون هنالك عدة أحزاب لكن النظام القائم أقرب إلى نظام الحزب القائم، وهو الحزب المسيطر فهي تعددية شكلية فقط. بالأولى تعددية سياسية تنصف بالشمولية وهي تتضمن تعددية حزبية، أما الثانية فهي ليست تعددية سياسية لأن هنالك سيطرة كاملة لحزب واحد وتهميش للأحزاب الأخرى فهي إذن تعددية حزبية مكملة للتعددية السياسية. (قزادري، 2015: 242)

4. القدرة

بمعنى تنمية قدرات النظام السياسي على حل المشاكل ومعالجتها مثل الانقسامات والثورات التي تحدث في المجتمع وتنمية قدراته التنظيمية والعدالة التوزيعية والإبداع والتكيف في مجابهة التغيرات المستمرة التي يمر بها المجتمع، أي قدرة النظام السياسي على تنظيم سلوك الأفراد والجماعات داخل المجتمع طبقاً للقانون وتوزيع القيم، وفقاً لمبدأ المساواة والعدالة، ولذلك فالتعددية السياسية من المسائل الضرورية لكل بلد حر ونظام سياسي يستوعب كل القوى الوطنية والقومية وإقامة مصالح جديدة قائمة على التوزيع العادل للثروات الوطنية عن طريق مشاركة جميع القوى الوطنية السياسية والاجتماعية الفاعلة والمشاركة في عملية صنع القرار السياسي، والمحافظة على عملية التداول على السلطة سلمياً، ولذا فالتعددية السياسية عنصراً مهماً من عناصر وجود الديمقراطية وبناء وطن واحد. (بوعكاز، 2015: 18)

وحدد هنتجتون ثلاث مقومات أساسية للتنمية السياسية تتمثل في ما يلي: (ركاش، 2016: 22)

1. ترشيد السلطة: بمعنى أن تمارس استناداً إلى أسس رشيدة، تتجسد من خلالها سيادة القانون على جميع الطبقات والفئات، بغض النظر عن الاختلافات العرقية، المذهبية، الطبقية أو الطائفية، وممارسة الحكم فيها تتم من خلال مؤسسات دستورية.
2. تباين الوظائف السياسية: وتشير إلى مبدأ الفصل بين السلطات التشريعية، التنفيذية والقضائية بما يمنع احتكار السلطة، بالإضافة إلى تعدد المؤسسات الدستورية والقانونية التي يتم من خلالها اتخاذ مختلف القرارات السياسية.
3. المشاركة السياسية: التي تعني تزايد معدلات المشاركة الشعبية في الحياة السياسية، سواء فيما يتعلق باختيار الحكام أو التأثير في عملية صنع القرار السياسي.

ثالثاً: أزمات التنمية السياسية

تكاد تتفق الدراسات والبحوث على مجموعة من الأزمات أو المشكلات التي تواجه التنمية السياسية، والتي تتمثل في: أزمة الهوية، وأزمة الشرعية، وأزمة المشاركة، وأزمة التوزيع، وأزمة التغلغل، وفيما يلي عرض بسيط لهذه الأزمات:

1. أزمة الهوية

وهي الأزمة الناجمة عن غياب الهوية السياسية الوطنية الموحدة والمشاركة بين أفراد المجتمع السياسي، مما يضعف لديهم الإحساس بالانتماء لهذه الدولة والولاء لها، في المقابل حضور وقوة أحساسهم بالانتماء والولاء للجماعات الفرعية المرتبطين بها (إثنيات، طبقات، أقاليم). (محوز، 2015: 355) وفي هذا السياق تعرف الهوية بأنها الشعور بالانتماء المشترك بين أعضاء المجتمع السياسي الواحد إلى الدولة أو الإقليم الذي يعيشون فيه، والعمل معاً من أجل تحقيق الأهداف العليا المشتركة للوطن، ويمكن للأحزاب السياسية المساهمة في ذلك من خلال الأدوار والوظائف التي تقوم بها. (محمد،

2020: 123)

2. أزمة الشرعية

وهي الأزمة الناجمة عن افتقار النظام السياسي للشرعية في صورها المجتمعية أو القانونية أو الإنجازية أو الأخلاقية أو كلها معاً، وعجزه عن تجسيد الإرادة الاجتماعية والتعبير عنها، نظراً لعدم صدوره عن هذه الإرادة ابتداءً أو فشله في تحقيق قيمها

وأهدافها لاحقاً، ومن ثم يرفض المجتمع الخضوع الإرادي لسياسات هذا النظام وقطيعة معه ومعارضته له. (محوز، 2015، 356)

3. أزمة المشاركة

وهي الأزمة الناجمة عن شكلية أو انعدام التشريعات والمؤسسات والآليات الضامنة للمشاركة الشعبية في العمليات السياسية، وعدم استجابة النظام السياسي للمطالب المتزايدة لتحقيق هذه المشاركة وتفعيلها، لتصبح العملية السياسية منفصلة عن الإرادة الشعبية ومعارضة معه. (محوز، 2015: 357) وتعاني بلدان العالم الثالث من أزمة مشاركة حادة وهذا راجع للسمات البارزة التي تتسم بها الحياة السياسية داخل أنظمة هذه البلدان، حسب تمثيل القيادات السياسية أي تركيز السلطة في قبضتها وإقامة أنظمة ديكتاتورية تسلطية، وفرض قيود صارمة على مشاركة الجماهير في الحياة السياسية. (محمد، 2020: 125)

4. أزمة التوزيع

وهي الأزمة الناجمة عن التوزيع غير العادل للأدوار والموارد والحقوق والواجبات، بين أفراد المجتمع وجماعته وأقاليمه، ومن ثم تختل التركيبة المجتمعية نتيجة الشعور بالغبين وعدم المساواة، واستخدام النظام السياسي لسلطته وقدراته لانتهاك مبادئ المواطنة والعدالة والمساواة بين الأفراد والجماعات وليس لتحقيقها وضمانها. (محوز، 2015: 358)

5. أزمة التغلغل

عجز النظام عن تجسيد الإرادة المجتمعية يؤدي إلى عجزه عن ممارسة أدواره على كامل الامتداد الجغرافي للوحدة السياسية أفقياً، أو على كامل مستويات البنية المجتمعية عمودياً. ويترتب على ذلك عجز النظام عن إنجاز وظائفه والقيام بمسؤولياته ومن ثم غيابه عن تفاعلات الحياة الاجتماعية، إلا بقدر ما يفرض نفسه عليها بالقوة ويضمن وجوده واستمراره قسرياً. (محوز، 2015: 358)

الخاتمة

- من خلال ما سبق مناقشته، توصل البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات وهي كالآتي:
1. مفهوم التنمية السياسية مفهوم شامل وتتداخل معه مجموعة من المضامين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهدفها الرئيس هو المساواة في الحقوق والواجبات، وهي إحدى دعائم التنمية الشاملة، كما أن مفهوم التنمية السياسية يتداخل إلى حد كبير مع مفهوم التحديث السياسي.
 2. ارتبط مفهوم التنمية السياسية بتحقيق المشاركة السياسية.

3. تعددت مؤشرات التنمية السياسية، ولكنها تكاد تتفق على بعض المؤشرات مثل المشاركة السياسية والتوزيع العادل للموارد وسيادة القانون والتعددية وعدم تجميع السلطات في يد شخص واحد.
4. أزمات التنمية السياسية أو المشكلات التي تعترض التنمية السياسية تتمثل في أزمة الهوية وأزمة الشرعية وأزمة المشاركة وأزمة التوزيع وأزمة التغلغل، وإن العلاقة بين هذه الأزمات علاقة ترابطية فهي متداخلة وعلاقة تأثير وتأثر فيما بينها.
5. تتفق الباحثة مع وجهة النظر القائلة بأن الاشكالية التي تواجهها دول العالم الثالث عند وضع الخطط والبرامج التي من شأنها تنفيذ التنمية السياسية التي تخدم مجتمعاتها والانتقال بها من مرحلة التخلف والركود الاقتصادي والسياسي إلى الانفتاح على التطورات الحاصلة لدى المجتمعات المتقدمة، لا تجد بديلاً تستند عليه سوى النموذج الغربي، رغم أن كل النماذج غير صالحة لكل المجتمعات، فلكل مجتمع خصوصيته، وهذا ما أدى إلى ظهور نتائج سلبية على مستوى التنمية السياسية. (محمد، 2020: 28)

التوصيات

1. يجب على النظام السياسي أن يعمل على تعزيز انتماء الأفراد للمجتمع، وإتاحة الفرص أمام المرأة والشباب للمشاركة السياسية، وتحقيق العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات، كمقومات لتحقيق التنمية السياسية.
2. إجراء المزيد من البحوث والدراسات الميدانية حول التنمية السياسية، من قبل الباحثين الاجتماعيين لإثراء أدبيات علم الاجتماع عامة، وعلم الاجتماع السياسي خاصة، نظراً للخصوصية الاجتماعية للمجتمعات.
3. إدخال مفاهيم التنمية السياسية في المناهج التعليمية، والمقررات المرتبطة بالتربية الوطنية والمواطنة، ونشر ثقافة الحوار والتعددية وتقبل الآخر، وذلك لإكساب الطلبة المهارات والمعارف في هذا المجال.

قائمة المراجع:

1. وهبان، أحمد، (2003)، التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية: رؤية جديدة للواقع السياسي في العالم الثالث، الإسكندرية، الدار الجامعية.
2. إدارة البحوث والدراسات، قراءات نظرية: التغيير السياسي- المفهوم والأبعاد، (2016) المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية.

3. ركاش، جهيدة، (2016)، التنمية السياسية ودورها في تفعيل الحكم الراشد في الجزائر 1989-2009، رسالة دكتوراه، قسم التنظيم السياسي والإداري، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر.
4. بو عكاز، حساني، (2015)، التنمية السياسية بين النظرية والتطبيق: دراسة حالة الجزائر 1988-2014، مذكرة لنيل شهادة ماستر في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الدكتور الطاهر مولاي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية.
5. محمد، حمدان رمضان وحسين، محمد سعيد، (2007)، معوقات التحديث السياسي في المجتمع العراقي المعاصر: دراسة تحليلية في علم الاجتماع السياسي، مجلة آداب الرفادين، عدد خاص، مؤتمر كلية الآداب العلمي الرابع، العدد 47.
6. قزادري، حياة، (2015) التنمية السياسية: المفهوم، المشكلات والمقومات والآليات، المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 4.
7. حميد، خميس دهام، (2012)، التحديث والإصلاح السياسي في الوطن العربي، مجلة مداد الآداب، المجلد 2، العدد الرابع.
8. حبيب، زينة ياسين، (2016)، دور التنمية السياسية في استقرار النظام السياسي في البلدان العربية، مجلة جامعة تشرين، العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 38، العدد 6.
9. علام، سعد طه، (2006)، التنمية والمجتمع، عربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
10. أحمد، سيد أبو ضيف، (2007)، ثقافة المشاركة: دراسة في التنمية السياسية، القاهرة، دار النهضة العربية، د.ط.
11. الزيات، السيد عبد الحليم، (1986)، التنمية السياسية: دراسة في علم الاجتماع السياسي، دار المعارف، الإسكندرية.
12. محمد، شبلي، (2020)، مكانة الأحزاب السياسية في عملية التنمية السياسية بالمغرب الفترة الممتدة ما بين 1999/2013، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والإداري.
13. برقوق، عبد الرحمن والعيدي، صونيا، (2013)، التنمية السياسية: النشأة والمفهوم، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 5.
14. العزام، عبد المجيد، (2006)، التنمية السياسية في أعقاب الانفراج الديمقراطي في الأردن، مجلة دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 33، العدد 2.

15. الدرمكي، علي بن سليمان بن سعيد، (2012)، التنمية السياسية ودورها في الاستقرار السياسي في سلطنة عمان، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط.
16. العزي، علياء، (2017)، الإعلام العربي والتنمية السياسية: سلسلة دراسات، معهد البحرين للتنمية السياسية.
17. المهدي، كاظم علي، (2013)، التنمية السياسية وأزمات النظام السياسي في العراق بعد عام 2003، مجلة دراسات دولية، العدد 56.
18. عمر، محاسن محمد، (2003)، المشاركة السياسية للمرأة المصرية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع.
19. جابر، محسن رمضان والجمل، مفتاح الحسوني، (2019)، أزمات التنمية السياسية وانعكاسها على الحكم الرشيد (ليبيا أنموذجاً 2011-2019)، المؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية الاقتصاد والتجارة، 11-12 نوفمبر.
20. شننين، مصعب، (2013)، أثر الاستقرار السياسي على التنمية السياسية في الجزائر، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح.
21. الطيب، مولود زايد، (2007)، علم الاجتماع السياسي، الزاوية، منشورات جامعة الزاوية، الطبعة الأولى.
22. هيدان، نوره كطاف، (2018)، الديمقراطية والتعددية السياسية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم القانونية والسياسية، العدد 9، المجلد 1.
23. علي، وجيه عفتو، (2018)، التعددية السياسية: دراسة في المفهوم والآليات، مجلة جامعة دهوك، المجلد 21، العدد 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية).
24. عثمان، وئام السيد، (2021)، رؤية مستقبلية لتحديث نظرية التنمية السياسية 2050، مجلة دراسات، المجلد 22، العدد 3.

مفهوم البنيوية عند الجابري

د. علي رحومة سحبون

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة غريان

المستخلص:

يبرز هذا البحث مفهوم البنيوية كمنهج مستخدم في عدة تخصصات علمية تقوم علي العلاقات المتبادلة بين العناصر الاساسية المكونة، يمكن أن تكون عقلية مجردة، لغوية، إجتماعية، ثقافية، حيث تتسم البنية بطابع المنظومة، فهي تتألف من عناصر ينتبع تغير أحدها بتغير العناصر كلها. ومن هنا نجد الجابري قد عرفها بأنها: "أنظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التحولات" والمقاربة البنيوية كما حددها الجابري هي دراسة التراث والنصوص كما هي معطاه لنا أي بمعنى دراسة النص بعيداً عن قصدية المؤلف بعيداً عن التأثيرات الاجتماعية والايولوجية... وتعد البنيوية من المناهج الحدائثية، ولذلك يرجع اهتمام أغلب النقاد في العقود الأخيرة من القرن العشرين بالمنهج البنيوي إلي إحساسهم بقصور المناهج النقدية السابقة عن تقديم ذلك التحليل المتكامل للنص الادبي. فضلاً عن الرغبة في الانخراط في التحولات التي يعرفها النقد الادبي في ضل الاحتكاك بالحدائث الغربية التي شكلت البنيوية.

الكلمات المفتاحية: البنيوية، البنية، التراث، الحدائث، النص.

المقدمة:

نحاول من خلال هذا البحث الوقوف على رؤية الجابري حول مفهوم البنيوية، حيث نجده قد نادي بالمعالجة البنيوية لدراسة التراث، وذلك في إطار مشروعه الفكري الكبير (نقد العقل العربي) وإشكالية التراث والحداثة.

ويرجع اهتمام أغلب نقاد العقود الأخيرة من القرن العشرين بالمنهج البنيوي إلى إحساسهم بقصور المناهج النقدية السابقة عن تقديم ذاك التحليل المتكامل للنص الأدبي، فضلاً عن الرغبة في الانخراط في التحولات التي يعرفها النقد الأدبي في ظل الاحتكاك بالحداثة الغربية التي شكلت البنيوية أبرز ملامحها.

وهكذا أسهم المنهج البنيوي في تجديد الخطاب النقدي السائد في العالم، وبلورة رؤية نقدية جديدة فتحت معالم رحبة للخوض في كثير من النصوص والبحث في انظمتها الداخلية.

والمقاربة البنيوية كما يراها الجابري هي (دراسة التراث والنصوص التراثية كما هي معطاة لنا، بمعنى يجب التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسابقات التراثية أو الرغبات الحاضرة، ويجب وضع ذلك بين قوسين والانصراف إلى مهمة واحدة هي استخلاص معنى النص من النص ذاته، أي من العلاقات القائمة بين أجزائه).

إن قراءة الأنساق الفلسفية، في منهجياتها المختلفة وانتاجاتها على الصعيد الثقافي والفكري والسياسي وإبداعاتها تدفعنا حقاً إلى فهم طريق بحثنا وتعاملنا مع واقعنا وإعادة الاتصال بحضارتنا وتراثنا، وقد تؤدي في نهاية الأمر إلى إبداع فلسفي حقيقي يقوم على المعطيات العلمية المعاصرة، وإلى الانطلاق نحو حركة البحث الحقيقي لتصور البديل الفلسفي لحياتنا المعاصرة.

وعلى هذا الأساس، يقوم البحث على مبحثين أساسيين:

الأول: يحدد المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم البنية والبنيوية.

كما يقوم على تقديم بعض التعاريف انطلاقاً من المرجعية الغربية

أما الثاني: فينهض على رؤية الجابري لهذا المفهوم ومحاولة توظيفه والمقاربة لهذا المنهج في قراءة التراث.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن إعطاء هذا الموضوع حقه في البحث والتحليل نظراً لطبيعة البحث المحددة، ولكن تمكن أهمية هذا البحث في التركيز على المفهوم وعملية التوظيف والرؤية والمقاربة الجابرية لدراسة التراث.

المبحث الأول: معنى البنية في اللغة والاصطلاح

لتوضيح مفهوم البنيوية لابد من الوقوف على الدلالة اللغوية لها، وبالعودة إلى المعاجم اللغوية يتبين أنها انحدرت من بنى يبني بناءً، إن مادة (بنى) في لسان العرب تتيح لنا الدلالات الآتية: (بنى البناء بنياً وبناء وبنى، مقصور، وبنياً وبنية وبنائية)، و (البناء المبني، والجمع أبنية، وأبنيات جمع الجمع)... ويقال (بنية... كأن البنية الهيئة التي بنى عليها مثل المشية والركبة، والبنيان : الحائط) (ابن منظور، 1939: 6).

كما تدل البنية في "المعجم الوسيط" على "هيئة البناء، ومنه بنية الكلمة: أي صيغتها، وفلان صحيح البنية" (المعجم الوسيط: 92).

فهي إذن الصورة أو الهيئة التي شيد عليها بناء ما، وكيفية ذلك التركيب.

وهكذا نجد الفروق بين البنية والبناء، حيث تبدو (البنية) صفة دالة على الهيئة التي تنظم وفقها العناصر والمواد داخل البناء (وتجمع البنية على بني وبنى وبنيات)، أما البناء وهو الشيء المبني فكأنه موصوف (ويجمع على: أبنية وأبنيات) (وغليسي، 2008م: 124).

ولا يعني ذلك عملية البناء نفسها، وإنما كيفية تجميع وتركيب وتأليف هذه المواد لكي تكون شيئاً ما، بهدف تأدية وظائف وأغراض معينة.

والبنية Structure، بنية الشيء أي بمعنى أوضاع أجزائه من حيث هو كل، مادياً كان أو غير مادي، مثل بنية الخلية، أما بنية المقال وبنية الظاهرة النفسية بالمعنى الاصطلاحي هي الكل المؤلف من أجزاء مترابطة ترابطاً وظيفياً يستمد كل جزء وظيفة من علاقته بسائر الأجزاء الأخرى (يعقوبي، 2002م: 20).

والبنية عند المتكلمين عبارة عن أجزاء لا تتجزأ وعند الحكماء عبارة عن مادة وصورة (الجرجاني، 2004م: 79).

ومعلوم عند ارسطو أن الأشياء لها مادة وفاعل وغاية فالكرسي مثلاً يتكون من مادة وصورة هي الخشب والصورة هي الشكل الذي عليه الكرسي والفاعل هو الصانع والغاية هي الجلوس على الكرسي.

أما البنيوية Structuralism نظرية يرى أصحابها أن دراسة أي ضرب من الوقائع يجب أن تتم عن طريق التعرف عن بنيته، لاسيما إلى الوقائع النفسية واللسانية (يعقوبي، 2006م: 20) وكذلك هي منهج بحث مستخدم في عدة تخصصات علمية تقوم على دراسة العلاقات المتبادلة بين العناصر الأساسية المكونة يمكن أن تكون عقلية مجردة، لغوية، اجتماعية، ثقافية.

والبنية تعني النظام أو النسق العقلي والتعميم الكلي ذو التنظيم الذاتي ترتبط عناصره الداخلية بشكل منطقي فيما بينها.

وهكذا يظهر أن البنيوية Structuralism تنتسب إلى مصطلح بنية Structure فالغربيون يرون أنها مشتقة من الاصل اللاتيني Stuerه الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى معين (صلاح فضل، 1968: 120).

ومن الموكد أن البنية ليست طفرة مفهومية، بل هي امتداد لجملة من المفاهيم الموزعة على حقول معرفية مختلفة، لعل أهمها مفهوم (المجموعة: Groupe) في الرياضيات، الذي يراه جون بياجي "أقدم بنية عرُفت ودرست"، ومفهوم (الشكل: Gestalt) في السيكولوجيا الجشطلته (Gesta Ltisme) بينما تبقى اللسانيات الحديثة، ومعها النقد البينوي، في اصطناعها لهذا المفهوم مدينة لدوسوسير الذي كان يعبر عن ذلك بمصطلح النسق أو النظام (Systeme) ولم يكن يصدع بمصطلح البنية (Structure) على حد تقدير جون بياجي، وجمهور الدراسين الذين أجمعوا على أن دوسوسير في إلهامه على نظامية الاستعمال اللغوي قد سمى (نسقاً) ما سماه خلفه (بنية)، (وغليسي، 2002م: 120).

كما تشتق البنيوية من البنية، فإن كلمتي البنية Structure بالرسم الفرنسي والإنجليزية أو Structura اللاتينية، والبناء Construction بالرسم الموحد أيضاً مع فارق في النطق، أو Constructio اللاتينية، كليهما، تمتدان إلى الفعل الفرنسي "Detruire" (بمعنى: الهدم و التقييض و التخريب) الذي يمتد تأثله إلى الفعل اللاتيني "Struere" بمعنى تنضيد المواد Materiaus Empigerdea، أو التأسيس والبناء والتشييد (Batir) كما أن هذا الفعل اللاتيني المتكى على القاعدة (—Stru) ينحدر من الصيغة الهند أوروبية (Ster) بمعنى المد والنشر والبسط والتوسع (Etender).

إن هذه الدلالات المعجمية الملتقطة من (المعجم التأتيلي الفرنسي، لا يستوي معناها إلا باستكمال المفهوم في بعده الاصطلاحي حيث تدل (البنية) على "نسق يتحدد العنصر ضمنه بوضعيات واختلافات"، فتغدو "نظرية من علاقات وقواعد تركيب ومبادلة تربط

بين مختلف حدود المجموعة الواحدة، بحيث تعين هذه العلاقات وهذه القواعد معنى كل عنصر من العناصر" (روجيه غاروري، 17).

وقد حصر جون بياجي خصائص البنية في ثلاثة عناصر:

- الكلية، التي تحيل على التماسك الداخلي للعناصر التي يتضمنها النسق.

- التحولات، التي تفيد أن البنية نظام من التحولات لا يعرف الثبات، فهي دائمة التحول والتغير وليست شكلاً جامداً.

- الضبط الذاتي، الذي يتكفل بوقاية البنية وحفظها حفظاً ذاتياً، ينطلق من داخل البنية ذاتها، لا من خارج حدودها (وغليسي، 2008: 121).

نشأة البنيوية

لما كان التجديد والتطوير أمر طبيعي في مسار تطور الفكر الغربي فإن المنهج البنيوي إنما نشأ في مجال النقد الأدبي، مواكبة، لمتطلبات العصر وثقافته وما توصل إليه العلم آنذاك، حيث اتفق العديد من الدراسين والنقاد على أن الشكلانية والبنيوية قد ظهرت معاً كرد فعل ضد اللاعقلانية الرومانسية وعلى التحليلات التي تربط الأدب بمحيطه الاجتماعي، ويقصد بذلك تكلم النزعة الماركسية بالدرجة الأولى يقول دينش: "أدت الثورة ضد المجلد الأدبي مع استعماله لتاريخ والسيرة استعمالاً غير محدود- إلى ثورة من نحو ما على التاريخ والسيرة أو قل أدت إلى القول بأن هذين أدتان لا حاجة لناقداً بهما، فالمهمة الأولى للنقاد هي أن يصف الآثار الأدبية بدقة مستقصية وان يجد قيمتها على أساس من ذلك الوصف، فتركز الاهتمام على تحليل الاثر الأدبي معزولاً عن أي قرينة بدلاً من الاجمال التاريخي لعصر من العصور" (دينش، 1967م: 500).

كما تعد فلسفة كانط التي كانت لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية، والتي تقوم على الوقائع التجريبية، هي الأساس الفكري والعقدي عند البنيوية فالبنيوية إذن تؤمن بالظاهرة كبنية منعزلة عن اسبابها وعللها، عما يحيط بها، وتسعى إلى تحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية من أجل فهمها وادراكها، إذن فإن شيوع هذه الفلسفة وتأصلها في عقول وقلوب رواد البنيوية، يعد من أهم عوامل نشوء البنيوية في النقد الأدبي. (حسنا، 2015: 23، 11).

النماذج البنيوية:

يذهب ستراوس الى أن المبدأ الأساسي للبنيوية لا يرجع الى الواقع التجريبي بل إلى النماذج المنشأة انطلاقاً من الواقع وأن النماذج التي تستحق اسم بنية يجب أن تلبى حصراً شروطاً أربعة

1. تتسم البنية بطابع المنظومة، فهي تتألف من عناصر يستتبع تغير أحدها تغير العناصر كلها.
2. ينتمي كل نموذج إلى مجموعة من التحولات التي تناسب كل منها نموذجاً من عائلة واحدة، بحيث أن مجموع هذه التحولات يشكل مجموعة من النماذج.
3. إن الخصائص المبينة أعلاه تسمح بتوقع طريقة رد فعل النموذج عند تغير أحد عناصره.
4. يتعين بناء النموذج بحيث يستطيع مراعاة جميع الوقائع الملاحظة. (كلود ستراوس، 1977م: 323)

هدف البنيوية:

لقد وضع البنيويون نصب أعينهم غاية كبرى تتمثل في دراسة أبنية العمل الأدبي وعلاقة بعضها ببعض، وكيفية أدائها لوظائفها الجمالية واختيار لغة الكتابة الأدبية عن طريق رصد مدى تماسكها وتطابقها المنطقي والرمزي، ومدى قوتها وضعفها بصرف النظر عن الحقيقة التي تعكسها.

وقد رفعوا شعاراً عريضاً وهو النص ولا شيء غير النص، أي البحث في داخل النص فقط عما يشكل أدبيته - أي طابعه الأدبي - وقد حاولوا من خلال ذلك علمنة الأدب أي إضفاء الطابع العلمي الموضوعي على عملية الاشتغال عليه، يقصد تجاوز الأحكام المغرضة والايديولوجية التي تشوه هذه الممارسة لنقدية بزعمهم (حسنا، 2015: 2). وعلى هذا الأساس فإن هدف الأبحاث البنيوية ليس هو معرفة المجتمعات المدروسة كل منها على حدي، بل هو اكتشاف الكيفية التي تختلف بها بعضها عن بعض.

أهم مبادئ البنيوية:

يرى البعض أن أبرز المبادئ التي قامت عليها البنيوية هو مبدأ أن "الأدب نص مادي تام منغلق على نفسه" أي أن دراسة الاعمال الأدبية عملية تتم في ذاتها، بغض النظر عن المحيط الذي انتجت فيه فالنص الأدبي منغلق في وجه كل التأويلات غير البريئة

التي تعطيه أبعاداً اجتماعية أو نفسه أو تاريخية، ومادي في كونه قائماً على اللغة أي الكلمات والجمل بالإضافة إلى ذلك هناك مبدأ مهم نادى به (رولان بارت) ألا وهو قوله: "اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف" وذلك حين ضمن هذا التصور في مقاله "موت المؤلف" في كتابة نقد وحقيقة (الواد، 1985م: 45)

وهذا يعني إلغاء شخصية الكاتب لكي يتولد المعنى بعيداً عن كل المؤثرات الخارجية على أن بعض الدارسين يعد هذه المقالة من أوائل مرحلة ما بعد البنيوية، وتجدر الإشارة إلى أن البنيوية لا تعني أداتهم بالمعنى بالدرجة الأولى يقدر ما تعنى بأليات إنتاجه وخلفه فا "البنيوية تنطلق من نقطة وجود المعنى كأمر مسلم به مفرغ منه، ومن ثم عن دراسة المعنى إلى أليات خلق المعنى حسب قواعد علمية (رولان، 1994م: 25).

الفكر البنيوي:

من المعلوم أن المذاهب الفلسفية تختلف فيما بينها من حيث نسج الأفكار والربط بينها، إذ يُعرف العلم، في مسار نموه التاريخي فترات استقرار وتراكم، وفترات تحول واعدة طرح الأسئلة في افق التهيئ لأبنية مفهومية جديدة. (البعزاتي، 2007م: 21).

إن رفض فلسفة التاريخ، كما ورثت تقليدياً من طرق الفكر، وخاصة من طرق الفكر في فرنسا، ورفض هذه النزعة الإنسانية التي هي بلاغية أكثر مما هي نظرية، ربما هو ما يفسر نشوء هذا الفكر البنيوي الذي يبدو أنه ليس شيئاً آخر غير الرغبة في الحصول على معرفة من مستوى اسنمولوجي دقيق. وعلى هذا الاساس يذهب فرانسوا بقوله: "لقد فسر البعض ان البنيوية كانت قد تولدت من تشريط مجتمعا، وإنها تلائم الفكر التكنوقراطي. لا أعتقد أن الامر يتعلق هنا بظاهرة فلسفية متولدة من رفض يمثل الفكر البنيوي اليوم الجهد الأكثر وعياً والأكثر اصراراً على إنقاذ النظري من الايديولوجي، هذا الايديولوجي الذي تدفق في ربع القرن الأخير" (فرانسوا شانليه، 1977: 77) (سبيلا، 2009: 104).

ويقدم لنا هذا المفكر السمات أو المميزات للفكر البنيوي بقوله: "أما فيما يخص السمات الإيجابية المميزة لهذه الحالة الفكرية التامة، فإنه يتعين علينا تحديدها بدقة.

أولاً- يمكن أن يكون منطلقنا الإيجابي هو:

- لا شيء يمنع من إنشاء علوم اجتماعية، ذات قدر من الموضوعية مقارب لما يحدث في علوم الطبيعة، رغم انها من مستوى آخر.

- ليست المجتمعات الإنسانية غامضة ومعقدة ومأخوذة في الصيرورة وخاضعة لأهواء الحرية لدرجة أننا لا يمكن أن ندرسها موضوعياً.

- من أجل تناول العلوم الاجتماعية عبر هذا المنظور للموضوعية، فإن المطلوب هو الابتعاد الكلي لمفهوم الإنسان الذي يسود كل الميتافيزيقا الكلاسيكية ومستخلفاتها الحالية.

ثانية: هي أن العلم الفيزيائي قد تشكل في اللحظة التي تجاوز فيها المظاهر، والتي "نفى" فيها عالم الإدراك والتي حاول فيها إنشاء الفاظ مجردة تمكن من فهم العالم نفسه، بيد أن الوعي الذي يظل في قلب الفكر ذي النزعة الإنسانية والمعاش الذي يدعّمه والوعي العملي الذي تفرع به اليوم اذنانا، ليس إلا مظاهر، وإذا ما أردنا أن نجعل هذا الواقع مفهوماً، فإنه يتعين ضبط المفاهيم التي تمكن من الانتقال من المظاهر إلى ما كانت الفلسفة الكلاسيكية تدعو (بالماهيات) (سيبلا، 2009:104).

المبحث الثاني: مفهوم البنية عند الجابري

أمثلة توضيحية

1. اللغة والشطرنج:

لقد كان علم اللغة، قبل قيام النزعة البنيوية، يعني بدراسة اللغة دراسة تاريخية مقارنة، أي دراسة تاريخ اللغات ومقارنة بعضها ببعض وبيان تطورها وعوامل هذا التطور وكيفيه.. الخ. لكن العالم اللغوي السويسري المشهور ("فردينان دي سوسير" توفي عام 1919م) أتى في أواخر القرن الماضي، وأوائل هذا القرن بنظرية جديدة مؤداها أنه من الممكن دراسة اللغة دراسة علمية، ليس من الناحية التاريخية فقط (الدراسة التاريخية المقارنة)، بل أيضاً من الناحية الوصفية ومن هنا أقام تفرقة المشهورة بين الدراسة التاريخية للغة "دياكروني" DiACHRONE أي ملاحظة تطورها وما يلحقها من تغير في مسارها التاريخي.

وبين دراسة اللغة دراسة وصفية خلال فترة زمنية محدودة "سانكروني SYNCHRONE" (سانكروني تعني التزامن والدياكروني تعني التتابع الزمني أي التطور التاريخي) (الجابري، 2010:176).

وقد مثل "دي سوسير" لهذين النوعين من الدراسة بالمحورين الآتيين:

ج

ب

أ

د

المحور "أ-ب" يرمز إلى التزامن SYNCHRONE، أما المحور "ج-د" فيرمز إلى التتابع DiACHRONE. إن علم اللغة التاريخي أو "التطوري" يدرس كما ذكر- الحالات التي توجد عليها اللغة، والتي تفصل بينها فترات زمنية، أو مسافات مكانية، كما يهتم بالمقارنة بينها، إن محوره هو "ج-د".

أما علم اللغة الوصفي أو التزامني فيدرس اللغة في المحور "أ-ب" بغض النظر عن المحور الآخر، أي المتبار عامل الزمن، في إطار فترة زمنية ما.

لقد اهتم "سوسير" بالدراسة الوصفية التزامنية باللغة من خلال المحور "أ-ب" معتبراً اللغة، أي لغة، عبارة عن انظومة، أو نسق SYSTEME من وسائل التعبير، انظومة يمكن مقارنتها بلوحة فنية زمنية حيث تبدو كل بقعة ملونة ذات علاقات خاصة مع البقع الآخر التي تضعها اللوحة، وذلك إلى درجة أن أي تغيير أو حذف يلحق أحد أجزاء اللوحة يؤدي بالضرورة إلى إفساد أو تغيير الانسجام الداخلي لهذا العمل الفني. (الجابري، 2010: 177).

إن تصور اللغة على هذا الشكل يعني أن الكلمة لا تحمل في ذاتها أية قيمة، دائماً تستمد قيمتها من المكان الذي تشغله، ومن العلاقات التي تربطها بأجزاء الجملة. وذلك إلى درجة أن أي تغيير في وضعية الكلمة أو تبديل في موقعها سينعكس أثره على قيمتها. وبالتالي فإن قيمة الكلمة، إنما تحدد بالمكان الذي تشغله في العبارة.

ومن هنا يؤكد (سوسير)، ومن بعده علماء علم اللغة البنيوي، على أن اللغة انظومة من العلاقات يرتبط كل جزء فيها بالأجزاء الأخرى. هي بنية StRUCtURE تتداخل عناصرها، ويحدد كل عنصر فيها العناصر الأخرى. وعلى هذا الأساس يعرف سوسير اللغة بقوله: "اللغة صيغة وليست جوهرًا". وعلى أساس هذا التعريف الواضح القوي قام علم اللغة الحديث، علم اللغة البنيوي. (الجابري، 2010: 178).

ولكي يوضح سوسير فكرته يضرب لنا مثلاً بلعبة الشطرنج: لنتصور لاعبين بينهما طاولة الشطرنج، وعلى طاولة عدد معين من القطع الخشبية مختلفة الأشكال والألوان (16 قطعة بيضاء و16 قطعة سوداء)، هناك الفرس، والقلة والفيل.. الخ، وهي توزع على المربعات الصغيرة وفق نظام معين. وكل قطعة من هذه القطع ذات قوة ونفوذ خاص. فماذا يهم اللعيبين في هذه اللعبة؟ يقيناً أنهما لا يهتمان لا بتاريخ الشطرنج ولا بمخترعه، ولا بأشكال هذه القطع، ولا بمادتها الخشبية. وإنما ما يهمهما فقط: قوة كل

قطعة في إطار التنظيم القائم في فترة من فترات اللعب، ولكن من أين تستمد هذه القطع قوتها؟

هل من شكلها (فرس، بيدق، فيل) أم من وضعيتها على الطاولة خلال اللعب؟ إن قوة كل قطعة وأهميتها مستمدة فقط من الوضعية التي توجد عليها، أي من المكانة التي تحتلها في إطار العلاقات القائمة بين القطع.

إن اللاعب لا ينظر إلى هذه القطعة أو تلك منفردة، بل ينظر بالخصوص إلى العلاقات القائمة بين القطع، تلك العلاقات التي تشكل شبكة محكمة تخضع لها سائر القطع. فإذا حرك أحد اللاعبين هذه القطعة أو تلك، أي أنه إذا غير وضعية قطعة ما، فإن هذا التغيير سينعكس أثره على العلاقات القائمة. والمهم عند اللاعب، ليس ما كان من قبل، أنه لا يتهم بالوضعية السابقة، لا يهتم كيف تطور اللعب، بل المهم بالنسبة إليه هو دوماً الوضعية الراهنة أي تلك العلاقات القائمة في فترة زمنية محدودة، هي فترة ما بين حركتين من حركات اللعب، فترة تقوم خلالها علاقات مترامنة، تتشكل انظومة أو نسقاً، أي كلاً قائماً بذاته يمكن وصفه بكل دقة ووضوح، دون الرجوع إلى الفترة السابقة من اللعب، التي قد لا تفصلها عن الوضعية الراهنة إلا ثوان معدودة. إن الماضي هنا لا يهم.. المهم هو الحاضر، هذا الحاضر الذي يظل قائماً ما دامت الوضعية قائمة. (الجابري، 2010م: 178).

إن وضعية قطع الشطرنج في فترة من فترات اللعب، هي تماماً نفس وضعية اللغّة. إن قيمة أية كلمة أو لفظ في اللغّة أنها يكتسب قيمته من الوضعية التي يوجد عليها والتي تحدد بالعلاقات القائمة بينها وبين الكلمات والألفاظ الأخرى، كما هو الحال تماماً بالنسبة لقطع الشطرنج.

وعلى هذا الأساس يرى الجابري أن هذا التركيب الذي يتشكل من الفاظ اللغّة وكلماتها، أو من قطع الشطرنج خلال اللعب، هو نسق SYSteme من العلاقات، هو بنية Structure أي كل منظم نعم أن هذا الكل يتألف من اجزاء (قطع الشطرنج) ولكن المهم بالنسبة للاعبين ليس هذا الجزء أو ذاك، ليست هذه القطعة أو تلك فقيمة بيدق ما، في وضعية ما، قد تكون أقوى من قوة الفرس أو القلعة.. انها ليست القطع نفسها، بل الكل الذي يتألف من عناصر، والعنصر هنا لا يعني هذه القطعة وتلك، بل ما ينتج عنها من العلاقات ككل.. على أساس تشبيه اللغّة بالشطرنج يمكن تعريف اللغّة من زاوية الدراسات البنوية بأنها "انظومة أو نسق يمكن ويجب أن ينظر إلى أجزائه من خلال علاقات التضامن القائمة بينها بشكل تزامني" (الجابري، 2010 م: 180).

- تعريف البنية وخصائصها عند الجابري

يذهب الجابري إلى أنه وبعد هذه الأمثلة التوضيحية، نجد أنفسنا في وضع يمكننا من تقديم تعريف للبنية، تعريف تجريدي عام، موغل في التجريد.

والتعريف الذي اختاره مفكرنا من جملة عدة تعاريف هو التالي: "البنية أنظمة من العلاقات الثابتة في اطار بعض التحولات" (الجابري، 2010: 180).

ومن هنا يحاول الجابري التغلب على هذا الغموض الموجود بالتعريف، وذلك بتحليل كل كلمة من كلماته على النحو التالي:

1. البنية أنظمة Systeme الأنظمة أو النسق في معناها العام، هي "المجموع يشكل كلاً عضويًا" والكلمة TO+aLite المقصودة هنا، لا تعني مجموع الأجزاء فقط، بل أكثر من ذلك.

إن البنيوية لا تنظر إلى الأجزاء التي يتألف منها الكل باعتبارها أجزاء مستقلة أو ذات استقلال ذاتي. نعم أن البنية تتركب دوماً من أجزاء، ولكن هذه الأجزاء ينظر إليها على أنها خاضعة لجملة من القوانين الخاصة، هي قوانين الأنظمة بالذات، وتسمى "قوانين التركيب" وبلغة الجشطالت: "قوانين التنظيم".

إن النظرة البنيوية - في رأى الجابري - هي عكس النظرة الذرية التجزيئية التي تهتم بالأجزاء، وتعمل على تفكيك الكل إلى أجزائه البسيطة. إنها لا تنطلق من البسيط إلى المركب، بل تنظر إلى الكل والكل وحدة.

إن مفهوم الكل هنا يختلف عن الكل الذي نتحدث عنه عندما نضع في اعتبارنا: البسيط والمركب، هذا الاعتبار الذي يجعلنا ننظر إلى الكل بوصفه مركباً من أجزاء مستقلة ذات كيان خاص، كما تفعل المدرسة الترابطية في علم النفس عندما تحلل المعاني والافكار إلى الإحساسات أو الإنطباعات الحسية، أو كما تفعل بعض الاتجاهات السوسيولوجية الذرية التي ترى في المجتمع مجموعة من الوحدات (الأفراد، أو الأمر). (الجابري، 2010: 181).

ومفهوم الكل هنا يختلف أيضاً عن كلية المجتمع عند دركايم، إن دركايم يعتبر المجتمع كمعطى كلي، إنه يغفل الأجزاء اغفلاً. فالمجتمع يعطى على الأفراد مثلما يعطى العقل الجمعي - عنده - على عقول الأفراد. أن مفهوم الكل عند دركايم مفهوم أولي، قبلي أشبه ما يكون بالمقولات الفلسفية.

ويختلف مفهوم الكل من وجهة النظر البنوية المحض، عن مفهوم الكل عند الجشطلت (الصيغة). ويقتربان معاً من مفهوم البنية. ولكن الاختلاف بينهما وبين الصيغة الجشطلتية والبنية عند البنويين قائم في كون الصيغة تميل إلى أن تكون ستاتيكية: سكنوية جامدة. ولو أن (قوانين التنظيم) عند الجشطلت تخفف من هذا الميل نحو السكون. يذهب الجابري إلى أن مفهوم كلية البنية يقع في الحقيقة بين موقفين متعارضين: الموقف الذري التجزيئي الذي يهتم بتحليل المركب إلى أجزائه البسيطة (الانتقال من البسيط إلى المركب) من جهة والموقف الدركامي الذي يضع الكل وضعاً أولياً، ستاتيكياً. وبعبارة أخرى أن الموقف البنوي يحاول أن يتجنب عيوب الموقف الذري الذي يضع الجزء سابقاً على الكل وعيوب الموقف المعاكس الذي يضع الكل سابقاً على الجزء. ومن هنا نتبين أن المهم عند الموقف البنوي ليس الكل ولا الأجزاء، بل المهم هو العلاقات القائمة بين الأجزاء، هذه العلاقات التي تشكل كلاً معيناً، أي انظومة. (الجابري، 2010م: 182، 181)

2. هذا عن معنى الأنظومة في تعريف الجابري، وهي تعني عنده كلية العلاقات. أما "العلاقات الثابتة" وهو الجزء الثاني من التعريف، فأنها تعني أن هذه العلاقات القائمة بين أجزاء الكل، هي العلاقات ثابتة ولكن بمعنى خاص.

وثباتها بهذا المعنى الخاص (أي في إطار بعض التحولات) هو الذي يمكن من اكتشاف قوانينها، أي قوانين البنية، قوانين التركيب (تركيب الكل).

هذه العلاقات التي تتشكل منها البنية يفترض فيها أنها ثابتة. ولذلك ينظر إليها على أنها نسق يكمن اكتشاف قوانينه. وبعبارة أخرى إن كون العلاقات التي تتشكل فيها البنية علاقات ثابتة، بمعنى أنها علاقات متزامنة Synchronique واذن، فالبنية هي أساساً "السانكروني".

في لعبة الشطرنج نكون، كما ذكرنا، أمام علاقات ثابتة (في إطار حولات القطع)، وهذه العلاقات هي عبارة عن قوانين تركيب اللغة، أي قوانين اللعب، ولإيضاح المسألة نقول: "عندما نكون أمام عشرة أشخاص مثلاً فإننا أمام مجموعة. أما عندما ننظر إلى العلاقات التي تنظم هؤلاء الأشخاص (مجتمعين أو متفرقين) فإننا حينئذ نكون أمام بنية، أما نسق من اجزائه، أو كونه الأجزاء ككل". (الجابري، 2010م: 182).

3. والجزء الأخير من تعريف الجابري قوله "في إطار بعض الحولات" بمعنى ثبات العلاقات التي تشكل البنية ليس ثباتاً مطلقاً. إنها ليست ستاتيكية ساكنة. والحقيقة إن قولنا

إن البنية كل مركب يطرح مشكلة التركيب وهي تتضمن التغيير. والسؤال الأساسي المطروح هنا هو: هل البنية كلٌ مركب أصالة؟ أم أنها كل يتركب؟ وبعبارة أخرى: هل البنية بناء جاهز أم أنها بناء يُبنى؟.

والجواب كما يرى الجابري واضح في التعريف: فما دامت هناك "تحولات" فإن البناء سيكون في الوقت نفسه بناء جاهزاً، وبناء يتحول ولتوضيح هذه المسألة يضرب الجابري مثلاً بالمعادلة الرياضية: فيقول: "أن المعادلة الرياضية تشكل بنية، أي كلاً من العلاقات الثابتة في اطار بعض التحولات. أنت تستطيع ان تحول عنصراً من عناصر المعدلة من مكان لآخر وفق قواعد معينة (العلامات+،-) دون أن تتغير البنية. بمعنى أن العلاقات داخل البنية الرياضية تبقى ثابتة رغم هذا التحول. يمكن ان تطرح وتجمع، أي تقوم بالعمليات الحسابية المنصوص عليها في المعادلة، ومع ذلك تبقى البنية هي أن النتائج سيكون بنية من العلاقات الثابتة". (الجابري، 2010م: 183).

وإذن، فالبنية نسق، أي كلٌ مركب يتركب بفضل قوانين التركيب. وحركة البنية، أي حركة العلاقات لا يمكن أن تقوم إلا في أنظومة من التحولات. ولذلك يجب التمييز في البنية بين العناصر التي تخضع للتحول، والقوانين التي تتحكم في هذا التحول.

وهنا نصل إلى خاصية أساسية أخرى من خواص البنية، وهي خاصية التوازن الذاتي AU TOREGLAGE. حيث يقدم الجابري توضيح لهذه الخاصية فيقول: "ولشرح هذه الخاصية يجب أن نلاحظ أولاً أن التحولات التي تتعرض لها البنية لا تتعدي حدود البنية ذاتها". إن التحولات تتم داخل البنية، تحولات تخفي العناصر التي تتركب منها البنية. إن البنية بهذا المعنى كل مغلق، ولكنها مع ذلك يمكن ان تكون بنية فرعية SOUSSTRUCTURE داخل بنية أكبر.

ودخول البنية تحت أكبر ولا يفقدها وحدتها ككل. وهذا بمعنى أنه ليس هناك أي نوع من البنية بين البنيات، ليس هناك اندماج، وإنما فقط علاقات "فيدرالية". (الجابري، 2010: 183).

إن دخول البنية في "اتحاد" مع بنيات أخرى، احتفاظها في الوقت نفسه بوحدها واستقلالها، بمعنى أن هناك نوع من التوازن الذاتي تقوم به البنية. إن حدوث تغير ما يخل بالتوازن قطعاً، ولكن البنية نفسها تقيد هذا التوازن.

على أن مفهوم التوازن الذاتي هنا لا يعني تصحيح الأخطاء التي تقع، بل يعني توقع هذه الأخطاء أو التغيرات وتصحيحها قبل وقوعها، أي العمل على تلافي انهيار

وضعية البنية، هناك إذن نوعاً من المراقبة الذاتية تقوم بها البنية بوسائلها الخاصة، تماماً مثلما يراقب الجهاز الآلي نفسه بنفسه، ومثلما يعيد الجسم الحي التوازن الى نفسه إذا ما اختل ذلك التوازن (التتام الجرح مثلاً من ذات نفسه) أي بفضل العملية العامة التي تقوم بها أجهزة الجسم ككل). (الجابري، 2010: 183).

ويخلص الجابري من ذلك كله إلى أن تعريف البنية بكونها " أنظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التغيرات". يعني أن الباحث لا يهتم بالنظر الى الأشياء كما هي، بل يهتم بالعلاقات الثابتة بينها، وبالخصوص تلك العلاقات التي تهتم ميدان بحثه. وهكذا عندما تكون أمام كل من هذه العلاقات بالشكل الذي شرحناه فإننا في الحقيقة أمام بنية، أي أمام شبكة من العلاقات يجب صياغتها صياغة رياضية.

وعلى هذا النحو يرى الجابري أن البنية مفهوم مجرد، موغل في التجريد، بمعنى أنه يمكن تطبيقها على أي نظام من الأشياء تقوم بينها علاقات من النوع الذي شرحناه. ودراسة البنية دراسة رياضية، تعنى إعطاء صورة عقلية عنها، صورة يكونها الباحث في ذهنه وتسمى اصطلاحاً: النموذج MODELE البنية StRUCtURE توجد في صميم الأشياء، أما النموذج، أو الطراز المدروس فهو صورة ذهنية يكونها الباحث لنفسه انطلاقاً من إهتماماته الخاصة. واختلاف إهتماماتهم. ومن هنا أيضاً نجد أنفسنا أمام بنويات. لا أمام بنوية واحدة. (الجابري، 2010: 184).

النظيمة والبنية:

يذهب المفكر عبد الله العروي إلى أنه استعمل مفهوم النظيمة (سستم) منذ القرن الماضي أولاً في الطبيعيات وعلم وظائف الأعضاء، ثم في الإنسانيات، وهكذا وصف ماركس الاقتصاد الرأسمالي كنظيمة، والمؤرخ الفرنسي دي كولانج المدينة القديمة كنظيمة، وكذلك دور المجتمع عنده نظيمة، الخ.

أما مفهوم البنية فهو مستحدث. دوركهايم مثلاً يستعمل الكلمة ولكن بالمعنى السابق، وأكثر ما كتبه كبار المفكرين البنيويين منذ الخمسينات من القرن العشرين كان حول الفرق بين المفهومين. إن من أبرز مميزات البنية أنها لا تكون عاملاً فعالاً إلا بقدر ما تكون خلق وعي الفاعل البشري، يجوز عندئذ أن تتعت ظاهرة اجتماعية بأنها نظيمة دون أن نضطر إلى الاعتراف بوجود بنية معينة هي أصل الانتظام. الأمران مختلفان والنقاش بين البنيويين وخصومهم في فهم كتابات ماركس مثلاً، هو حول هذه النقطة بالذات. (العروي، 2001: 12)

المقارنة بين التحليل التاريخي والتحليل البنيوي:

يذهب الجابري إلى أن أهم خاصية في التحليل التاريخي هو أنه يبحث عن أسباب الظواهر القائمة في الحوادث السابقة لها.

فللكشف عن سبب ظاهرة ما يعتمد الباحث في التحليل التاريخي، إلى الرجوع إلى الظاهرة التي تسبقها تماماً كما يفعل المؤرخون وعلماء الطبيعة... والنقص الكبير الذي يعاني منه التحليل التاريخي كامن في كون أسباب الظواهر الاجتماعية والتاريخية ليست دائماً سابقة بل إن هذه الظواهر قد تخضع في كثير من الأحيان للغائبة الثورية وللتحولات الاجتماعية التي تتخذ المستقبل دافعاً لها. (الجابري، 2010م: 184).

أما التحليل البنيوي في تصور مفكرنا فهو على العكس من ذلك يبحث عن الأسباب في إطار الكل القائم، أي في إطار العلاقات المترامنة، إن البنيوية تريد أن تضع مكان التاريخ مجموع العلوم الانسانية إنها تعنى بأبراز جملة من العلاقات القابلة للصياغة العقلية والقائمة بين عناصر البنية.

إذن التحليل البنيوي يحاول أن يستشف ما قد يحدث في المستقبل نتيجة الحركة العادية لهذه العلاقات نفسها. (الجابري، 2010: 185).

التحليل التاريخي يعطي أهمية خاصة للممارسة والفاعلية البشرية، أما التحليل البنيوي فهو يعتبر البنية كافية بنفسها، وبما أن البنية نسق من العلاقات فإن البنيوية تغض الطرف عن الفاعلية البشرية. إن العلاقات البنيوية علاقات غير مشعور بها، علاقات لا واعية.

إذن التحليل التاريخي يهتم بالتغيير والحركة والتطور فهو دوماً ذو صبغة دي لكتيكية، أما التحليل البنيوي فهو لا يقول بوجود تناقضات داخل الأشياء هي التي تحركها بل يقول بوجود عناصر متقابلة ولكنها في الوقت ذاته ثابتة في إطار بعض التحولات. (الجابري، 2010: 185)

إن الحركة بالنسبة للتحليل التاريخي هي حركة متصلة، أما التحليل البنيوي فهي منفصلة تتم بالطفرة. والحركة في التحليل التاريخي الذي يعتمد الديالكتيك نابعة من داخل الأشياء نفسها (صراع الاضداد) أما في التحليل البنيوي فإن الحركة ينظر إليها على أنها شيء مفروض من الخارج بسبب اتصال البنيات بعضها مع بعض. (الجابري، 2010: 185).

ومن هذا المنطلق يقدم لنا الجابري مثلاً على ذلك فيقول: "الثورة الفرنسية مثلاً بالنسبة للتحليل التاريخي هي نتيجة التناقضات الداخلية في المجتمع الفرنسي أثناء فترة ما قبل

الثورة أما بالنسبة للتحليل البنوي فإن انهيار بنية ما قبل الثورة وقيام بنية الثورة راجعان إلى عوامل خارجية مثل الحروب والعلاقات بين الدول". (الجابري، 2010: 186).

وعلى هذا الأساس فإن التطور بالنسبة للمؤرخ يحدث بسبب من التناقضات الداخلية للبنية المتطورة، أما بالنسبة للتحليل البنوي فإن التطور هو قفزة أو طفرة، نتيجة عوامل خارجية أو نتيجة الاتصال مع بنيات أخرى، أن البنية بالنسبة للتحليل البنوي لا تتغير، ولا تتحول إلى بنية جديدة إلا إذا اصطدمت حدودها الخارجية مع بنيات أخرى. ومن هذه الزاوية ينبه مفكرنا على انه يجب أن لا يفهم من هذه المقارنة بين التحليل التاريخي والتحليل البنوي، أن هناك تعارضاً مطلقاً بين الديالكتيك والبنوية، بل العكس.

ومن هنا يذكّر الجابري بأن ماركس: "أول من درس البنيات دراسة عقلية وعميقة، خاصة البنيات الاقتصادية في عصره. وإذا كانت الماركسية ترى أن الذي يصنع التاريخ هو الصراع الطبقي، فإن هذا الصراع هو في جوهره صراع بين البنيات: باعتبار أن كل طبقة تشكل بنية معينة متعارضة مع بنية الطبقة الأخرى" (الجابري، 2010: 186).

خصوصية التحليل البنوي:

يرى الجابري أن التحليل البنوي تظهر خصوصيته بشكل خاص عند دراسة أوضاع البلدان المتخلفة، ومجتمعات ما قبل الرأسمالية. ذلك لأن الاختلاف الأساسي بين المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات ما قبل الرأسمالية، يتجلى بشكل خاص في كون الأولى تنشأ فيها التحولات بفعل تناقضاتها الداخلية، في حين أن التحولات التي تطرأ على المجتمعات الأخرى، (مجتمعات ما قبل الرأسمالية مجتمعات البلدان المتخلفة) إنما تنشأ بفعل عوامل خارجية كالحروب والجماعات والتغيرات الطبيعية (الحفاف مثلاً).

وهي عوامل تعمل على الاخلال بالتوازن القائم فيما يستلزم التحرك للتكيف من جديد مع الوضعية الجديدة التي تشهدها البلدان المتخلفة اليوم (الانقلابات مثلاً) هي في جملتها ناتجة عن تدخل خارجي. (الجابري، 2010م: 186).

عيوب البنوية:

عرفنا أن البنوية تشتق وجودها الفكري والمنهجي من مفهوم (البنية) أصلاً، وعلى ضوء هذا المفهوم فإن الجزء لا قيمة له إلا في سياق الكل الذي ينظمه، إن "المقولة الأساسية في المنظور البنوي ليست هي مقولة الكينونة، بل مقولة العلاقة، والاطروحة المركزية البنوية هي توكيد أسبقية العلاقة على الكينونة وأولية الكل على الأجزاء، فالعنصر لا معنى له ولا قوام إلا بعبدة العلاقات المكونة له. (غارودي، 1985م: 13).

وهي بذلك تتقاطع مع المفهوم الماركسي للإنسان (الفرد هو مجموع علاقاته الاجتماعية)، هذا المفهوم الذي يلغي الفرادة ويقتل الإنسان، لذلك ذهب المفكر الفرنسي روجية غارودي ينسخ عنوان لكتابه على هذا النسق (البنيوية - فلسفة موت الإنسان). منتهياً فيه إلى أن البنيوية فلسفة "لا انسانية" تقول يموت الإنسان، لأن الإنسان في مفهومها - لم يعد سوى قارقوز يتحرك على خشبة المسرح بحبال البني... (غارودي، 1985م: 13)

ويترتب على هذا الكلام الفكري أن المنهج البنيوي في تعامله مع النصوص الأدبية، يغيب الخصوصية الفنية للنص الواحد في فرادته وتميزه ويذوبها في غمرة إنشغاله بالكليات ومنه يصح تشبيه أحدهم الناقد البنيوي بمن يرى الغابة ولا يرى الأشجار. (وغلبيس، 2008م: 117)

وهنا نلاحظ بأن هناك ربما خلط بين معنى البنيوية كمنهج والبنيوية كمذهب فلسفي، وهذا الأمر قد انتبه إليه الجابري حيث إنه قد بين ذلك بقوله:

" على الرغم من خصوصية التحليل البنيوي فإن العيب الأساسي في البنيوية هو أنها تلغي دور الإنسان، إنها تجعل منه مجرد عضو جامد في شبكة من العلاقات التي تتحكم فيه. مثله مثل الباعوضة وسط نسيج العنكبوت، ومن هذه الزاوية يمكن القول إن البنيوية أيديولوجيا تعكس وضعية الإنسان الأوربي الذي طغت عليه التقنية، وأصبح عبداً للألة سابقاً لها، وللعلاقات التي أنشأها التقني في المجتمع الصناعي" (الجابري، 2010م: 186).

هذا إذا نظرنا إلى البنيوية كمذهب فلسفي، أما إذا نظرنا إليها من الناحية الاستمولوجية، أي باعتبارها منهجاً للدراسة والتحليل فإن الأمر مختلف، لكنها حينئذ ستكون محاولة جادة تريد أن تتلافى عيوب المناهج الأخرى في الدراسات الإنسانية.

تلك المناهج التي تقتصر على نظرة وحيدة الجانب. وعلى هذا الأساس يرى مفكرت أن النظرة البنيوية نظرة تحويلية كلية ترتبط بين مختلف العلوم الإنسانية، ومن هنا تلتقي مع الديالكتيك، وتستجيب في الوقت نفسه للاتجاه السائد الآن في الميدان الاستمولوجي والذي يؤكد على وحدة العلوم وتداخلها أي على وحدة المعرفة. (الجابري، 2010: 186).

وعلى العموم، فإن البنيوية منهج نقدي داخلي يقارب النصوص مقارنة أنية محايدة، تتمثل النص لغوية متعاقبة ووجوداً كلياً قائماً بذاته، مستقلاً عن غيره. (و غليسي، 2010: 117).

ومن المعروف أن الجابري يعد من أصحاب المشاريع الفكرية الضخمة في (تعديل العقل العربي) ويعتبر من الموسوعيين في دراساته للتراث، وتقديم رؤية جديدة له، إلا أن الجابري لم يسلم من الانتقادات سواء من المشرق أو من المغرب العربي، وكان أشرسها تلك التي قام بها الباحث والمفكر السوري "طيب تيرنبي" الذي ألف في انتقاده للجابري كتاباً بعنوان "من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي، بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي وفي أفاقها التاريخية" حيث يتهم الجابري بأنه يحرض على تحجيم العقل العربي ويعتمد على المقولات البنيوية التي تسلم بموت الإنسان، كذلك الحال بالنسبة إلى جورج طرابيشي والذي نجد أنه خصص كتابه (نظرية العقل) في مقدمة العقل العربي حيث يقول إن هذا العمل الذي استغرق منه حوالي ثماني سنوات بأن يكون محض نقد للجابري وتفنيداً لأحكامه وتصحيحاً لشواهد. إلا أنه يعترف له بقوة التحليل ودقة المعرفة بقوله: "إن الذهن يُعد مطالعة تكوين العقل العربي، لا يبقى كما كان قبلها، فنحن أمام اطروحة تغيير، وليس اطروحة تثقف" (طرابيشي، 1999م: 8).

أما الجابري فيجد نفسه أحد أصحاب المشاريع الفكرية، ويعتبر صراعاته مع المفكرين ليس سوى جزء من هذه المسؤولية التي يحملها.

إعادة بنية الوعي العربي:

يذهب الجابري إلى أن التاريخ الثقافي العربي السائد هو في مجمله مجرد اجترار وتكرار وإعادة إنتاج بشكل رديء للتاريخ الثقافي نفسه الذي كتبه أجدادنا تحت ضغط صراعات العصور التي عاشوا فيها، وفي حدود الإمكانيات العلمية و المنهجية التي كانت متوافرة عندهم.

إذن فنحن مازلنا سجناء الرؤية والمفاهيم والمناهج التي وجهتهم مما يجرنا دون أن نشعر، إلى الانخراط في صراعات الماضي ومشاكله، إلى جعل حاضرنا مشغولاً بمشاكل ماضينا، وبالتالي النظر إلى المستقبل بتوجيه من مشاكل الماضي والحاضر معاً. (الجابري، 1994م: 98).

من المعلوم أن الخطوة الثانية التي اتبعتها الجابري في مشروعه الفكري على طريق "تجديد الفكر العربي" تبنيه للمنهج الذي يقوم على ضرورة إحداث "قطعة

ابستمولوجية " مع البنية الفكرية العربية التي تنهض على قياس الغائب على الشاهد دون الاخذ بعين الاعتبار الشروط التي تجعل هذا القياس مناجهاً علمياً.

أما الخطوة الأخرى بعد القطعية مع الفهم التراثي للتراث وهي إرساء عملية فصل مزودج بين الذات والموضوع من أجل تحرير الذات من هيمنة النص من النص التراثي وهو ما يتحقق من خلال منهج ثلاثي:

1. المعالجة البنيوية: ويقصد الجابري بها النظر في دراسة التراث والنصوص كما هي معطاة لنا. إن هذا يعني ضرورة وضع جميع أنواع الفهم السابقة لقضايا التراث بين قوسين والاقصرار على التعامل مع النصوص، ككل تتحكم فيه ثوابت ويعتنى بالتغيرات التي تجري عليه حول محور واحد،

وهذا يقتضي محورة فكر صاحب النص (مؤلف، فرقة، تيار، ...) حول إشكالية واضحة على استيعاب جميع التحولات التي يتحرك بها ومن خلالها النص، بحيث تجد كل فكرة من أفكاره مكانها الطبيعي (أي المبرر أو القابل للتبرير) داخل الكل. إذن القاعدة الذهبية في هذه الخطوة الأولى هي تجنب قراءة المعنى قبل قراءة الألفاظ (الألفاظ بوصفها عناصر في شبكة من العلاقات وليس بوصفها مفردات مستقلة بمعناها). ويؤكد الجابري بأنه

يجب التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة يجب وضع كل ذلك بين قوسين و الانصراف إلى مهمة واحدة هي استخلاص معنى النص من النص نفسه، أي من خلال العلاقات القائمة بين أجزائه، فحين يقدم التراث نفسه إلينا بصورة منظومة أو مركبة، لا بد ان نفككه لكي نفهمه، وحين يقدم نفسه مفككاً مثلما هو الحال في البيان والتبيين للجاحظ، لا بد لنا ان نكشف بنيته لفهمه، ثم نفككه فيما بعد، لا بد من المعالجة البنيوية كمرحلة أولى. (سحبون، 2007م: 165)

ب- التحليل التاريخي

يتعلق الأمر أساساً بربط فكر صاحب النص الذي أعيد تنظيمه حين المعالجة البنيوية وربطه بمجاله التاريخي بكل أبعاده الثقافية والسياسية والاجتماعية. إن هذا ضروري من ناحيتين: ضروري لفهم تاريخية الفكر المدروس وضروري لاختيار صحة النموذج البنيوي الذي قدمته المعالجة السابقة. والمقصود هنا ليس الصدق المنطقي، وذلك ما يجب الحرص عليه في المعالجة البنيوية، بل المقصود الإمكان التاريخي: الامكان الذي يجعلنا نتعرف على ما يمكن أن يقوله ولكن سكت عنه.

ويذهب الجابري إلى أن التحليل التاريخي هو مخبرنا الذي نقيس به النتائج، ورجوعنا إلى التاريخ هنا يختلف عن رجوع المؤرخ. فالمؤرخ يبدأ التاريخ من البداية، ولا يهمله إلا التسلسل وربط الأسباب بمسبباتها أن امكنه ذلك، أما نحن، فنرجع إلى التاريخ في كليته، السابق واللاحق، ويهمننا أن نجد في سيره العام والشواهد التي تكشف عن هذه القوانين والاطروحات التي نستخلصها، فإذا تأكدنا، بالتحليل التاريخي أن الاطروحات التي استخلصناها من التحليل البنيوي تشهد لها شواهد تاريخية اعتبرناها صحيحة. (الجابري، 1991م: 24)

ج- الطرح الإيديولوجي:

ويقصد به الجابري الكشف عن الوظيفة الإيديولوجية الاجتماعية السياسية، التي أداها الفكر المعنى، أو كان يطمح إلى أدائها، داخل الحقل المعرفي العام الذي ينتمي إليه. إن الكشف عن المضمون الإيديولوجي للنص التراثي هو الوسيلة الوحيدة لجعله معاصراً لنفسه، لإعادة التاريخية إليه. (الجابري، 1991م: 332).

ويشير الجابري إلى أنه ليس من الضروري أن نبدأ بالتحديد بهذا المنهج أو ذلك فالبدائية تكون حسب الموضوع والمناهج كلها صالحة، فيما يمكن أن يصلح له. إنها كلها صالحة، ولكنها ليست بمفردها، والتراث واسع. والسؤال لماذا هذا الفصل للتراث بمعنى فصل الذات عن التراث؟

يجيبنا الجابري لأن القارئ مؤطر بتراثه، مثقل بحاضره.... فعندما يقرأ القارئ العربي، نصاً من نصوص تراثه يقرأ متذكراً، لا متكشفاً ولا مستفهماً، ومتقلاً بحاضره معناها عند القراءة يسابق الكلمات بحثاً عن المعنى الذي يستجيب لحاجاته، يقرأ شيئاً ويهمل أشياء، يمزق وحدة النص ويُحرف دلالاته، ويخرج به عن مجاله المعرفي التاريخي... إنه يقرأ كل مشاغله في النصوص قبل أن يقرأ النصوص، فصل الذات عن الموضوع عملية، ولكنها مجرد خطوة تمهيدية تمكن الذات بواسطتها من استرجاع فاعليتها الحرة لتفرغ في بناء الموضوع بناءً جديداً في أفق جديد. (الجابري، 1991م: 22)

الإشكالية والسؤال_ المكونات البنيوية

إن الاطلاع الواسع والزاد العلمي والمعرفي للجابري حمله إلى أروقة العقل العربي يتحسس علله، وضروب النقص، والحوجز التي تتلبسه، وتقف بينه وبين النهوض، فقام بتشخيص العقل العربي، والبحث في المكونات البنيوية فيه، بغية معرفة الخلفيات

والمبادئ التي تحكم رؤية الإنسان العربي إلى الأشياء، وطرح تبعاً لذلك السؤال الذي شغل العرب منذ سقوط الدولة أو الحضارة الإسلامية: لماذا لم نهض؟ ولماذا تقدم غيرنا؟ أين تكمن العلة؟

وأعاد النظر فيما أنتج هذا العقل فوجده يدور حول التراث تمجيداً ونقداً فالناس موصولون بترائهم مفتونين به حد استعادة اسئلته إلى زمنهم، وثائرين عليه حد التنكر له. وبالتالي هل الحل هو التركيب؟

الحل فيما يرى الجابري هو تسليط أدوات العلم على هذا العقل ومحاولة معرفة بنيته مما تتشكل، وما هي خصائصه؟

وأكثر من ذلك لا بد من معرفة التفكير فيما هو مستثنى من التفكير في العقل العربي.

لقد تصور الجابري أبنية العقل العربي فوجده قائماً على ثلاثة أنظمة:

أولها- نظام بياني منطلقه حسي ويفضل الاستخوذ على الإنتاج، ويمثل الجابري بذلك بالأعرابي الذي كان همه أن يراكم الثروة يحتل مركزاً اجتماعياً. وليس ليصرفها في أوجه اقتصادية أخرى لتتجدد الثروة وتتنوع، هذا عين ما أصاب العقل العربي البياني فقعن بالجمود ولم ينتج. (الجابري، 1991: 79).

وثانيها- نظام عرفاني قنع بالزهد واستعاد فكرة الممكن وغير الممكن ولم يسلك للأبداع مسلكاً.

وثالثها- نظام برهاني يقوم على العقلانية التحليلية المتبصرة التي تحدد علاقتنا بالتراث وتفهم أنها قائمة على شرطي المعقولية والموضعية فالمعقولية تقتضي إعادة كتابة التراث بشكل يفكر أكثر، ويفكك أكثر ويُحكم العقل أكثر.

أما الموضوعية فهي تعني أنه ليس كل ما في التراث صالحاً، لحاضرنا وأنه لا سبيل إلى قطعية مطلقة مع التراث.

ويذهب الجابري إلى أن العقل العربي عقل فقهي تكاد تقتصر عبقرتيه في البحث لكل فرع عن أصل وبالتالي لكل جديد عن قديم يقاس عليه وذلك اعتماداً على النصوص حتى غدا النص هو السلطة المرجعية الأساسية للعقل العربي وفاعليته.

وذلك على وجه التحديد من حيث إن "العقل العربي" الذي يتصدى الجابري لتحليله ونقده هو حصراً العقل التراثي وامتداته في "اللاعقل" العربي الحديث والمعاصر. وأن ما صنع مجد الجابري من وجهة النظر المعرفية ليس من طبيعة سوسولوجية او

سيكولوجية، بل هو بالأحرى من طبيعة استمولوجية. فما يتميز الجابري عن تقدمه من الذين كتبوا عن العقل العربي هو قوة تأسيسه النظري، أو الابدتمولوجي كما يؤثر أن يقول، لهذا العقل ورفع أياه من مستوى اللفظ الى مستوى المفهوم. (طرابيشي، 1999م: 12).

والجدير بالذكر هنا أن الجابري يؤكد حرصه الدائم على توجيه اهتمامه إلى التفكير وطريقه الانتاج النظري في العلوم العربية الإسلامية، وبذلك نجده قد حصر مكونات العقل العربي أو بمعنى آخر البنية المعرفية للعقل العربي، وهي محاولة فيه لتحديد معالم هذه البنية المعرفية كما يقول إلى مستوى الحقيقة التاريخية، لا بل الحقيقة العلمية بالتحليل الملموس للواقع الملموس. (الجابري، 1991م: 7).

الخاتمة

نخلص مما تقدم إلى إن هذا البحث سبر أغوار فكر الجابري في البنيوية وأظهر نتائج يمكن إيجازها في الآتي إن البنيوية تعبر عن حصاد تطور تاريخي علمي غربي، وهي ليست طفرة مفهومية، بل هي امتداد جملة من المفاهيم الموزعة على حقول معرفية، كنتيجة لتطور صاحبه ثورة في الأساليب والدراسات والتحليلات والقراءات.

- أن البنيوية منهج مستخدم في عدة تخصصات علمية تقوم على دراسة العلاقات المتبادلة بين العناصر الأساسية المكونة لبني، يمكن أن تكون عقلية مجردة، لغوية اجتماعية، ثقافية، كما أنها تعني النظام أو النسق العقلي والتنظيم الذاتي.
- نجد أن البنيوية تؤمن بالظاهرة أبنية منعزلة عن أسبابها وعللها، واما يحيط بها، وتسعي إلى تحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية من أجل فهمها وإدارتها.
- كان هدف البنيوية إضفاء الطابع العلمي والموضوعي على النص الأدبي ومحاولة تجاوز الأحكام المغرضة والأيديولوجية التي تشد هذه الممارسة النقدية، وبهذا يعمل الفكر البنيوي على انقاذ النظري من الأيديولوجي.
- بين الجابري أن المهم عند الموقف البنيوي ليس الكل ولا الأجزاء بل المهم هو العلاقات القائمة بينها، هي القائمة بين الأجزاء، هذه العلاقات التي تشكل كلاً معيناً، أي انظومة، وكذلك أشار الجابري إلى أن التحليل البنيوي يبحث عن الأسباب في إطار الكل القائم، أي في إطار العلاقات المترامنة، أن التحليل البنيوي تظهر خصوصيته عند دراسة أوضاع البلدان المختلفة، وهو ما يعني عند مفكرنا مقارنة إشكالية التخلف عندنا

- ونجد الجابري قد أشار إلى ضرورة التفريق بين البنيوية كمذهب والبنيوية كمنهج، ومن هذا المنطلق يدعو مفكرنا إلى أهمية النظر إليها من الناحية الأبيستمولوجيا أي باعتبارها منهجاً للدراسة والتحليل؛ لأنها في هذه الحالة ستكون محاولة جادة لتلافي عيوب المناهج الأخرى.
- من هذا المنطلق فإن الجابري بحسه الإبداعي وزاده المعرفي الرصين ومن زاوية الاحتياج إلى منتجات الفكر الغربي من أدوات منهجية وآليات فكرية، ومن خلال قدرته على توظيف هذه الآليات كثيراً ما يضيف له بعداً في زاوية النظر وعمقاً في التحليل في أبنية الفكر وتكوين العقل العربي من خلال تسليط أدوات العلم على هذا العقل ومحاولة معرفة بنيته مما تتشكل، وماهي خصائصه وماهي أبرز إشكالياته.
- المقارنة كما يراها مفكرنا هي دراسة التراث والنصوص التراثية، كما هي معطاة لنا، بمعنى يجب التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة، وهذا التحقق يتم من خلال منهج ثلاثي: المعالجة البنيوية، والتحليل التاريخي، والطرح الأيديولوجي، ويرى الجابري أنه ليس بالضرورة أن تبدأ بالتحديد بهذا المنهج أو ذلك، فالبدائية تكون حسب الموضوع والمناهج كلها صالحة فيما يمكن أن تصلح له.
- وبهذا المعنى يدعو مفكرنا إلى الانفتاح على العصر والاستفادة من مناهجه العلمية بشرط أن يكون هذا الانفتاح انفتاحاً واعياً، وليس تقليد له أن من الشروط الضرورية لمقاربة مشاكلنا وتحديث فكرنا، وتجديد أدوات تفكيرنا، وصولاً إلى تشييد ثقافة عربية معاصرة وأصيلة معاً، والاستفادة من المكتسبات الإنسانية العلمية والمنهجية والفكرية، وعلى هذا الأساس فإن عملية التجديد لا يمكن أن تتم إلا بالحضور داخل ثقافة الأمة وتراثها، والتعامل العقلاني مع ماضيها وحاضرها وتوظيف الإمكانيات لتحقيق الغايات.

قائمة المصادر والمراجع

- 1_ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط(3)، 1939.
- 2_ الجابري، التراث والحداثة، بيروت، المركز الثقافي العربي (ط1)، 1993م.
- 3_ الجابري، تكوين العقل العربي، بيروت، المركز الثقافي للطباعة والنشر، (ط4)، 1991م.
- 4_ بارت، رولان، ترجمة منذر عياشي، حلب، مركز الانتماء الحضاري، 1994.
- 5_ يناصر البُعزاتي، خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة، الرباط، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط(1)، 2007م.
- 6_ جورج طرابيشي، نظرية العقل، نقد العقل العربي، بيروت، دار الساقى، ط(2)، 1999م.
- 7_ حسناء الأدريسي، البنيوية في النقد الأدبي، مدخل تعريفي، بحث في منشور في صحيفة "قاب قوسين" الالكترونية بتاريخ 23-11-2015م.
- 8_ حسين الواد، قراءات في مناهج الدراسات الادبية، تونس، سرائش لنشر، 1985م.
- 9_ رفيق العجم، موسوعة مصطلحات الشريف الجرحاني وابن خلدون، بيروت، ناشرون ط(1)، 2004م.
- 10_ عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة شرعية، الرباط، دار ابي قراف للطباعة والنشر، 2012م.
- 11_ عبد الله العروي، مفهوم العقل، بيروت، المركز الثقافي العربي ط(1)، 2001م.
- 12_ على رحومه سحبون، اشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر، دراس تحليلية مقارنة، الاسكندرية، توزيع منشأة المعارف ط(1)، 2007م.
- 13_ فتحي التريكي، قراءات في فلسفة التنوع، تونس، الدار العربية لكتاب، 1988.
- 14_ كلود ليفي سترانس، الانثروبولوجيا البنيوية، الرباط، مطبعة وزارة الثقافة، 1977م.
- 15_ مجموعة باحثين، حوار المشاركة والمقاربة، ج2، الكويت، وزارة الاعلام، مجلة العربي، ط(1)، 2006م.

- 16_ محمد الجابري، المشروع النهضوي العربي، مراجعة نقدية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996م.
- 17_ محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي، الحداثة الفلسفية، نصوص مختارة بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (ط1)، 2009م.
- 18_ محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ط (1) 1994.
- 19_ محمد عابد الجابري، مدخل الى الفلسفة العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ط(3)، 1994.
- 20_ محمد عابد الجابري، من دروس الفلسفة والفكر الاسلامي، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ط (1)، 2010م.
- 21_ محمود يعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، القاهرة دار الكتاب الحديث، 2008م.
- 22_ محمد الجابري، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م.
- 23_ ديفيد دينش، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ترجمة يوسف نجم، بيروت، دار صادر، ط (1)، 1967م.
- 24_ يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، بيروت، مطابع الدار العربية اللغوي، (ط1)، 2008م.

Leadership behavior

No	Statements	SD (1)	D (2)	N (3)	A (4)	SA (5)
1.	The leader always makes decision together					
2.	The leader shows many things which can persuade employee desire to work					
3.	The leader gives an attention for group who are less successful in the work					
4.	The leader always gives an instruction clearly					
5.	The leader always gives an instruction wise					
6.	The leaders always makes work standards to be applied by employees					
7.	The leader always decides many purposes that must be reached by employees in working					

Employees Performance

No	Statements	SD (1)	D (2)	N (3)	A (4)	SA (5)
1.	I can finish my work based on the standard set					
2.	I am carefull in finishing that work					
3.	I can quickly finish that work					
4.	I offer creative ideas to problem-solving at work.					
5.	I am included into a group of work who try to solve problems at work					
6.	I finish a work on time.					
7.	I have a big spirit to work on a new task in developing a work responsibility.					
8.	I have a good desire in working so that can get maximal result.					

A = Agree

SA = Strongly Agree

Fill up the score in the following statements:

Knowledge Management

No	Statements	SD (1)	D (2)	N (3)	A (4)	SA (5)
1.	The college administration monitors the organization's knowledge needs in order to provide them.					
2.	The opinions, experiences, and experiences that the college goes through are recorded and saved in databases					
3.	The College provides the appropriate time and atmosphere for the exchange of knowledge between employees					
4.	The college has a flexible administrative system that facilitates the distribution of knowledge to workers					
5.	The college holds training courses for employees on how to use knowledge to achieve specific goals					
6.	The college tabulates the raw data and then converts it into information in order to support decisions					
7.	College employees understand the importance of knowledge management in supporting operational activities					
8	College officials have a clear vision of the strategies and approaches to implementing knowledge management.					

Questionnaire

DEMOGRAPHIC VARIABLES

INSTRUCTION: Choose the following options which best reflect your current condition by giving a cross mark (X) on the letter you have chosen

1. Gender :

- a. Male
- b. Female

2. Ages :

- a. < 20 Years Old
- b. 20-29 Years Old
- c. 30-39 Years Old
- d. 40-49 Years Old
- e. > 50 Years Old

3. Degree

- a. High School
- b. Diploma
- c. Under Graduated
- d. Post Graduated

4. Working Duration

- a. 0 - 5 years
- b. 6 - 10 years
- c. 11 – 15 years
- d. 16 - 20 years
- e. > 20 years

5. Work Unit:

INSTRUCTIONS: Fill the points by giving a check mark (√) in the option column.

SD = Strongly Disagree

D = Disagree

N = Natural

TERZIOVSKI, M., Fitzpatric, P., O'Neill, P. (2003). Successful predictors of business process reengineering (BPR) in financial services. *International Journal of Production Economics*, 84(1), 35-50. [http://dx.doi.org/10.1016/S0925-5273\(02\)00378-X](http://dx.doi.org/10.1016/S0925-5273(02)00378-X)

Tseng (2014) The effect of knowledge management capability and dynamic capability on organizational performance, *Journal of Enterprise Information Management*, Volume 27, Issue.

V. Rama Devi^{1*}, Mrs. P. Lakshmi Narayanamma (2014), *Scholars Journal of Economics, Business and Management, Impact of Knowledge Management on Organizational Performance in Higher Educational Institutions*, SAS Publishers (Scholars Academic and Scientific Publishers) (An International Publisher for Academic and Scientific Resources. Pg.402 – 403.

Veronica CelattiaTandoh. 2011. Effect of Leadership Behaviours on Employee Performance in Guinness Ghana Breweries Limited. Degree of Commonwealth Executive Masters of Public Administration. Institute of Distance Learning. Ghana

Wang, F. J., Chich-Jen, S. & Mei-Ling, T. (2010). Effect of leadership style on organizational performance as viewed from human resource management strategy. *African Journal of Business Management*, 4(18), 3924-3936.

WILKINSON, I., Young, L. (2006). On cooperating firms, relations and networks. *Journal of Business Research*, 55 (2), 123-132. [http://dx.doi.org/10.1016/S0148-2963\(00\)00147-8](http://dx.doi.org/10.1016/S0148-2963(00)00147-8)

Yukl, G. (2006). *Leadership in organisations* (6th ed.). London: Prentice Hall.

Organizational Performance, *Dirasat Journal, Deanship of Scientific Research at the University of Jordan*, Volume Thirty-six, Issue Two.

Murphy, K., & Cleveland, J. (1995). *Understanding performance appraisal: Social, organizational and goal-oriented perspectives*. Newbury Park, CA: Sage.

Muhlis Mallajareng. 2014. *Leadership and Provincial Government Employee Performance: The Influence of Work Capability, Motivation and Behavior Relationship*. *Journal of Economics and Sustainable Development*. *Journal of Economics and Sustainable Development* Vol.5, No.5

NELSON, R., Winter, S. (1982). *An evolutionary theory of economic change*, Belknap Press/Harvard University Press, Cambridge.

PANDEY, S.C., Duta, A. (2013). *Role of knowledge infrastructure capabilities in knowledge management*. *Journal of knowledge management*, 17(3), 435-453. doi: 10.1108/JKM-11-2012-0365

QUIGLEY, N.R., Tesluk, P.E., Locke, E.A., Bartol, K.M. (2007). *A multilevel investigation of the motivational mechanisms underlying knowledge sharing and performance*. *Organization Science*, 18(1), 71-88. doi: <http://dx.doi.org/10.1287/orsc.1060.0223>

Raslan, Nabil, 1987, *Incentives in the Laws of Government and Public Sector Employees*, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, for Cairo, p. 3.

Robbins. (2003). *Organizational Behavior: Concepts, Controversies, and Applications*. New Jersey: Prentice-Hall, Engelwood Cliffs.

Rong Du, Shizhong Ai, and Yuqing Ren. (2007). *Relationship Between Knowledge Sharing and Performance: A Survey in Xi'an, China*. *Expert Systems with Applications* 32.

Salleh, F., Dzulkifli, Z., Abdullah, W. A. W., 2011. *The Effect of Motivation on Job Performance of State Government Employees in Malaysia*. *International Journal of Humanities and Social Science*, Vol 1, No. 4.

Srinivas, S. A. a. S. (2016). *Driving Knowledge Sharing Initiatives for Enhanced Collaboration in Sultan Qaboos University (SQU) Libraries—A Case Study*. *Electronic Journal of Knowledge Management*, 14(1).

Kouzes, J. M., & Posner, B. Z. (2003). *Leadership Practices Inventory: Facilitator's Guide*. San Francisco: Jossey-Bass.

Kozes, J. M., & Posner, B. Z. (1999). *Encouraging the Heart*. San Francisco: Jossey-Bass.

Krasneh, Abdel Fattah Abdel Rahman, and Al Khalili, Somaya Tawfiq, 2009, *Knowledge Management Components: An Analytical Study in the Jordanian Ministry of Education*, *The Jordanian Journal of Business Administration*, issued by the Deanship of Scientific Research at the University of Jordan, Volume Five, Issue Three.

Li-Fei, X. B. & Hua, J. (2010). *Effects of Leadership Behavior on Organizational Performance in Research University*. *Management and Service Sciences*, (MASS), 1-4.

Liao, Shu-Hsien & Wu, Chi-Chuan. (2009) *Knowledge Acquisition, Absorptive Capacity, and Innovation Capability: An Empirical Study of Taiwan's Knowledge-Intensive Industries*, *World Academy of Science, Engineering and Technology* 53.

Lowe, K. B., Kroeck, K. G. & Sivasubramaniam, N. (1996). *Effectiveness correlates of transformational and transactional leadership: a meta-analytic review of the MLQ literature*. *Leadership Quarterly*, 7(3), 385-425.

Lord, R. G., & Brown, D. J. (2001). *Leadership, values and subordinates self-concepts*. *The leadership Quarterly*, 12, 133-152. [http://dx.doi.org/10.1016/S1048-9843\(01\)00072-8](http://dx.doi.org/10.1016/S1048-9843(01)00072-8)

Luthans, Fred, 1995, *Organizational Behavior*, Seventh Edition, McGraw Hill, Singapore.

LYTRAS, M., Pouloudi, A. (2006). *Towards the development of a novel taxonomy of knowledge management systems from a learning perspective: an integrated approach to learning and knowledge infrastructures*. *Journal of Knowledge Management*, 10(6), 64-80. doi: 10.1108/13673270610709224

Miqdadi, Mahmoud Muhammad, and Abu Zaid Muhammad Khair Salim (2009) *The Role of Satisfaction with Communication in Activating Knowledge Management Processes from the Side of Knowledge Creation on*

Dansereau, F., Alutto, J. A. & Yammarino, F. J. (1984). Theory testing in organizational behavior: The variant approach. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

DAVENPORT, T.H., De Long, D.W., Beers, M.C. (1998). Successful knowledge management projects. Sloan Management Review, 43-57.

DAVENPORT, T.H., Prusak, L. (1998). Working Knowledge: How organizations manage that they know, Harvard Business School Press, Boston, MA.

Fattahiyani S., Hoveida, R., Siadat, S.A., Talebi, H. (2013). The relationship between Knowledge Management Enablers, Processes resources and organizational Performance in Universities (Case Study: selected Universities of the Isfahan Province). International Journal of Education and Research Vol. 1 No.11

Flippo, E.B, 1984, Personnel Management, Sixth Edition, McGraw-Hill, New York.

Gloet, M., & Terziowski, M. (2004). Exploring the relationship between knowledge management practices and innovation performance. Journal of Manufacturing Technology Management, 15(5), 402-409.

GONZALEZ, R.V.D., Martins, M.F. (2014). Mapping the organizational factors that support knowledge management in the Brazilian automotive industry. Journal of Knowledge Management, 18(1), 152- 176, doi: 10.1108/JKM-08-2013- 0300.

Hassouna, Faisal, 2008, Human Resources Department, Dar Osama for Publishing and Distribution, 1st Edition, Amman, p. 135.

Huang, K. (2014). Knowledge Sharing in a Third-Party Governed Health and Human Services Network. Public Administration Review, 74(5), 587-598.

Huselid, M. A. (1995). The impact of human resource management practices on turnover, productivity, and corporate financial performance. Academy of Management Journal, 38(3), 635-672.

Ilyas.Y, 2003 .Performance Assessment Theory & Research. Center for Health Economic Studies FKM UI, Depok

the Challenges of Globalization, Philadelphia University, College of Administrative and Financial Sciences, 15-16.

Al-Salami, Ali, Management by Knowledge, Cairo: Dar Qubaa for Printing and Publishing, 1998, p. 17.

Al-Taweel, Hani Abdel-Rahman, 2001, Educational Administration, Concepts and Prospects, second edition, Jordan, p. 287.

ANDREWS, M.C., Kacmar, K.M. (2001). Discriminating among organizational politics, justice, and support. *Journal of Organization Behavior*, 22(4), 347-66. doi: 10.1108/00483480710773981

Appelbaum, H. and Gallagher, J. (2000) The competitive advantage of organizational learning, *Journal of Workplace Learning*, 12 (2), pp. 40–56.

Aqili, Omar Wasfi, 2009, Human Resources Department, Zahran Foundation, Amman, p. 62.

Arvonen, J. (2002). Change, production and employees: An integrated model of leadership (Doctoral thesis). Stockholm: Stockholm University.

Asogwa, B. E. (2012). Knowledge management in academic libraries: Librarians in the 21st century. *Journal of Knowledge Management Practice*, 13(2).

Bass, B. M. (1998). *Transformational Leadership*, Laurence Erlbaum Associates, Hillsdale, NJ.

Birasnav, M, (2013). The role of transformational leadership and knowledge management processes on predicting product and process innovation: An empirical study developed in Kingdom of Bahrain. *Tékhne*, 11(2), 64-75.

Boerner, S., Eisenbeiss, S. A. & Griesser, D. (2007). Follower Behavior and Organizational Performance: The Impact of Transformational Leaders. *Journal of Leadership & Organizational Studies*, 13(3), 15-26.

CROSS, R., Sproull, L. (2004). More than an answer: Information relationships for actionable knowledge. *Organization Science*, 15(4), 446-462. doi:10.1287/orsc.1040.0075

7. Recommendations

This study provides empirical evidence on the interaction between various factors to exert influence on the job performance of employees at Zintan University. It was found that both factors, knowledge management and leadership behavior, have a significant and positive impact on job performance. This study has some limitations, which may be associated with the generalizability of the results. The study focused only on employees working at Zintan University. The job performance of employees at other universities in Libya may be affected differently. Furthermore, this study may not be completely free from some survey limitations such as non-response bias and questionnaire completion bias. It is desirable that future research efforts focus on identifying other economic, social, psychological and cultural factors that may affect the job performance of university employees. Moreover, future researchers should exploit the possibilities of conducting further research on the factors that contribute to better job performance using mixed methods consisting of qualitative and quantitative research. The study provides fruitful insights for policy makers in universities to consider the important factors to enhance and improve the job performance of university employees.

References

- Ahmad, ZainalAriffin & HsooneeAlmayali Hakim i. 2012. Leadership Behaviours and Academic Performance in Iraqi Public Universities. *International Journal of Information Management and Business Review* Vol. 4, No. 12. Malaysia
- Al-Humaidhi, Abdulaziz bin Muhammad, 2007, *The Decision-Making Process and Its Relationship to Job Satisfaction*, Master Thesis, Naif Arab Academy for Security Sciences, p. 55.
- Al-Ketbi, Amna, 2007, *Measuring Job Loyalty in the Police Domain*, a field study, Riyadh, p. 16.
- Al-Qaryouti, Muhammad Qasim, 2005, *Organizational Knowledge Management: Concept, Methods and Strategies*, Fourth Scientific Conference: Entrepreneurship and Creativity, Business Strategies in Facing

well. Although it is not physically visible, it is felt as a force to help the leader act and work to meet his or her needs. A good leader helps stimulate the individual's activity and activate his behavior towards a specific goal. This is done in order to increase the individual's ability to perform his functions well.

Leaders in higher education are considered one of the most important factors and methods for developing this type of education because of their important role in influencing employees and communicating their ideas and behavior in a way that achieves the goals of the university. From the results of the analysis, it is concluded that satisfaction does not have any significant negative impact on employee performance.

Hypothesis testing and direct path coefficients between knowledge management and leadership behavior on employee performance at Zintan University can be seen from the path plot of the estimation results of partial least square analysis (SmartPLS4). Independent variables have a significant effect on the dependent variable if the value of t-statistics is greater than 1.96 ($\alpha = 5\%$).

The first hypothesis: The effect of leadership on employee performance states that the values obtained from the path coefficient between leadership and employee performance are 0.044. This means that transformationalism has a positive impact on employee performance, as stronger leaders tend to improve employee performance.

The second hypothesis: The impact of knowledge management on employee performance states that the value of the path coefficient between knowledge management and employee performance is 0.131. This means that knowledge management has a positive impact on employee performance, which increases employee motivation, and thus it tends to improve employee performance. Then the value of t-statistics between employee knowledge management and employee performance is 1.013 (t-statistic value > 1.96). This means that knowledge management significantly affects employee performance.

significantly impact the employee's performance of Zintan University employees ($P < 0.001$); Thus supporting the hypotheses.

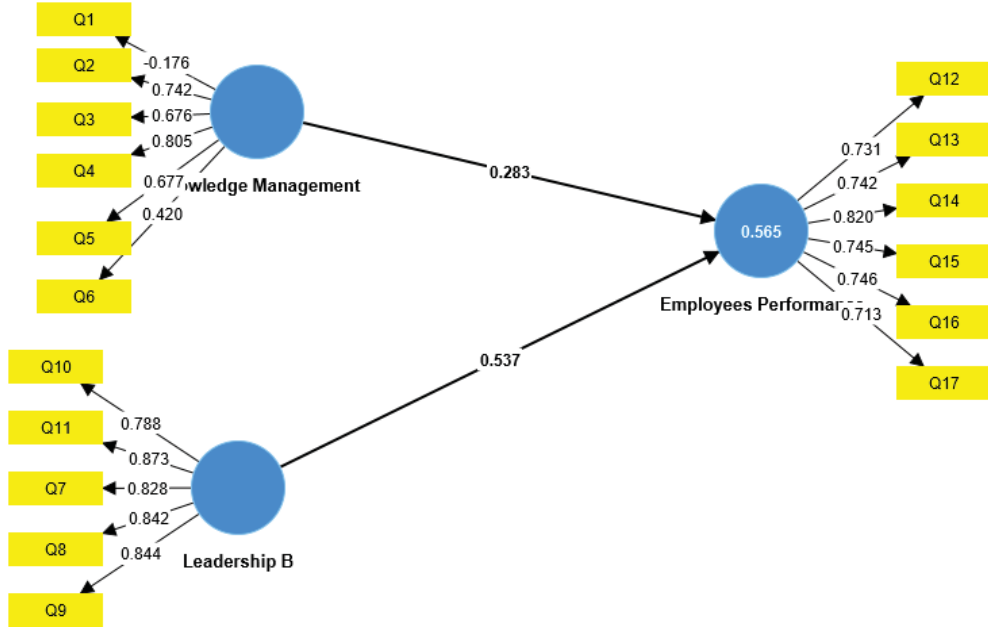


Figure 1. Path coefficients

Table 5. Path coefficient

الفرضيات	β	Standard deviation	T-statistic	P-value	Results
Knowledge Management → Employees Performance		***0.283	11.025	0.000	Supported
Leadership B → Employees Performance		***0.537	9.457	0.000	Supported

Note: *** Significant at 0.001.

6. Results

The results of the analysis concluded that knowledge management and leadership behavior have a direct and significant positive impact on job performance, as stronger leadership tends to improve performance, and the hypotheses formulated in this study show relatively equal results. Knowledge management develops a person's inner strength and motivates him to behave

Variables	Items	Factor loadings	AVE	CR
Leadership Behavior	Q8	0.873	0.387	0.729
	Q9	0.828		
	Q10	0.842		
	Q11	0.844		
Knowledge Management	Q2	0.742	0.387	0.729
	Q3	0.676		
	Q4	0.805		
	Q5	0.677		

5.4 Validity of privacy

Assessing discriminant validity is necessary to ensure that the construct differs significantly from other constructs empirically. In simple words, a construct should measure a unique problem or phenomenon (Sarstedt, 2017, Sinkovics, 2009). A more conservative method is Fornell and Larcker's (1981) criterion for measuring discriminant validity. The results of the Fornell and Larcke algorithm from the PLS4 algorithm through average variance extracted (AVE) and correlation coefficients between constructs are reported in Table 3. Hence, it ensures discriminant validity.

Table 4. Discriminant validity

Variables	Employees Performance	Knowledge Management	Leadership B
Employees Performance	0.750		
Knowledge Management	0.622	0.630	
Leadership B	0.720	0.647	0.836

5.5 Path coefficient testing and assumptions

Estimates were obtained using the PLS-SEM method for structural model relationships. This study applied three significance levels to accept or reject the hypotheses based on the t-statistic and p-value, as mentioned (; Hair, Hult, Ringle, and Sarstedt ;2017). Commonly used critical values for two-tailed tests are 1.65 (significance level = 10%), 1.96 (significance level = 5%), and 2.57 (significance level = 1%). Table 4 shows the path coefficients and their significance. It appears that knowledge management and leadership behavior

Table 2. Descriptive statistics of latent variables

Variables	n	Min	Max	Mean	Std. deviation
Knowledge Management	65	3.89	4.12	3.98	1.23809
Leadership Behavior	65	3.68	4.17	3.81	1.18372
Performance of Employees	65	3.45	4.02	3.75	1.18374

5.3 Convergent validity

Convergent validity is used to determine whether or not an item is valid in measuring latent variables. The convergent validity of each indicator aims to measure the latent variable indicated by the size of the factor loading. An indicator is said to be valid if the loading factor of the indicator is positive and greater than 0.6. Convergent validity is a critical measure that refers to the measurement of items; It tests the validity of the constructs. Hair, Hult, Ringle, and Sarstedt (2017) define convergent validity as “the extent to which a measure correlates positively with alternative measures of the same construct.” According to Hair (2017), the most common measures of convergent validity are the external loadings of the reflective measurement model and average variance extracted (AVE), also, to establish internal consistency, composite reliability (CR) should be measured. Table 2 displays the convergent validity results. It shows CR and AVE values above the threshold values of 0.70 and 0.50, respectively, except for Q1 and Q6, which have been deleted as recommended by Hair, Hult, Ringle, and Sarstedt (2017).

Table 3. Convergent validity

Variables	Items	Factor loadings	AVE	CR
Employees Performance	Q12	0.731	0.563	0.885
	Q13	0.742		
	Q14	0.820		
	Q15	0.745		
	Q16	0.746		
	Q17	0.713		
	Q7	0.788	0.698	0.920

male and 43.1% were female. This means that the number of male employees in the administration of Zintan University is greater than the number of female employees.

Also, the table shows that among the 65 university employee participants who participate in this study, 43.1% of them are graduates of intermediate institutes, 40.0% of them have a bachelor's degree, and the other 13.8% are graduates of a higher diploma. Moreover, only 3.1% of participants are neither. The table also shows that out of the total number of participants, 65, that is 35.4%. Of them, they have been working for 0-5 years and 29.2% of them have been working for more than 20 years. Moreover, 15.4% of participants have been working for a period of between 11-15 years, 10.8% of them have worked for a period of between 6-11 years, while the other 9.2% have worked for a period of between 16-20 years.

5.2 Descriptive statistics for latent variables

Descriptive analysis presents a frequency distribution intended to describe respondents' choices when surveying to gain respondents' perceptions of knowledge management, leadership behavior, and performance of employees. The following discussion explains the index of study variables. Based on respondents' answers, descriptive statistics for the latent variables were calculated for means, standard deviations, and minimums. Maximum grades. Table 1 shows the descriptive statistics for the latent variables.

According to Larson-Hall (2010), a smaller standard deviation is closer to the mean, and a larger standard deviation is more widespread. The numerical summary shows that the standard deviations are minimal (between 1.18 and 1.23), indicating low variations in the data. In particular, the average value of knowledge management was 3.98, and the standard deviation was 1.23, which indicates the similarity of the study population's opinion with knowledge management. Besides, leadership showed a mean value of 3.81 and a standard deviation of 1.18, which also showed moderate agreement on leadership. Finally, the performance of employees showed a mean value of 3.75 and a standard deviation of 1.18, indicating moderate agreement among respondents.

profile captured the respondent's demographics, which included age, gender, marital status, educational level, and work experience.

Table 1 Demographic characteristics of respondents

		Frequency	Percent
Age	Valid under 20	0	%0.0
	20 -29	18	%27.7
	30 -39	17	%26.2
	40 -49	21	%32.3
	50 or over	9	%13.8
	Total	65	%100
Gender	Male	37	%56.9
	Female	28	%43.1
	Total	65	%100
Level of Education	Did not complete High School	28	43.1%
	High School Graduate	9	13.8%
	Bachelor's degree	26	40.0%
	Other	2	3.1%
	Total	65	100%
Work Experience	Less than 5 years	23	%35.4
	6 to 10 years	7	%10.8
	11 to 15 years	10	%15.4
	16 to 20 years	6	%9.2
	Over 20 years	19	%29.2
	Total	65	%100

The table of demographic characteristics of respondents shows that out of 65 participants at Zintan University, 32.3% of them are between 40-49 years old. The second largest participants by age are those aged 20-29 years, at 27.7%. Moreover, there are 26.2% of those aged between 30-39 years, and the other 13.8% of respondents are over 50 years old. None of the participants in this study are less than or equal to 20 years old, as the table shows that out of 65 of Zintan University employees who participated in this study, 56.9% were

(endogenous model), and determining the fit of the appropriate model to the conceptual framework that has been built.

5.1 Data and sample collection

In addressing the theoretical framework of the study, the researchers turned to secondary data sources, which are books, relevant references, periodicals, research, and previous studies that dealt with the subject of the study. As for the analytical aspect, the researchers resorted to collecting data through a questionnaire as the main tool for the study, designed specifically for this purpose and distributed. (105) employees were distributed among a number of colleges at the university, and 65 questionnaires were retrieved, i.e., 65%

5.2 Measuring variables

The working definition of a variable is based on the characteristics that are observed so that they can be determined by the method of data dependence. According to this research, the working definition describes how the research variable can be measured through the elements present. The conceptual definition of the research variable is limited, so it can be interpreted differently from that indicated in the study (Hair et al., 1998). To limit the problems in this research, there is a need to provide a working definition for each variable. An operational definition is used to define and measure variables by formulating them concisely and clearly so as not to cause different interpretations.

5. Results

1.5 Personal files of respondents

A total of 105 questionnaires were distributed to Zintan University employees with the assistance of human resources staff or the head of administration. Of the 105 questionnaires distributed, 97 were answered. Of the 97 questionnaires returned, 26 questionnaires were removed from the data sets and 6 questionnaires were identified as outliers. Finally, 65 can only be used for analysis purposes. This sample size ($n = 65$) was sufficient and appropriate for the analysis of this study, as suggested by (Andini et al. 2018; Orkaido Deyganto 2018). This section describes a summary of the survey participants' profiles and individual profiles, as summarized in the following table (1). The

Employees are the persons who are able to achieve the goal of the company. To develop positive behaviors on how to work in a company, an employee should be taught on how to accomplish an objective and thus motivation in case is internal and external good motivation. Motivation is encouragement, effort and desire existing in an individual which can lead one's behavior to do a duty or a good job, while performance is the level of achievement after conducting a specific task execution. In the context of human resource development, performance of an employee in a company is required to achieve his own success and the success of the company as well.

5. Research methodology

This research used a quantitative approach and the method used was an experimental research survey. The quantitative approach is research that matches the deductive approach in which common issues are transformed into specific details so that this research has a theoretical basis. Quantitative research is divided into two methods: descriptive and explanatory research methods. Explanatory research is research that aims to analyze the relationships between variables with other variables or how one variable affects another variable. (Kotler, et al., 2006).

The researchers used the descriptive analytical method, which attempts to describe and evaluate the effects of knowledge management and leadership Behavior in Improving the performance of employees at the University of Zintan from the point of view of the employees. The descriptive-analytical method attempts to compare, interpret, and evaluate in the hope of arriving at meaningful generalizations that increase the stock of knowledge about the subject. The study population included all employees working at the University of Zintan so the study was conducted to find out certain qualities and characteristics identified by the researchers in order to study and extract them in the conclusion. The study sample consists of 510 employees, and the sample is considered part of the characteristics and characteristics that characterize the community, and what was obtained from the sample can be applied to Study population.

There are some steps to analyzing data using Partial Least Square (SmartPLS4): They are forming the conceptual framework, estimating the measurement model (exogenous model), estimating the structural model

achieved by the organization because motivation, commitment and employees' abilities can be enhanced and performance of organization can also be positively affected by these types of practices (Huselid, 1995).

4.3 Performance of Employees

The performance was the appearance of the work of employees both in quantity and quality aspect. Performance can be either an individual work and group performance (Ilyas, 1993). With good leadership behavior, a leader will be well likened by his employees and thus it will increase employee performance and vice versa. If the leadership behavior of superiors is not liked by subordinates or employees it will result in a decrease of performance of employees. Research conducted by Saleh (2006) states that the leadership affect the performance of employees in an organization.

Every employee has the psychological factors that indicate individual interests to the forefront of his choice, complacency and his decision in taking a part in a responsible working activity (Robbins (2003). Motivation is a factor that moves people to act, as the psychological factors can grow due to the demands of the fulfillment of the requirement (Robbins (2003). The higher the level of fulfillment will foster a strong motivation in working, that the relation between motivation of working with performance can be predicted. According to Robbins (2003), motivation affects the performance of the employees, because if employees are motivated in their work, then they will work happily and excitedly and thus produce good performance.

Working performance is defined as the outcomes of the employees work and objectives which are aligned with the organizational goals and objectives which require the employees to work effectively and efficiently. Motivation and work performance of the employees are measured using different techniques of performance appraisal system. Currently there more and more studies conducted to measure the performance by reactions of user to performance appraisal (Jawahar, 2007). The reactions are approximately always appropriate and adverse reactions can be very difficult which is carefully constructed as the system of appraisal (Murphy and Cleveland, 1995).

organizational levels (Dansereau et al., 1984; Yammarino et al., 2005). Wang et al. (2010) examined the relationship between organizational performance and leadership styles. 246 questionnaires (valid) were reviewed, which were sent to the operators, executors and owners of corporations. Results found that organizational performance is significantly contributed by interaction of styles of leadership and positively correlated to vision providing and charismatic style of leadership.

(Aqili, 2009) All organizations are keen to carry out their various work and activities with a high level of efficiency and effectiveness. The employee who is subject to job performance evaluation is one of the most important basic variables affecting this efficiency, and the job performance evaluation process for employees is an important and complex process, and is one of the most important administrative processes whose impact goes beyond the scope of the individuals subject to evaluation to include all the work of the organization.

Leaders who want to encourage the heart must model the behaviors described within the first six essentials. Setting the example for encouraging the heart begins with giving oneself permission to do so (Kouzes & Posner, 1999). Kouzes and Posner (2003) included seven essential components in describing encourage the heart: set clear standards, expect the best, pay attention, personalize recognition, tell the story, celebrate together, and set the example.

Leadership behavior theory has traditionally included two dimensions derived from factor analysis. These two dimensions are relation- and structure-orientation (Arvonen, 2002; Yukl, 2006). Administration of human resources means short optimal use of the human component expected over the efficiency, capabilities and expertise of this human element. The foundation aims to make better quality in each individual of the organization through the management of human resources. These foundations start from planning, testing, training, giving incentives, evaluating, and all things related to the human resources (Flippo 1984).

Role of leader in an organization is critically linked with performance of organization. Organizations can be more effective and flexible when significant investments are made by organization on employees and optimal fit level between information, work, technology, and people should be

tasks. While examining, study empirically proved that all hypothesis are correct. Li-Fei et al. (2010) conducted study to investigate the behavioral effects of leadership on the performance of University of Research through developing a research model. In this study, organizational performance includes teaching performance, research performance and satisfaction of teachers, and leadership behavior includes development and concerned leadership behavior, and three dimensions of structure. New faculty of Research University was sample of this study and self-perceived data was used to test the hypothesis of the study.

These foundations start with planning, testing, training, incentives, evaluation, and everything related to the human element (Hassouna, 2008) . Al-Taweel, 2001 There is no doubt that there is a reciprocal effect between human behavior and organizational behavior. The individual's performance is the outcome of his ability to perform work and his desire for it. Therefore, interest has increased in the recent period in the study of behavioral sciences (psychology, sociology and anthropology) because of the contributions it provides to help contemporary management understand behavior Individual and collective human rights, and on formulating policies and identifying tools that can influence this behavior and direct it towards achieving organizational goals efficiently and effectively. Therefore, management has become a human process based on the interaction between individuals and the organization in which they work, where management must not neglect the human aspect in its plans and decisions. And that the institutional system, with its management, inputs and operations, constitutes a major axis that is moving towards the better and building the human being who is able to deal with the small village and the scientific development in which we live, as workers in all fields and various institutions and social systems are all outputs of this system, and they reflect and embody in practice the extent of the success or failure of its outputs.

Leadership works best when there is a match between the identity level of followers and the focus of leaders, as people of similar behavior tend to be attracted to each other (Lord & Brown, 2001). Leadership is vital and leaders have multiple responsibilities in organization because leadership is incorporated with different hierarchical levels like individuals, units and

study was to clarify the difference between actual results and planned result, which are discussed at first levels of management. Whereas, Lowe et al. (1996) conducted study while examining transformational leadership and transactional leadership at different level of the organization. Study analyzed that transformational leader-ship exists at lower level and transactional leader-ship exists at higher level. behavior is attached with acting friendly, helpful, patient, looking out, and listening innovative employee's interests. In support for innovation leadership behavior employees are motivated and encouraged to do work and good relationships are established among leaders and employees.

Zainal Ariffin, et al. (2012), showed that leadership behavior has positive relationship on academic performance in Iraqi HEIs. Then, Veronica Celattia Tandoh (2011), their study also identified the leadership behaviours exhibited by managers in Guinness Ghana Breweries Limited (GGBL) in enhancing employee performance and specific behaviors affecting the performance of the employee. It was observed that strong correlation existed between a job-centred leadership behaviour exhibited by leaders in Guinness Ghana Breweries Limited and employee performance. The job-centred leadership behaviour had significant positive effective on performance and hence productivity. It meant that the managers put big concern about getting results and only motivated employees to give their best in order to increase productivity. People-centred and democratic behaviours were very insignificant and a few negative correlations suggested a decrease in performance by employees, probably due to management acting with strict internal rules to achieve results. It was recommended to have a balanced leadership to equally reflect much interest in people to enhance employee performance for a competitive advantage.

Boerner et al. (2007) conducted study to examine the impact of transformational leadership behavior on follower's innovation and performance. 91 German companies were targeted from which 91 leaders were taken as sample. Study was hypothesized in such a manner that follower's behavior enhances due to transformational leadership through stimulating the behavior of organizational citizenship; whereas, follower's innovation enhances through promoting controversial issues regarding their

structure that allows the integration of employees and departments of an organization (Andrews and Kacmar, 2001; Pandey and Duta, 2013; Wilkinson and Young, 2006).

Considering that knowledge is in the tacit and explicit form (Nelson and Winter, 1982), the KM process becomes more complex than the use of IT. The explicit or codified portion of the knowledge can be stored in repositories and use IT as a tool to support storage and dissemination. Tacit knowledge, in turn, depends on an organizational architecture, including organizational structure and culture, which stimulates the interaction and cooperation between individuals (Lytras and Pouloudi, 2006). In this context, this article aims to analyze the organizational characteristics that enable organizations to effectively manage their knowledge, resulting in a sustainable competitive advantage.

4.2 Leadership Behavior

Leadership works best when there is a match between the identity level of followers and the focus of leaders, as people of similar behavior tend to be attracted to each other (Lord & Brown, 2001). Muhlis Mallajareng (2014), in their study examined: influence of leadership and work capability to motivation, behavior and performance of employee, influence of motivation, work behavior to employee performance, leadership influence, work capability indirectly to employee performance through motivation and work behavior. The result of the research showed that: leadership had positive and significant direct influence to the motivation and work behavior, but its direction was negative and insignificant to the employee performance, work capability had positive and significant direct influence through motivation, work behavior and employee performance, motivation had positive and insignificant influence to the employee performance while work behavior had positive and significant direct influence to employee performance, leadership had positive and significant indirect influence to employee performance through motivation and work behavior, and work capability had positive and significant indirect influence to the employee performance through motivation and work behavior.

Bass (1998) analyzed United States (US) managers and New Zealand managers that adopted transactional leadership. The basic purpose of this

the basis on which knowledge lies, and it is this knowledge that gives privacy to the organization. As it has been defined and categorized into several classifications, since knowledge is not one homogeneous and stereotypical type, and since it does not have a specific form, and cannot all be placed in one framework, and in order to achieve effective knowledge management in the organization, it is necessary to classify knowledge in it to improve its use or identify The knowledge gap in it or the development of mechanisms and processes to transform it into explicit knowledge that is measurable and embodied in the form of products and services.

In Al-Qaryouti's study (2005) entitled: Organizational Knowledge Management: Concept, Methods and Strategies, the successive construction of knowledge management strategies in business organizations was highlighted, starting with the stage of knowledge generation and employment in developing and improving goods and services, then creating a learning environment within the organization through which education and training opportunities are achieved. Exchanging experiences, developing a culture of change for employees, employing knowledge to achieve excellence and superiority over competitors, and finally measuring the organization's intangible assets and adding them to the organization's assets. The study concluded by linking the organization's ability to build knowledge management strategies to the availability of an atmosphere that facilitates and encourages innovation processes.

As knowledge is recognized as the primary organizational resource of the 21st century, which is able to bring sustainable competitive advantage in the long term, several studies have focused on knowledge management (KM). Authors such as Davenport et al. (1998) showed, at the end of the 20th century, that several organizations around the world introduced initiatives for the KM based, typically, on information technology (IT), which promotes a broad dissemination and access to knowledge by individuals in the organization.

However, the focus of several studies dealing with KM has moved to the study of organizational aspects, emphasizing the role of employee development (Gonzalez and Martins, 2014; Quigley et al., 2007; Cross and Sproull, 2004), an organizational culture that fosters knowledge sharing (Davenport and Prusak, 1998; Terziovski, 2003) and an organizational

transformational leadership and organizational performance after controlling for the effects of transactional leadership.

Tseng (2014) shows that knowledge management capabilities (KMC) has a positive influence on corporate performance, while SRM is the partial intervening variable between KMC and corporate performance.

In order to achieve the desired goal of adopting the knowledge management approach in institutions, the role of the organization's management should focus on the optimal application of this approach by employing it towards achieving the strategic and operational goals of the institutions, supporting the various capabilities of the institution and the skills of its cadres, and achieving development, improvement and sustainability of these capabilities and skills. The management of the organization should rely on directing knowledge management processes towards achieving and institutionalizing knowledge, and it must focus on implementing a knowledge strategy that ensures the effectiveness of knowledge management processes in all units of the organization in an integrated manner.

Krasna and Al-Khalili (2009) conducted a study entitled "The Components of Knowledge Management: An Analytical Study in the Jordanian Ministry of Education", which aimed to identify the reality of the Ministry of Education in Jordan's practice of knowledge management activities, and to clarify the importance of knowledge management as a contemporary administrative concept that helps the Ministry of Education to advance. To achieve the objectives of the study, a questionnaire was designed and distributed to a sample of 106 individuals. The study concluded a set of results, the most important of which are: The degree of practice of most of the knowledge management activities was high, except for the activities of knowledge storage, dissemination, exchange and refinement, which showed that the degree of their practice is medium. Knowledge auditing, knowledge application, dissemination and exchange, development, and the formation of practicing community groups.

In the study of Miqdadi and Abu Zaid (2009) entitled: "The Role of Satisfaction with Communication in Activating Knowledge Management Processes from the Side of Knowledge Creation on Organizational Performance," it was found that the knowledge management infrastructure is

The importance of knowledge as a strategic source of competitive advantage (Appelbaum and Gallagher, 2000) has been steadily growing over the past two decades.

Liao and Wu (2009) find the influence of the firm's knowledge management to organizational performance is significant. Then the positive influence of knowledge management to organizational learning is also supported by their findings. While they have expected to find a positive relationship between the firm's organizational learning and its organizational performance.

Furthermore, a study conducted by Fattahiyan et al. (2013) presents that some knowledge resources (e.g. organizational structure, knowledge application) are directly related to organizational performance, while others (e.g. technology, knowledge conversion), though important preconditions for knowledge management, are not directly related to organizational performance.

Moreover, Rong Du et al. (2007) finds that there are contingent factors influencing the relationship between knowledge sharing and performance. First, integration of activities is the most important factor, which mediates the knowledge sharing-performance relationship. Second, structure of organization is another important contingency, which moderates the relationship between knowledge sharing and performance. Third, characteristic of top management team is a contingent factor that interacts with knowledge sharing. While, environmental munificence depends on knowledge sharing when influencing performance.

It should be noted that there is a difference between information management and knowledge management, as there is a difference between information and knowledge. Information is data that is organized and arranged to meet specific needs. Knowledge is what people understand from information and how they can use it.

Birasnav (2013) indicates that transformational leadership has strong and positive effects on KM process and organizational performance after controlling for the effects of transactional leadership. Further, knowledge management process partially mediates the relationship between

Asogwa, B. E. (2012) As human knowledge, skills, and intelligence are tacit and individually centered, they are not easily captured and processed for the benefit of the organization. This can be a challenge for management in some cases. Knowledge management is a core field of society based on information and knowledge resources, and the library has emerged as a significant part of this field.

Huang, K. (2014) Libraries are widely recognized as knowledgebased organizations that primarily focus on collecting, processing and distributing knowledge and information services for different stakeholders.

This means that knowledge is considered their primary resource, and thus, improving KM practice and enabling knowledge are a challenge in libraries Srinivas, S. A. a. S. (2016).

Knowledge sharing is vital to the success of knowledge management practices in all organizations including universities. Effective knowledge sharing is essential for the organization to give benefit in the form of knowledge transferred to its employees. In managing the valuable knowledge asset, organizations always seek help from technology to build sophisticated database to capture and store knowledge. This study investigated the role of knowledge management in and addressed its relationship with performance improvement. The results revealed that that there is positive correlation between Capture based KM, Learning based KM and organizational performance. (V. Rama Devi^{1*}, Mrs. P. Lakshmi Narayanamma. 2014).

Knowledge management is gaining increasing importance in light of the great difficulties faced by organizations, and this importance increases in light of the increasing importance of knowledge goals that knowledge management focuses on achieving, leading to enhancing levels of productivity, efficiency and effectiveness in organizations.

Knowledge management is one of the pillars of contemporary intellectual developments, as its role has increased in achieving competitive advantage in the field of business organizations, and this has been crystallized in the emergence of new jobs in the organizational structures of some of these organizations, especially the major ones, and these jobs reflect the responsibilities of knowledge management.

Luthans (1995) in his book about “Organizational Behavior, 5th edition “ said the significance of organizational motivation does not consist of its close relationship to the fundamental questions of organizational efficiency and responsiveness alone, but also of its relevance to how organizations are structured. As this latter consideration may affect such concepts as human dignity, freedom, respect, brotherhood, and justice. This is said that organizational structures are not morally or spiritually neutral though much as these values have moral and spiritual roots (Luthans, 1995). Organizational structures are found on certain underlying assumptions about human nature and motivation that underpin several principal organization models.

2. Research Problem

The main problem of the research is how to enhance the employee performance at the Zintan University. The end of the last century witnessed great interest in the subject of knowledge management and its impact on organizations, which began to consider it as one of their most important main assets and a direct reason for their success in an environment characterized by high competitiveness and continuous change, which necessitates the application of knowledge management because of its importance in achieving outstanding performance.

3. Research Questions

- 1- Is there a positive relationship between knowledge management and job performance at Zintan University?
- 2- Is there a positive relationship between leadership behavior and job performance at Zintan University?

4. Review of Related Literature and Conceptual Model

4.1 Knowledge Management

(Gloet, M., & Terziovski, M. 2004) Knowledge Management (KM) has become a critical element in today’s highly competitive, uncertain, and rapidly changing business environment. KM is the process of accessing experience, knowledge, and expertise that produces new skills, enables work performance, encourages innovation and creates customer value.

The individual's performance and efficiency depend on two basic elements: the ability to work and the desire for it. The ability to work is represented by the skills, knowledge and capabilities that the individual possesses, which he acquires through learning and training. The desire to work is represented by the incentives that push his behavior in the direction that achieves the goals of the organization (Raslan, 1987).

The topics of organizational loyalty are closely related to the psychological psychology of individuals, as it is considered one of the most important factors that can be considered as positive indicators, and it serves as a measure of the effectiveness of individuals' performance. The morale of the individuals who work in it and their organizational loyalty to achieve the goals of the organization, as there is a direct relationship between the morale and the productivity of the organization. The higher the morale of the employees of the organization, the greater their productivity (Al-Humaidhi, Abdulaziz bin Muhammad, 2007).

Therefore, the need of institutions for individuals with organizational loyalty has become important in order to achieve its goals with high efficiency and effectiveness. Loyalty is not reflected on the performance within the organization only, but also on the external audience. Therefore, organizational loyalty must be measured to identify strengths and weaknesses so that strengths can be taken advantage of and work to address weaknesses in order to reach satisfactory productivity at work and work to invest and photograph them and achieve the goals and vision of the institution (Al-Ketbi, 2007).

A well-managed organization appreciates the average worker as the root source of quality and productivity gains (Flippo 1984). Such organizations donot consider capital investment, but employees, as the fundamental source of their improvement. The organization is considered to be effective to the extent that it can achieve its objectives. Effective organization will make sure that there is a spirit of cooperation and the spirit of commitment and satisfaction within their sphere of influence. In order to make employees feel satisfied and committed to their jobs in academic and research libraries, for example, there is a need for strong and effective motivation atthe various levels, departments, and sections of the library (Flippo 1984).

1. INTRODUCTION

Knowledge management is one of the modern administrative topics that have developed the literature related to it quantitatively and qualitatively. The previous years witnessed great interest on the part of organizations towards adopting the concept of knowledge management. These organizations have contributed to laying the foundations for knowledge management, and the focus has been on technological, social, economic, psychological, organizational and other aspects.

The knowledge society is characterized by the fact that the main resource in it is knowledge and not capital, raw materials and other production elements.

(Al-Salami 1998) Said The definition of knowledge management varies according to the different approaches to the concept, as well as according to the specializations and backgrounds of researchers and writers in the field of this concept. This difference is also due to the breadth of the concept and its dynamism or the rapid changes that enter it.

As for the difference between information management and knowledge management, despite their similarities, information management deals with things (data or information). As for knowledge management, it deals with people.

Human resource management is one of the most important functions of management because it focuses on the human element, which is considered the most valuable resource in the management and the most influential in productivity at all. Make the most of everyone in the organization through human resource management.

The human element is considered one of the basic and supportive elements on which the success of the organization depends in achieving its goals. Modern equipment, ingenious plans and sound administrative organizations do not work unless there is a human element capable of working and willing to work, hence the importance and role of a good administrator that pushes the cards of workers and activates them and motivates them to work.

The Importance of Knowledge Management and Leadership Behavior in Improve The Performance of Employees (Case study in Zintan University)

Abdo alaziz H E Mihrez^{1*}, Alseddig Alshadli Ruhoma²

¹Higher Institute of Sciences and Technology Yefren, Libya

²Higher Institute of Sciences and Technology Yefren, Libya

Abstract

This study was conducted at Zintan University and aims to determine whether there is a direct impact of knowledge management on employee performance. In addition to determining whether there is a direct impact of leadership behavior on the performance of individuals. In this study, data were collected using a Likert scale questionnaire, and then distributed to 65 employees at Zintan University. To answer the objective of this study, the analysis method used in partial least squares (SmartPLS4) was used. The results of the analysis in this study indicate that knowledge management has a positive and significant impact on employee performance. Later in this study, it was found that the leadership behavior variable has a significant impact on employee performance.

المستخلص:

تم إجراء هذا البحث في جامعة الزنتان والذي يهدف إلى تحديد ما إذا كان هناك تأثير مباشر لإدارة المعرفة على أداء الموظفين. بالإضافة إلى تحديد ما إذا كان هناك تأثير مباشر للسلوك القيادي على أداء الأفراد. في هذه الدراسة تم جمع البيانات باستخدام استبانة بمقياس ليكرت، ومن ثم توزيعها على 65 موظفاً في جامعة الزنتان. وللإجابة عن هدف هذه الدراسة، تم استخدام طريقة التحليل المستخدمة في المربعات الصغرى الجزئية (SmartPLS4). تشير نتائج التحليل في هذه الدراسة إلى أن إدارة المعرفة لها تأثير إيجابي وهام على أداء الموظفين. لاحقاً في هذه الدراسة وجد أن متغير السلوك القيادي له تأثير كبير على أداء الموظفين.

- [9]. F. Nurhayat Degirmenci. Freeze-Thaw and Fire Resistance of Geopolymer Mortar Based on Natural and Waste Pozzolanic Ceramics-Silikáty 62 (1), 41-49 (2018)
- [10]. Hafez E. Elyamany; Abd Elmoaty M. Abd Elmoaty; Ahmed M. Elshaboury. Magnesium sulfate resistance of geopolymer mortar. *construction and building material*, Volume 184, 30 September 2018, Pages 111-127
- [11]. Dr. Lijuan Kong, Zirui Fan, Wenchen Ma, Jiatao Lu. ‘Effect of Curing Conditions on the Strength Development of Alkali-Activated Mortar. *Crystals* **2021**, *11*(12), 1455;
- [12]. Manvendra Verma, Mayank Niga. ‘Investigation on the effect of curing time on the mechanical properties of geopolymer concrete. *AIP Conf. Proc.* 2721, 020031 (2023)
- [13]. Arie Wardhono; David W. La; Anthony Strano. The strength of alkali-activated slag/fly ash mortar blends at ambient temperature. *Procedia Engineering* 125 (2015) 650 – 656
- [14]. TS-EN196-1: Methods of Testing Cement – Part 1: Strength Determination, Ankara: TSE-Turkish Standards Institution, 2009.
- [15]. Ryu, G. S., Lee, Y. B., Koh, K. T., & Chung, Y. S. (2013). The mechanical properties of fly ash-based geopolymer concrete with alkaline activators. *Construction and Building Materials*, 47, 409-418.
- [16]. Al-Majidi, M. H., Lampropoulos, A., Cundy, A., & Meikle, S. (2016). Development of geopolymer mortar under ambient temperature for in situ applications. *Construction and Building Materials*, 120, 198-211.

Third, the ratio of slag to glass powder to fly ash is crucial throughout the alkali activation process.

Fourth, the findings suggest that steam curing at 85 °C for 12 hours is sufficient in this instance.

Fifth, the 24-hour cured flexural strength was greater than the 6-hour and 12-hour cured strengths under steam curing conditions at 85 °C.

Sixth, compressive strength of geopolymer mortar was improved by steam curing even at a young age.

REFERENCES

- [1]. Malhotra, V.M. Introduction: sustainable development and concrete technology. *Concr. Int.* 24,22,2002.
- [2]. A.Miller, S. (2018). Supplementary cementitious materials to mitigate greenhouse gas emissions from concrete: can there be too much of a good thing? *Journal of Cleaner Production*, 12.
- [3]. Malindu Sandanayake, W. L. (2018). Greenhouse gas emissions during timber and concrete building construction —A scenario based comparative case study. *Sustainable Cities and Society*, 7.
- [4]. <https://www.noaa.gov/>
- [5]. Duxson, P. ,Provis, J.L. , Lukey, G.C. , Van Deventer, J.S.. ‘The role of inorganic polymer technology in the development of ‘green concrete’’. *Cement Concrete Res.* 37 (12), 1590–1597, 2007.
- [6]. Diaz-Loya, I.E. ,Allouche, E.N. , Vaidya, S.. ‘Mechanical properties of Fly- -Ash-based geopolymer concrete’. *ACI Mater. J.* 108 (3), 300–306, 2011.
- [7]. Danial Nasr, Amir Hossein Pakshir, Hossein Ghayour ‘The influence of curing conditions and alkaline activator concentration on elevated temperature behavior of alkali activated slag (AAS) mortars’. *Materials* Volume, 30 November 2018, Pages 108-119
- [8]. R.J. Thomas, Diego Lezama, Sulapha Peethamparan ‘On drying shrinkage in alkali-activated concrete: Improving dimensional stability by aging or heat-curing’*Cement and Concrete Research* 91 (2017) 13–23

age, the flexural strength under steam curing condition at 85 °C was greater after 24 hours of curing than after 6 and 12 hours, as shown in Figure 13.

Table 5: Flexural strength results of geopolymer mortars

Mix proportion	6 h MPa	12h MPa	24 h MPa
CC10	0.000125	0.000336	0.000293
CC15	0.000234	0.000303	0.000470
CCS10	0.000203	0.000291	0.000458
CCS15	0.000281	0.000292	0.000458

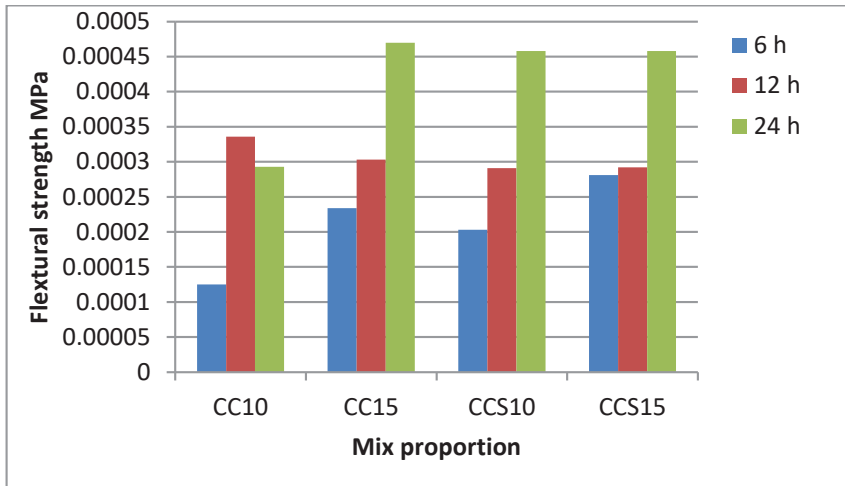


Fig 13: Flexural strength with different time of steam curing

4. CONCLUSIONS

Compressive and flexural strength development were measured to see how steam curing conditions impacted mechanical characteristics of a based geopolymer combination (GGBFS, FA, and GP). The following is a synthesis of the experimental findings:

First, a combination of slag, glass powder, and fly ash activated with an alkali activator and cured in a stream at 85 °C can produce a geopolymeric mortar with a compressive strength of around 77.07 MPa after 12 hours.

Second, compressive strength improves from a ratio of slag to fly ash and glass powder (GGBFS / FA + GP) of 1 to 4.

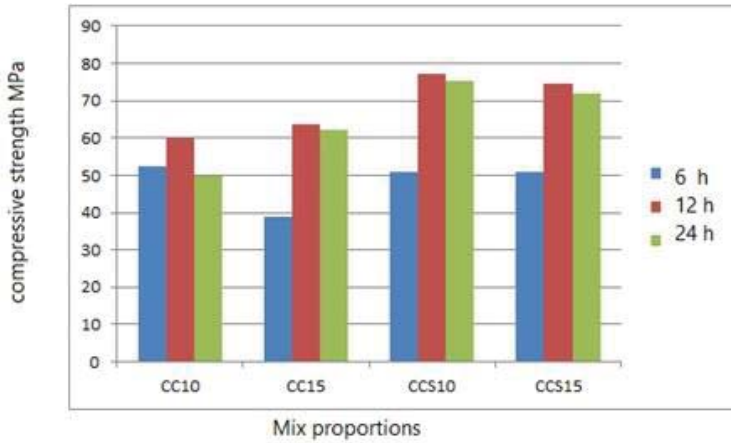


Fig 11: Compressive strength with different time of steam curing
 Compressive strength increased over time as seen in Figure 12 for mortars treated using steam curing at 85 degrees Celsius. Compressive strength improves when the slag and fly ash + glass powder ratio (GGBFS / FA + GP) is decreased until it reaches 4 in the graph depicting mortar parameters at 6, 12, and 24 hours. This demonstrates the significance of the slag-to-glass-powder-to-fly-ash ratio in the activation of mortars containing a combination of slag, glass powder, and fly ash.

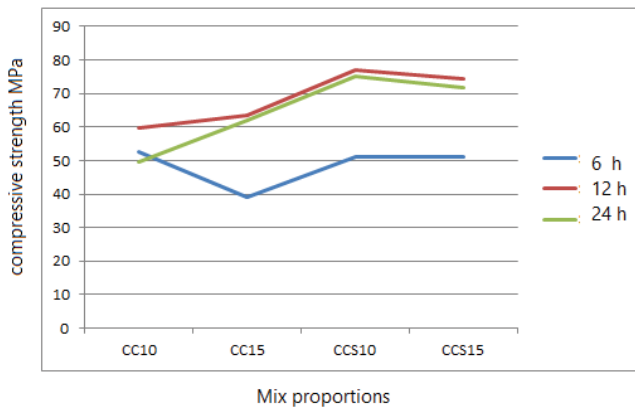


Fig 11: Compressive strength with different time of steam curing

3.1. Flexural strength

Flexural strength of CC and CCS mixtures after various curing times is shown in Table 5. Although these results revealed that the steam curing enhanced the compressive strength of glass powder- fly ash- slag geopolymer mortar at a young



Fig. 9: Electric geopolymer mortar mixer



Fig. 10: Geopolymer mortar samples

3. RESULTS and DISCUSSION

3.1. Compressive strength

Tabulated in Table 4 are the Compressive Strength Values of CC and CCS Mixtures after varying Curing Times. Compressive strengths of geopolymer mortar cured in the oven (CCS-I0) for 12 hours by steam cured increased to the maximum value then shut down a little, and 77.06 MPa (Figure 11), which 51 MPa, 1.5 times correspondingly as much as compressive strength under the steam curing, after 6 hours, and 75.27 MPa at the age of 24 hours cured.

Table 4: Compressive strength results of geopolymer mortars

Mixture no	6 h MPa	12h MPa	24 h MPa
CC10	52.5	59.84	49.74
CC15	39	63.61	62.057
CCS10	51	77.06	75.25
CCS15	51	74.36	71.76

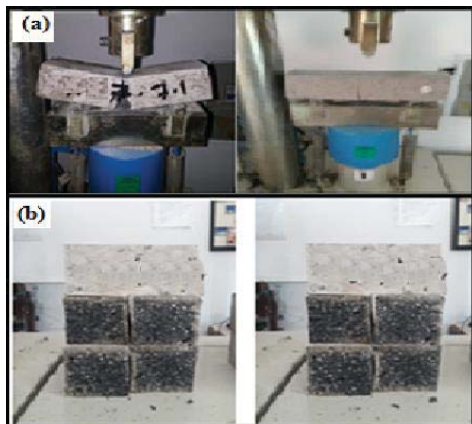


Fig 8: Flexural strength test

2.3 Specimen Preparation

According to the same norm, 729.5g was maintained as the constant weight of the binder made up of GGBS, FA, and GP. According to TS-EN196-1, the water-to-binder ratio (W/B) was set at 0.35. After 24 hours, the specimens were removed from the molds and cured in steam for 6, 12, and 24 hours at 85°C.

As shown in Table No. 1, geopolymer specimens are made by combining fly ash (FA), ground granulated blast furnace slag (GGBFS), glass powder (GP), and standard aggregate (SA) in varying amounts (3). After 1 minute of dry mixing for (B), 1 minute of adding the alkali activation solution, and 1 minute of blending, (B) is ready to be used. Shaking the molds for one minute to eliminate the air of the arbitrator, the missile was poured into the 40 mm x 40 mm x 160 mm sized molds, and a glass plate was placed on top to prevent the surface from drying out.

2.4. Casting of samples

The TS-EN196-1 compliant electric cement mortar mixer was operated in fully automated mode (seen Fig 9). To begin, a more uniform solution was obtained by dissolving the sodium hydroxide in water for 24 hours in a glass jar. In the second stage, 729.5 grams of the binder were added to the solution of sodium hydroxide and sodium silicate and the mixer was run at a low speed for 30 seconds. After that, the sand was added gradually while the mixer was running, and it was combined for another 30 seconds at a moderate pace. And without any input from the user, the mixer switched to full speed for a whole 30 seconds. Add the chemical admixture and the water, and continue mixing for 30 seconds more. After that, 30 seconds of intense mixing was performed again. Steel molds measuring 40 x 40 x 160 mm were used to cast the samples (seen Fig 10).

2.2. Mortars Mixed and Methods

The geopolymer mortar was made by combining fly ash, slag, and glass powder in a solid to liquid ratio (W/B) of 3.5 using an alkaline combination. The workability of the geopolymer mortar is adjusted by adding water and an additive. Table 3 shows the geopolymer combination proportions that were used.

Table 3: Mix designs of geopolymer mortars

Mixture no	W/B	Binder	GGBFS %	FA %	GP %	Sand G	NaOH g	Na ₂ SiO ₃ g	WATER g
CC10	0.35	729.5	90	0	10	900	146	146	108
CC15	0.35	729.5	85	0	15	900	146	146	108
CCS10	0.35	729.5	80	10	10	900	146	146	108
CCS15	0.35	729.5	70	15	15	900	146	146	108

Specimens were evaluated for compressive and flexural strength using TS-EN196-1 (TS-EN196-1,2009). Compressive and flexural tests were conducted using specimens measuring 40 x 40 x 160 mm. There was a 500 N/s loading rate. The equipment and machine in Figures 7 and 8 were used to measure the compressive strength of the specimens.

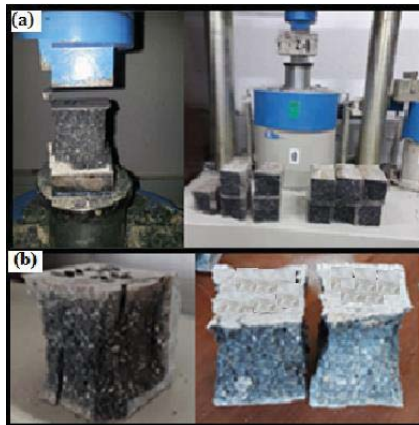


Fig. 7: Compressive strength test



Figure 4: Sodium hydroxide pellets



Figure 5: Sodium silicate solution

Standard aggregate per TS EN196-1 was utilized in the experiment (Fig. 6). It purchased the item in a neighborhood shop. Table 2 displays the results of the subsequent sieve analysis.



Fig.6: Standard aggregate, Set Trakya Cement Industry T.A.Ş. Product

Table2: Sieve analysis.

Size of sieve (mm)	Remaining cumulative (%)
2.0	0
1.6	7±5
1.0	33±5
0.5	67±5
0.16	87±5
0.08	99±1



Figure 2: Ball mill machine



Figure 3. Glass powder sample

In order to create geopolymer, aluminosilicate is extracted from fly ash. This research made use of low-calcium (ASTM Class F) dried fly ash sourced from Ağas Integer Thesis in Kastamonu, Turkey. Table 1 lists some of fly ash's chemical characteristics. CaO makes up less than 10% of the substance. FA is therefore categorized as class F (low lime) fly ash at the present time. The fineness of the FA utilized is $5700 \text{ cm}^2/\text{g}$, and its specific gravity is 2.39 g/cm^3 .

Table 1: Chemical compositions of fly ash (FA), Slag (GGBFS) and glass powder (GP).

Material	CaO	SiO ₂	Al ₂ O ₃	Fe ₂ O ₃	MgO	SO ₃	Na ₂ O	K ₂ O
FA	3.2	52.7	26	12.8	1.4	0.2	0.52	0.79
GGBF	42.6	33.3	13.9	0.9	5.2	1.7	0.26	0.36
GP	11.41	72.66	1.57	0.39	1.24	0.07	13	0.54

Southern Turkey's Iskenderun Iron-Steel Factory supplied the GGBFS. The elements that make it up are listed in Table 1. GBFS has a specific gravity of 2.81 g/cm^3 . Iskenderun Cement Factory granulated powdered blast furnace slag to an ASTM C989-compliant Blaine specific surface area of around $4250 \text{ cm}^2/\text{g}$.

The alkali activator employed in this research was a combination of sodium silicate and sodium hydroxide. Sodium silicate solution and sodium hydroxide solution were combined to create the alkaline liquid. Na₂SiO₃/NaOH is a sodium silicate with a modulus of 1. In order to make the NaOH solution, the pellets were dissolved in water (Fig 4). NaOH solids in a solution have different masses at different concentrations (in molar, M). The molecular weight of NaOH is 40, therefore a 12M solution would have 16 times that amount, or 640 grams of NaOH solids (in pellet form) per liter of solution.

45% at 3 days, 75% at 7 days, and 78% at 14 days. (Al-Majidi et al., 2016) studied the effects of changing the amount of FA and GGBFS on the workability, setting time, and mechanical characteristics of geopolymer mortar that was cured at ambient temperature as opposed to heat cured specimens. Mortar cured at room temperature had the same strength after 28 days as sample treated in a hot oven. Therefore, in this research, the effects of steam curing time (6, 12, 24 h) at a curing temperature of 80 °C on the development of mechanical characteristics were studied in detail. This study is founded on the concept of using geopolymer to recycle three waste products with significant industrial value: fly ash, glass powder, and blast furnace slag. Certain percentages of trash (CC10, CC15, CCS10, and CCS15) were used (Fig 1).

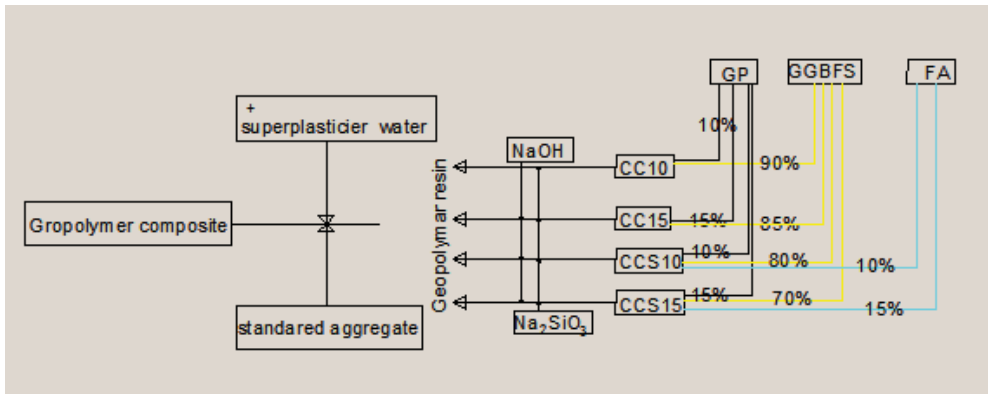


Figure 1. Mixing procedure of the study

2. MATERIALS & METHOD

2.1. Materials

The glass powder will first be processed in a Los Angeles machine, and then further crushed in a small mill to generate finer ash (Fig 2). Particles average around 13 m in diameter, have a fineness of 5320 cm²/g and a density of 2.56 g/cm³ (Fig 3). Glass powder consists mostly of the chemicals SiO₂, Na₂O, and CaO (72%, 13%, and 11%, respectively).

all the other samples was lower than the values obtained for samples not subjected to any freeze-thaw resistance test. Specimens exposed to high temperatures and freeze-thaw cycles have different weight losses and residual compressive strengths depending on the $\text{Na}_2\text{SiO}_3/\text{NaOH}$ ratios of the alkaline activator solution used to create the geopolymer mortars. The weight and strength losses diminished as the $\text{Na}_2\text{SiO}_3/\text{NaOH}$ ratios rose.

The effect of curing temperature, the molarity of the sodium hydroxide solution, the alkaline solution to binder ratio, and the binder type on magnesium sulfate resistance was investigated by Elyamany et al. (2018) in comparison to OPC mortar and other geopolymer mortars. Magnesium sulfate solutions of 10% concentration were used to preserve specimens for up to 48 weeks. The Effect of Curing Conditions on the Strength Development of Alkali-Activated Mortar (Lijuan Kong et al, 2021) found that raising curing temperature, sodium hydroxide solution molarity, and reducing alkaline solution to binder ratio improved magnesium sulfate resistance of geopolymer mortar. Under steam curing conditions, the strength rose fast during the first 8 hours but then plateaued after about 15 hours, following a Boltzmann function with time. In addition, steam curing at 60 °C substantially impeded strength growth, while oven curing conditions resulted in a reduction in strength due to the creation of micro fractures caused by thermal stress and chemical shrinkage. Mechanical properties of geopolymer concrete samples were investigated in relation to cure time (Manvendra Verma et al, 2023). The effect of various curing durations was evaluated by measuring the density, drying shrinkage, compressive strength, splitting tensile, flexural strength, poisson's ratio, elastic modulus, rebound strength, and ultrasonic pulse velocity of the samples. Compressive, splitting tensile, and flexural strengths are all shown to rise dramatically between 4 and 24 hours of curing time, but thereafter very little.

As a crucial variable in geopolymer synthesis, curing temperature has been the subject of much research.

The geopolymerization reaction is based on the rapid dissolution and polycondensation of the Si and Al oxides of FA in the presence of sufficient Na^+ and OH species of the alkaline activator to form a three-dimensional polymeric Si-O-Al-O gel at temperatures ranging from room temperature to about 175°C (Ryu et al., 2013).

Geopolymer concrete cured at room temperature was studied by (Wardhono et al, 2015), who found that changing the ratio of GGBFS to FA led to interesting results. The best 28-day strength of 62.49MPa was achieved with a mixture of 0.5:0.5 FA to GGBFS, with strength development (relative to 28-day strength) of

fertilizer and manure as a result of the development and intensification of agriculture (NOAA).

There has been a lot of study done on geopolymers over the past two decades all over the world, but the vast majority of it has concentrated on the material's physical and chemical characteristics and the consequences of its many sources (Duxson et al, 2007). Compressive strength and other mechanical characteristics of geopolymerous concrete have received increased attention as of late (Diaz-Loya et al, 2011), These results, however, are not yet enough to identify the mechanism that accounts for the synergy between geopolymerous concrete's varied mechanical characteristics. So-called liquid-activated geopolymer is commonly made by reacting aluminosilicate granules with very concentrated sodium hydroxide or sodium silicate solutions.

Heat resistant qualities of AAS mortars were studied by Danial Nasr et al., (2018), who looked at the impact of alkali activator concentration and curing conditions (ambient, water, and hydrothermal curing). The results showed that the compressive strength of AAS mortars increased following hydrothermal curing when compared to ambient and water curing conditions and the impact was independent of the amount of alkali activator used.

Research conducted by Al-Majidi et al. (2016) compared the workability, setting time, and mechanical characteristics of geopolymer mortar cured at ambient temperature to those of heat cured specimens by altering the amount of FA and GGBFS. Mortar cured at room temperature had the same strength after 28 days as sample treated in a hot oven.

Drying shrinkage in alkali-activated fly ash and slag cement concrete was investigated by Thomas et al., (2017), who looked at how variables such binder type, activator concentration, strength, age, and curing procedure influenced the appearance of the phenomenon. AAC exhibits early-age shrinkage more than 1200 (0.12 percent strain). It was also discovered that Portland cement and alkali-activated fly ash mortar are more resistant to water loss than alkali-activated slag mortar.

Pozzolan-based geopolymer mortar samples were tested for their performance under high temperatures, and the influence of alkaline activator ratio ($\text{Na}_2\text{SiO}_3/\text{NaOH}$) was investigated by Degirmenci, F. N. (2018). High temperature effects on mortar qualities were studied at 300, 600, and 900 degrees Celsius. The effects of fire, freeze-thaw cycles, and humidity on the appearance, weight loss, and residual compressive strength of mortars were studied. At 900 degrees Celsius, residual compressive strength values were found to be at their lowest. Except for the samples that included GGBS, the residual compressive strength of

1. INTRODUCTION

The usage of concrete as a construction material is widespread. Cement is the primary component that gives concrete its binding and high quality mechanical and physical qualities. As the world's population rises, cement's popularity rises alongside it, especially in developing and rising economies (Malhotra, 2002). Production of cement has come a long way from its inception some two thousand years ago. Modern cement production began in the middle of the 19th century, and its long history includes the gradual replacement of rotary kilns with shaft kilns, which are now considered industry standard. In 2010, CO₂ emissions from the cement industry totaled 2823 Mt. This amounted to around 9 percent of the world's total CO₂ pollution and greenhouse gasses that year. Roughly 58% of global carbon dioxide emissions come from the cement industry (A. Miller, S., 2018). Long-term consequences of concrete's use GHG emissions include carbonation, maintenance, rehabilitation, and major indirect pollutants. Carbonation has the potential to rebind GHGs produced during cement production to Ca(OH)₂ inside the cement. Depending on the compressive strength of the concrete and the average annual temperature, a re-absorption of 1.4% to 15% is possible. GHG levels may grow if repair and maintenance work required more power to complete. Indirect emissions may also be caused by concrete's thermal or non-thermal effects, such as thermal mass and surface roughness (Malindu Sandanayake, W. L., 2018).

Scientists at the National Oceanic and Atmospheric Administration (NOAA) report that levels of carbon dioxide (CO₂), methane, and nitrous oxide, the three greenhouse gases emitted by human activity that are the most significant contributors to climate change, continued to grow at historically high rates in the atmosphere throughout 2022. The average level of carbon dioxide at Earth's surface increased by 2.13 parts per million (ppm) over the past decade, reaching 417.06 ppm. There is currently 50% more carbon dioxide in the atmosphere than there was before industrialization. The eleventh year in a row that CO₂ rose by more than 2 ppm was 2022; this is the fastest sustained pace of CO₂ rises in the 65 years of monitoring. Three straight years of CO₂ rise of 2 ppm or greater were not ever documented prior to 2013. Nitrous oxide, the third most important human greenhouse gas, saw a 1.24 ppb increase in concentration in 2022, bringing the total to 335.7 ppb. This is tied for the third greatest increase since 2000 and represents a 24 percent increase from the pre-industrial level of 270 ppb. The two most prosperous years were 2020 and 2021. Recent decades have seen significant increases in atmospheric nitrous oxide due, in large part, to the use of nitrogen

The Effect of the Duration of Steam Curing Time on the Mechanical Properties of Geopolymer Mortar.

Abdoslam Abdallaa Alnkaa

Department of Civil Engineering, Higher Institute of Science & Technology
Yafren, Libya

ABSTRACT

The release of numerous greenhouse gases into the atmosphere is the primary cause of global warming. Cement factories are responsible for some of the world's CO₂ emissions; therefore, one solution is to replace Portland cement with a bond made from activated alkaline waste products. Aluminum silicate can be found in abundance in these byproducts. Waste products with superior physicochemical qualities may be created from a variety of Aluminosilicate sources using Geopolymerization. Mortar mixes made from Ground Granulated Blast Furnace Slag (GGBFS), glass powder (GP), Fly Ash (FA), and standard aggregate per TS EN196-1 are studied in terms of their alkali activation using sodium hydroxide and sodium silicate. In this investigation, researchers sought to learn how steam curing time affected flexural and compressive strengths in geopolymer mortar. Compressive strength improves with decreasing slag and fly ash + glass powder ratio (GGBFS / FA + GP) till ratio reaches 4 in this study, showing that steam curing at 85 °C for 12 hours is sufficient in this circumstance. 24-hour cured flexural strength was greater than that of 6- and 12-hour cured samples.

Keywords: Geopolymer mortar, sodium silicate, sodium hydroxide, fly ash, slag, compressive strength and flexural strength.

ثانياً/ بحوث باللغة الانجليزية:

الصفحة	عنوان البحث	
1	The Effect of the Duration of Steam Curing Time on the Mechanical Properties of Geopolymer Mortar.	01
	Abdoslam Abdallaa Alnkaa	
15	The Importance of Knowledge Management and Leadership Behavior in Improve The Performance of Employees (Case study in Zintan University)	02
	Abdo alaziz H E Mihrez , Alseddig Alshadli	



Afaq Alma'refa Journal

An Academic, an evaluated-based and a
biannual Journal

**Interested in the publication of academic
research**

The Fifth Issue

September 2023

